ليته ظل سرًّا

عنوان الكتاب : ليته ظل سرًّا
الموضوع : رواية
التـأليـــف : عمر ميالو
مراجعة لـغوية : نادية محمود
الإخـراج الفـني : عمرو سالم سواح
تصميم الغلاف : عصام أمين
#غرّد_للعالم
رقم الإيداع : 2018/ 20860
الترقيم الدوليّ : 978-977-6639-45-4
النـــاشـــر : دار تـويتـة للنشـر والتوزيـع

tweetpublishing2017@gmail.com

www.facebook.com/Tweetforpublish

٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة

رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز

المدير العام: أ/ رشا العمري

٠١٠١٧٧٩٩٧٩٩/٠١٢٢٥٧٦٢٠٦٦

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

رواية

ليته ظل سرًّا

عمر ميالو

تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع

جلس في مكتبه الواسع يتأمل صفحات الجرائد، هي عادته الصباحية اليومية، بالطبع مع كوب القهوة الذي أصبح يعتقد أن اليوم لن يمر من دونه، النصف ساعة الأولى من أي يوم عمل تضيع في هذه العادات التي واظب عليها منذ خمس وعشرين سنة، منذ أن كانت تلك المجموعة الكبيرة اليوم شركة صغيرة تعمل في مجال الاستيراد والتصدير، وكان هو نفسه شخصًا مغمورًا، لا يعرفه أحد، ويستطيع أن يجلس في أي مكان عام دون أن يلفت الأنظار، ولا تزين صورته الصفحة الأولى لأي صحيفة، ولا يذهب لأي مؤسسة خيرية فتتبعه العدسات، ولا يقيم الحفلات التي يحضرها أرقى طبقات المجتمع، ولا يتحدث مع هذا المسؤول بلطف و يجامل زوجته، ولا يذهب لحفل تافه فقط لمجرد أن ابن رجل الأعمال الشهير قد نجح أخيرًا في الثانوية العامة.

كان كل ما يشغله حينها هو عمله البسيط، وأحلامه المستقبلية، وأسرته الصغيرة، أما اليوم ومع اتساع العمل، وضخامة الثروة، ومع وفاة زوجته، وزواج ابنته، وانشغال ابنه الوحيد بعمله في الجامعة، فأصبح لا يهم إلا العمل، والتفكير في كيفية تطويره وتنميته، والأهم بالطبع حمايته.

أصبحت حياته روتين يومي اعتاد عليه، العمل ثم العمل ثم العمل، منذ فترة طويلة لم يجلس مع أسرته جلسة عائلية، لم يخالطهم، لم يتحدث معهم، لم يجلس حفيده على قدمه و يداعبه، ربما يندم الآن أنه أفنى عمره في جمع هذه الثروة الطائلة، أصبح يشعر أنه أفنى ما مضى من عمره في جمعها و لم يستمتع به، و يبدو أنه سيفني الباقي في حمايتها و الحفاظ عليها.

كان من المنطقي أن يكون مكرم هنا الآن، يحمل عن كاهله هموم تلك المجموعة، يتيح له بعض الوقت لقضاء وقت لا يملأه العمل والكلام عنه، لكن

ولده الوحيد أصبح مدرسًا في الجامعة، هو نفسه يعلم أنه لو كان مكانه لفضل الجامعة على الجلوس بين جدران هذا المكتب الضخم، لكن ما يخشاه هو المصير المجهول الذي سيواجه مكرم بعد وفاته، ماذا سيصنع ذلك الفتى الذي لم يدخل يوما واحدا إلى دنيا المال و الأعمال، و هل يمكن لرجل ذو طابع أكاديمي أن يكون رجل أعمال ناجح، ربما، لكن حتى إن كان مكرم فذًا كما يعتقد فلن يخلو طريقه من المعاناة، هذا ما يحدث دائمًا عندما تغير المياه مسارها، فإن اندفاعها يفقدها من سرعتها، و يعكر من صفوها، حتى و إن سارت فيما بعد في مسارها الصحيح.

دق باب المكتب فقطع عليه هدوئه.

- ادخل

- صباح الخير يا فريد باشا.

قالتها سكرتيرة مكتبه وهي مقبلة عليه تحمل أوراقًا في يدها.

- صباح النور يا رحمة.

- اجتماع مجلس الإدارة اللي حضرتك طلبته هيكون جاهز بعد ساعة

اعتدل في جلسته ثم قال:

- جميل، في مواعيد تانية النهاردة

- أيوة يا فندم في معاد مع الأستاذ نادر المحامي كنت حضرتك طلبته

- طيب، كلمى نادر خليه ما يتأخرش على معاده.

- تمام.

سكتت قليلًا كأنها ترددت في أن تتكلم، لاحظ فريد ياسين أنها لازالت واقفة رغم أنها لم تعتد على الوقوف دون سبب، فوجه كلامه اليها قائلا بعد أن أمسك بالصحيفة مرة أخرى.

- في حاجة تانية يا رحمة

- في واحد قاعد برة يا فندم وعايز يقابل حضرتك.

- مين ده

- أنا معرفهوش ودي أول مرة أشوفه، بس هو بيقول إنه عارف حضرتك شخصيًا، ولما سألته عن اسمه قالي أنا مش هقوله إلا للباشا شخصيًا

- أنا مش فاضي للعب العيال ده هتلاقيه واحد جاي عايز شغل ولا حاجة اتصرفي أنتِ معاه وقولي له إن....

- صباح الخير يا فريد باشا.

قاطع كلام فريد صوت غير صوت رحمة، فرفع نظره نحو باب المكتب، وكان صاحب الصوت رجل يبدو في الخمسينيات من عمره، قصير القامة نسبيًا، بدين بعض الشيء، الصلع منتشر في رأسه إلا في جزء قليل منها، ويرتدي بدلة رمادية اللون، وله شارب كبير.

لم يكن فريد يعرف هذا الرجل، لكنه لا يبدو عليه أنه أحد هؤلاء الذين يطلبون عمل أو إعانات مادية، ولكنه بهذا لم يمنع فريد أن ينفعل ويقول وهو في حالة غضب.

- إيه ده.....أنت مين اللي أذن لك تدخل هنا.

حاولت رحمة تدارك الموقف فقالت بتوتر:

- هو ده يا فندم ال...

- أستأذنك تسيبينا لوحدنا شوية

جاء صوت الرجل مرة ثانية، مما زاد من غضب فريد، وما زاد غضبه أكثر أن رحمة همت بالخروج فعلًا.

- جرى إيه يا رحمة، أنتِ شغالة عند مين بالظبط، وأنت رد عليّ مين اللي سمح لك تدخل هنا.

قالها فريد وقد زادت حدة صوته وغضبه.

- أنا دخلت لأن الموضوع اللي أنا عايزك فيه مهم أوي.

يبدو أن هذا الرجل مصر على وفاته اليوم على يد فريد ياسين، أو أنه يريد أن يراه في أعلى حالات استفزازه.

- وده يخليك تدخل المكتب زي الهمج.

الانفعال والغضب يزدادان في صوته، والرجل يزداد في صوته الهدوء والثقة.

- الله يسامحك، بس لما تعرف أنا مين أنت اللي هتعتذرلي بنفسك.

أحس فريد أنه تسرع في ردة فعله، لكن هذا المستفز هو من دفعه إلى ذلك، فقرر أن يسمع، وأقسم في داخله لو كان هذا الرجل (من إياهم) فسوف تكون ردة فعله قاسية جدًا، فقال وقد نفذ صبره.

- اطلعي برة يا رحمة وسيبينا لوحدنا.

- كده عين العقل يا باشا.

قالها الرجل وقد جلس على المكتب أمام فريد بعد خروج رحمة.

- اسمع لو كنت جاي تضيع وقتي، فأنا مش فاضي لك.

- اهدى بس عليّ شوية يا باشا.

قالها الرجل وقد زادت نبرة صوته حدة، قبل أن يردف:

- أنا جاي لك مجرد مرسال

- مرسال من مين

- ما عنديش أوامر إني أقولك

انفعل فريد مرة أخرى

- ما هو اسمع بقى يا تقول مين اللي باعتك وعايز إيه بسرعة يا إما فعلا هخلي الأمن يرموك برة

عاد الرجل إلى هدوءه مجددًا

- أنا جايلك في صفقة العمر يا باشا صفقة مكسبك فيها مايقلش عن ٥٠٠ مليون جنيه.

- أنت جاي تهزر بقى

- مش تستني أول لما تعرف إيه هي الصفقة الأول ومع مين.

جلس فريد وقد بدأت أعصابه في الهدوء، إنه الآن على استعداد لأن يسمع هذا الرجل الغريب، فلا مانع من سماعه خاصة وأنه ليس لديه ما يشغله لحين موعد الاجتماع بعد أكثر من نصف ساعة

- قول اللي عندك وخلصني.

- (اللوم – المقارنة – النقد) التلات حاجات دول في علم النفس بنسميهم (القتلة الثلاث) وده لأن كل واحد فيهم فعلا كفيل إنه يخلص عليك في أي لحظة لو اتمكن منك.

هكذا بدأ مكرم ياسين محاضرته التي يلقيها على طلبة كلية الآداب قسم علم النفس والتي كانت محاضرته الأولى بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه.

مكرم ياسين هو أصغر دكتور في كلية الآداب فقد تخرج منها قبل سبعة أعوام فقط وكان بالطبع (أول دفعته) بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف وقد حصل على الماجستير في وقت قياسي والدكتوراه في وقت قياسي أكبر وهذا بالتأكيد ما جعل الكثير من زملاءه يغار منه كما يغار منه بعض أساتذته أيضًا فهم يرون أنه

حقق في وقت قصير ما حققوه هم في ضعف هذا الوقت ولكن بالطبع هناك القليل من زملاءه والكثير من أساتذته و الغالبية العظمى من تلاميذه من هم معجبون به.

مكرم ياسين في التاسعة والعشرون من عمره وهو طويل القامة، وشعره أسود كثيف ناعم، وعينين عسليتين واسعتين، ووجه لشخص يحمل شخصية كاريزمية شديدة الذكاء، ولا يستطيع أحد أن ينكر حتى من كارهيه أنه شخص وسيم وجذاب، أضف إلى ذلك أنه مكرم (فريد) ياسين.

اتجه مكرم إلى السبورة وكتب بخط عريض (اللوم)

- اللوم مثلًا، كل واحد فينا عنده جزء من نفس لوامة، ولكن هي طبعًا بنسب بين البشر، في ناس لو غلطت غلطة واحدة ممكن تقعد شهور وربما سنين عشان تقدر تتخلص من لومها لنفسها عليها، وخاصة لو كانت الغلطة دي أثرها باقي، ومن وجهة نظري الشخصية إن الغلطة دي بتكون متوقفة على طبيعة الشخص، وعلى أكتر حاجة بيحبها، فمثلًا في ناس ممكن تنتحر علشان خسرت فلوس، لأن الفلوس بالنسبة لهم هي حياتهم، وفى ناس عاطفيين زيادة عن اللزوم ممكن يموتوا بسبب غلطة هما عملوها في حق حد بيحبوه وأذيته، وهكذا.

أكمل مكرم كلامه عن اللوم ثم اتجه إلى السبورة مرة أخرى وكتب بنفس الخط تقريبًا وكأنه آلة (المقارنة).

- المقارنة وخاصة لو كانت مقترنة بالغيرة فدى بتكون سلاح أشد خطر على الإنسان من الرصاص والنار، لأن الغيرة في حد ذاتها نار، والمقارنة لو مش في محلها فهي بتأدي لحاجة من اثنين يا إما إحباط لو بتقارن نفسك بشخص أعلى منك بكثير، يا إما تخاذل لو بتقارن نفسك بشخص أقل منك بكثير، فلازم تكون عقلاني حتى في مقارنتك....

بعد أن أنهى مكرم كلامه عن المقارنة وبدا أن كل من أمامه مقتنعين تمامًا بما قال.

اتجه إلى السبورة للمرة الثالثة، وبدأ يخط (النقد) بنفس الطريقة وكأنه يكتب على السبورة من خلال هاتفه

- النقد ده بقى كارثة اكب...

قاطع مكرم صوت هاتفه الذي انطلق فجأة.

بالطبع لن يرد فهو قد تعود على هذا منذ أن كان معيدًا وليس معنى أنه قد صار (دكتور) أن يرد على الهاتف في المحاضرة.

جميع أساتذته الذين درسوا له وهو طالب كانوا لا يلقون بالًا لهذا الأمر، فكان إذا دق هاتف أحدهم ترك المحاضرة وربما ترك المدرج كله وخرج ليتكلم في الهاتف، وربما أخذ نصف ساعة أو أكثر أو حتى إلى أخر المحاضرة، ثم يعود ليلملم أوراقه وينظر اليهم بابتسامة ويقول بكل هدوء (أشوفكم الأسبوع الجاي) وكأنه لم يفعل شيئًا و كأن الرد على الهاتف أو حتى إهدار وقت المحاضرة صار حقًا أصيلًا له، كما صار رسوب الطلبة الذين لا يشترون كتابه ولو حتى من باب العجز المادي، وكما صار رمى التقارير التي يقدمها الطلبة في صناديق القمامة دون حتى النظر فيها، وطرد أي طالب من المحاضرة لمجرد أن شكله لا يعجبه!

لكن بالنسبة لمكرم كان هناك ثلاث استثناءات، فهو يرد على الهاتف إذا كان المتصل أحد هؤلاء الثلاثة.

١- والده (بابا)

٢- شقيقته الكبرى (ليلى)

٣- زوجته (روح قلبي)

هذه المرة كانت ليلى، إذا صار خرق القانون الذي وضعه حلالًا

- ثانية واحدة من فضلكم

قالها مكرم وهو يتجه خارج المدرج، فهو بالتأكيد لا يريدهم أن يسمعوا ما يدور بينه وبين أخته فيصير حديث الطلبة بعد المحاضرة.

- لولا....وحشاني أوي أوي أوي

- هتفضل طول عمرك بكاش...لما أنا واحشاك أوي كده ما بتسألش عليّ ليه

- أنتِ عارفة بقى كنت مشغول شوية الفترة اللي فاتت

- أيوة طبعًا ومين قدك يا دكتور

- طب أنا دكتور بعد ٤ سنين دراسة و٧ زيهم بعد الدراسة، انما أنتم يا بتوع طب دكاترة من أول يوم في الكلية

أطلقت ليلى ضحكة خفيفة ثم أردفت

- ماشي يا عم....ما تتأخرش بقى عشان أنا بدأت أجوع و ما فطرتش كويس في المستشفى

- أفهم من كده إنك عندنا في البيت

- من زمان و خالد هيخلص و هيجي على هنا.

- سيبك منك أنتِ وخالد، أحمد حبيب خالو جه من المدرسة ولا لسه

- هي بقت كده، لا يا سيدى لسه ما جاش، بابا بس هو اللي جه

رد مكرم باندهاش

- بابا!!!...وإيه اللي جابه بدرى كده، ده قالي إمبارح إن عنده اجتماع مجلس إدارة وممكن يتأخر

- مش عارفة أنا لقيته جاي و شكله متغير، حتى سلم علينا وطلع على

أوضته على طول وقال لنا هغير هدومي و جاي، ولحد دلوقتي لسه ما نزلش

- أنا لما أجى هشوفه ماله.

- هو بقى له كده كتير ولا إيه

- لا، وعموما ما تشغليش نفسك، تلاقيه مرهق شوية ولا حاجة

- يمكن

- الله أعلم، وعموما أنا لما أجي هنقعد معاه ونفهم، سلام بقى دلوقتي يا لولا عشان أنا عندى محاضرة هخلصها وأجي على طول .

- ماشي يا حبيبي ..سلام

عاد مكرم إلى المدرج وهو لا يستطيع إخفاء ملامح التوتر على وجهه

- وقفنا لحد فين.

جاء الرد سريعًا وجماعيًا

- النقد يا دكتور.

- أه...بالنسبة بقى للنقد.

يجلس فريد ياسين في غرفته وحيدا، ولو كان معه الآن ألف شخص في ذات الغرفة سوف يكون وحيدا، فالوحدة هي أن تكون رأسك مشغولة بما لا يمكن أن تنشغل به غيرها من الرؤوس، وتكون في عالمك الخاص الذي ليس له حدود، ولا يخضع لقوانين الكرة الأرضية .

ماذا عساه أن يفعل فيما عرضه عليه ذلك الرجل، وإن لم يفعل فما هو الحل للخروج من هذا المأزق، هذا هو الشيء المطلوب حسمه خلال الايام القليلة القادمة.

قاطع تفكيره طرقات على باب غرفته

- مين
- أنا ليلى يا بابا
- تعالي يا ليلى
تقدمت ليلى وابتسامتها تعلو وجهها
- إيه بقى يا بابا كل ده و كمان لسه ما غيرتش هدومك
علت على وجه فريد ابتسامة باهتة.
- برتاح شوية يا ليلى من ضغط الشغل
لم تبدو ليلى مقتنعة.
- شغل إيه يا بابا أنت لحقت تقعد في الشركة
فهم فريد أنها تحاول استدراجه ليخبرها عن سبب عودته مبكرًا اليوم فرد بهدوء:
- وهو الشغل في الشركة بس.
أحست ليلى انه لا مفر من السؤال المباشر
- أمال إيه اللي رجعك بدرى
- العصفورة قالتلى إنك جيت
- يا سلام
- شوية مشاكل في الشغل يا ليلى ما تشغليش بالك
- أهم حاجة ما تكونش اتخانقت مع حد أو حد مزعلك.
- لحد دلوقتي لا
قال فريد جملته الأخيرة، وأراد أن يغير مجرى الموضوع
- هو خالد لسه ماجاش

- لا لسه ورنيت عليه ما ردش عليّ.

- يمكن مشغول، لو ماردش عليكِ لحد معاد خروج أحمد من المدرسة ابعتى له رسالة قولي له فيها اننا هنبعت السواق يجيبه.

- حاضر، قوم بقى غير هدومك و أنا هسبقك على تحت.

- ماشي

قامت ليلى واتجهت إلى باب الغرفة وداعبت والدها بابتسامة خفيفة قبل أن تغلق باب الغرفة.

قام فريد لتغيير ملابسه واللحاق بليلى، وعندما نزل وجد مكرم قد عاد من الجامعة و تجلس نهلة (زوجة مكرم) تتوسطه هو وليلى.

وبعدما جلس فريد طلب من الطباخ ان يبدأ في التجهيز للغداء

وطلب من السائق أن يذهب إلى المدرسة ليحضر أحمد، ثم بدأ الكلام قائلًا

- إيه الأخبار يا دكتور مكرم

- الحمد لله يا بابا

قالت ليلى بلهجة قد غلب السرور عليها

- لو ما عندكش مانع يا مكرم نخرج نتعشى برة النهاردة.

لم تكد ليلى تنهي كلامها حتى قالت نهلة

- أه ياريت يا مكرم حتى نغير جو

سكت مكرم قليلًا قبل أن يرد

- في الحقيقة مش هقدر يا ليلى، أنا النهاردة مرتبط بميعاد بالليل.

ردت نهلة متعجبة

- معاد إيه يا مكرم، أنت ما قلتليش عليه

- مفيش يا نهلة رايح قراية الفاتحة بتعت معيد زميلي

زفرت نهلة في ضيق، ثم أردفت

- طيب ممكن أجي معاك الفاتحة دي.

جاء رد مكرم حاسمًا و سريعًا

- لا مش ممكن

- ليه

- دي حاجة على الضيق وكل الزملاء هييجو لوحدهم وكده يعني.

أحست نهلة أن مكرم لا يريدها معه، ولولا أنها تثق فيه ثقة عمياء لظنت أنه يخونها.

- ماشي يا حبيبي

أنهت نهلة كلامها بالجملة الأخيرة، وحينها قال مكرم في رأسه (أنتِ بالذات ما ينفعش تيجى معايا المشوار ده) .

تدخلت ليلى لإنهاء الموقف

- خلاص يا مكرم أي يوم تاني تكون فاضي فيه.

- إن شاء الله

في تلك اللحظة دق هاتف ليلى، وقد كان المتصل هو زوجها خالد.

- إيه يا خالد ما كنتش بترد ليه على موبايلك

- معلش يا حبيبتي حصلت حاجة غريبة جدًا النهاردة لما أجى هبقى أحكى لك عليها، أنا دلوقتي رايح أجيب أحمد من المدرسة.

- لا خلاص إحنا بعتنا السواق يجيبه، بس أنا نسيت أبعت لك رسالة، تعالي على طول

- اوكى يا حبيبتي، مسافة السكة وأكون عندك

بالفعل لم يتأخر خالد أكثر من ربع ساعة، وما إن وصل حتى جلسوا جميعًا على مائدة الطعام وبدأوا يتبادلون أطراف الحديث.

وجهت ليلى سؤالها إلى خالد

- قولي بقى يا خالد إيه اللي حصل

- حاجة عجيبة جدًا، بعد ما خلصت الكشوفات في العيادة الخارجية، ولسه همشى فوجئت بضابط شرطة جايلي وبيقولي (حضرتك دكتور خالد سلطان) قلتله أيوا قالي (طب اتفضل معايا) قلتله طيب أنا عملت إيه قالى (اتفضل معايا) قلتله طيب أنا عملت إيه قالي (اتفضل معايا وهتعرف كل حاجة في القسم)

قاطعه مكرم مستنكرًا

- كالعادة

ولكن ما لفت انتباه مكرم هو أنه لاحظ أن ملامح وجه والده قد تغيرت منذ أن بدأ خالد الحديث.

أردف خالد:

- روحت القسم وفضلوا لاطعني ساعة في أوضة كده لوحدي لحد ما دخلت للضابط وفوجئت بالضابط يسألني عن واحد مريض مات بعد جراحة عملتها له وحسيت كده من طريقة كلامه إنه عاوز يوجه لي اتهام.

شهقت ليلى قبل أن تنطق في ذعر

- وعملت إيه؟

- قلت له يا فندم دي حاجة عادية وبتحصل لأي حد، والعملية دي أصلًا نسبة نجاحها مش كبيرة لقيته بيقولي (يعنى أنت مش شايف فيها أي شبهة جنائية)

قلت له لا طبعًا اللي حصل إحنا كنا متوقعينه والحالة ماتت بشكل طبيعي جدًا، هو في حاجة حصلت جديدة قالي (أيوا يا سيدى أهل الميت قدموا بلاغ بيطلبوا فيه استخراج الجثة وتشريحها، بس طبعًا دي حاجة مش سهلة لازم يبقى في أي قرينة على أساسها يتم استخراج الجثة) قلتله وأنا بأكد لحضرتك إن الوفاة طبيعية قالي (جميل جدًا، حضرتك أمضي على أقوالك، وتقدر تتفضل) بس أنا حسيت بحاجة غريبة ومش طبيعية في الموضوع.

رد مكرم

-عادى يا خالد، يمكن أهل المريض عندهم وسواس وعايزين يتأكدوا.

- لا يا مكرم، الكلام ده صعب جدًا، لأن أهل المريض كانوا مدركين الحالة كويس وعارفين إن الوفاة كانت متوقعة.

- عمومًا يا سيدى مش الموضوع عدى، ما تشغلش بالك بقى.

- على رأيك

قال خالد جملته الأخيرة وهو ينظر إلى طعامه ويبدأ في الاهتمام بالأكل، بعدها ساد الصمت إلى أن انتهوا من الطعام، ثم ذهبوا جميعا للجلوس في جنينة الفيلا، وبدأوا يتبادلون أطراف الحديث، لكن مكرم كان منشغل أكثر باللعب مع أحمد، وفريد كان كما لاحظ الجميع في عالم آخر.

إنها التاسعة ليلًا، الشوارع في وسط البلد لا زالت مزدحمة، لا زال هناك مجموعة من الأصدقاء يمشون ويعلو صوت ضحكاتهم، و هذا الشاب يمسك بيد تلك الفتاة ليعبر بها الشارع، ما زال هذا البائع يحلم ببيع ما تبقى لديه من بضاعة، و هذا الفتى يكتب على الحائط، ومازال هذا الرجل يتسول، وذاك الرجل يتشاجر مع الآخر منذ ساعة تقريبا من أجل أن يعترف أحدهم أنه مخطئ في الحادثة "التي

كادت أن تقع"، ومازال مكرم ياسين يسير بسيارته في وسط هذا الزحام، هو تقريبا لا يراه ففي مثل هذه الليلة المصيرية، لا يرى الإنسان ما يدور حوله ولا يشعر به، هو فقط يفكر، ثم يفكر، حتى وجد نفسه أمام ذلك المبنى العملاق الذي هو قاصده

نزل مكرم من سيارته، واتجه إلى باب العمارة

- مساء الفل يا باشا

قاطعه صوت "الركين" الذي يقف أمام العمارة

- مساء النور

قالها له مكرم وهو يلقى له بمفتاح السيارة

- إن شاء الله هخليها لك بتبرق

ابتسم مكرم ابتسامة خفيفة، فهذا الفتى يستحق الأموال التي يأخذها، فهو يقوم بغسل السيارة، ويقوم بحراستها أيضًا إلى أن يأتي صاحبها، صحيح أنه في بعض الأحيان يشعر أنه فرض عليه أن يدفع لهذا الفتى ولكن لا بأس فعلى الأقل هو فرض مقابل عمل يقوم به، هناك أشخاص كثيرين يعتبر الدفع إليهم فرض ولكن من دون أدنى مقابل!!

توقف المصعد في الطابق العاشر، فتح مكرم الباب و خرج من المصعد متجها إلى الشقة التي يريدها، دخل مكرم الشقة، توجد فوق الشقة لا فتة مضيئة كتب عليها اسم أحد المعامل الشهيرة.

- مساء الخير

- مساء النور يا فندم

- من فضلك عايز التحليل ده

- ثواني يا فندم

انتظر مكرم قليلًا حتى قامت موظفة الاستقبال بطباعة التحليل.

- اتفضل

- شكرًا

نزل مكرم سريعا من البناية، وخرج متجهًا إلى باب سيارته، ناوله "الركين" المفتاح، وناوله مكرم النقود في المقابل

- بس أنا ما لحقتش أعمل حاجة يا باشا

- مش مشكلة حلال عليك

- ربنا يخليك يا باشا

لم يجد "الركين" رد لأن مكرم قد انطلق بالسيارة مسرعًا فهو في الغالب لم يسمع كلامه أصلًا.

في بعض الأحيان يتمنى الإنسان لو تقمص شخصيات أخرى لدقائق معدودة لفعل شيء ما يتقنه هذا الشخص.

يتمنى مكرم الآن لو كان طبيبًا حتى يستطيع قراءة هذا التحليل دون اللجوء إلى الطبيب، من المؤكد أنه ليس من العيب أن يعلم أحدهم بمرضك خاصة إن كان الطبيب، لكن في مثل حالة مكرم، فيتمنى الإنسان لو كان هذا سرًا يقوله لسانه فلا تسمعه إلا أذنه و لا يشعر به إلا قلبه.

وصل مكرم إلى بناية أخرى، وقف بسيارته أمامها وانطلق مسرعًا نحو باب المصعد حتى وصل إلى الدور الخامس، دخل إلى العيادة التي يقصدها

نظر مكرم إلى السكرتيرة، وقال في عجالة

- لو سمحتي بلغي دكتور أسامة إن أنا موجود

ردت السكرتيرة في هدوء

- من غير ما أبلغه يا فندم، هو طلب منى إن حضرتك أول ما تيجى تدخل على طول، أول ما الحالة اللي جوة تخرج هدخل حضرتك على طول

- تمام

جلس مكرم على مقاعد الآنتظار وقد بدا عليه التوتر، أخذ ينظر حوله في ارتباك، ينظر في أعين المرضى، هذا الشاب الذي يبدو أن عمره قريب من عمر مكرم ويحمل في يده تحليلاً يبدو أنه جاء لنفس الغرض، وهذه المرأة المسنة التي تجلس هناك ولا يبدو عليها أي نوع من أنواع التعب وقد وجهت رأسها إلى التلفاز بكل تركيز مع الفيلم الذي يعرض للمرة العشرين بعد المليون وهي تعرف كل كلمة قيلت فيه، وهذا الطفل الذي يجرى ويداعب المرضى ثم يأتي صوت أمه من وراء خطواته "عيب كده يا ميدو".

انفتح باب غرفة الكشف وخرج منها المريض و قبل أن تنطق السكرتيرة كان مكرم قد غادر مقعده

- اتفضل يا دكتور مكرم.

دخل مكرم إلى غرفة الكشف فوجد أسامة صديقه من أيام الجامعة يجلس خلف المكتب، ويرتدي نظارته التي اعتاد أن يرتديها أثناء الكشف

- مكرم أنت فين يا ندل.

قالها أسامة معاتبًا ثم أردف:

- يعنى أنا ما أشوفكش إلا لما تكون جاي تكشف

- يعنى أنت فاضي أوي يا أس، العيادة ما شاء الله ما فيهاش مكان برة

قالها مكرم وهو يجلس أمام أسامة

- الله أكبر أنت جاي تقر

- لا يا عم ربنا يزيدك، المهم شوفلي التحليل ده بسرعة وحياة أبوك عشان أنا خلاص جبت أخرى

أطلق أسامة ضحكة خفيفة

- حاضر حاضر يا عم، ما تقلقش أوي كده

قالها أسامة وهو يلتقط التحليل من يد مكرم

- لا قلقان والله يا أس

- ما تقلقش إن شاء الله خير.

نظر أسامة في ورقة التحليل لثواني، ثوان مرت قبل أن يتغير لون وجهه، عرف مكرم نتيجة التحليل من عينيه

من نظرات عيني أسامة فهم مكرم أنه لا يقرأ التحليل وإنما يفكر في الطريقة التي سيقول بها النتيجة.

أنزل أسامة التحليل من أمام عينيه وهو يحاول الابتسام

- شوف يا مكر..

- حالتي ليها علاج ولا لا يا أسامة

جاء الرد صاعقًا بالنسبة لأسامة.

- الطب بيتقدم كل يوم وطبع...

- ليها علاج ولا لا يا أسامة

لم يجد أسامة مفرًا، هو يعلم مكرم جيدًا، ويعلم أن الآن لا مجال لأي مواساة أو تجميل للكلام

- للأسف يا مكرم

- ما تكملش يا أسامة، تقدر تشوف شغلك

قالها مكرم وقد قام من على مقعده

- استني بس يا مكرم

- أسامة أنا عارف أي كلام أنت ممكن تقوله، بس صدقني أنا محتاج أقعد مع نفسى شوية دلوقتي

- بس يا مكرم أنا ما أقدرش أسيبك في الحالة دي

- ما تقلقش، أنا هبقى كويس، يومين كده وهفوت عليك.

خرج مكرم من غرفة الكشف، وكان كل شيء في قاعة الانتظار كما كان، لا زال الشاب يمسك التحاليل، ومازالت المرأة متجهة إلى التلفاز بكل تركيز رغم أنها تشاهد الفواصل الإعلانية، ومازال ميدو يداعب المرضى، ومازالت أمه تناديه "بس يا ميدو"

لكن مكرم لم يرَ كل هذا، ولم يسمع حتى صوت السكرتيرة التي قالت له (مع السلامة يا دكتور مكرم).

خرج مسرعًا، ركب سيارته، وأخذ يتجول بها في شوارع القاهرة، دون أن يقصد أي وجهة، هو فقط يتجول بالسيارة، لا يريد الذهاب للمنزل، فقط يتجول بالسيارة، لا يرى أي شيء من حوله، فقط يتجول بالسيارة، لا يعلم كم السرعة التي يسير عليها، هو فقط يتجول بالسيارة، لا ينتبه إلى أي إعلانات تلقى عليه، هو يتجول بالسيارة، لا يلتفت إلى أي متسول يناديه في الإشارات، هو فقط....

مر أكثر من شهرين بعد أن علم مكرم الخبر الأسوأ في حياته على الإطلاق، لم يكن يفكر سوى في هذا الأمر، كانت كل حياته تسير بشكل طبيعي في ظاهرها، لكن

قلبه كان يحترق كل يوم، تمامًا كما تغلى الحمم البركانية في باطن الأرض، لا حظ الجميع حوله أنه ليس طبيعيًا والده، زوجته، أخته، حتى تلاميذه لا حظوا أنه يبدو غير مستقر في تلك الفترة، كان يومه يسير بشكل طبيعي ولكن كالآلة، جسد بلا روح، قلب بدون وجدًان، عقل بدون أفكار، كان يذهب إلى الجامعة بشكل طبيعي حتى أنه لم يتغيب لمرة واحدة، كان يلقى المحاضرة كشريط مسجل، لا يتقبل الأسئلة، ولا يسمح بأي تعقيب على كلامه، ويغادر المدرج دون أن يطلب من تلاميذه أي شيء .

ها هو ذا يجلس في حديقة الفيلا، يمسك كتابًا من كتب علم النفس المقربة إلى قلبه، يقرأه بتمعن وكأنه يريد أن يخرج كل طاقاته فيه، يريد أن ينسى الحياة بين يدى هذا الكتاب، يريد أن يسبح في بحر صفحاته وليته يستطيع الغرق فيها.

- مالك يا حبيبي

جاءه صوت نهلة ليقطع حبل الأفكار الممتد بينه وبين صفحات الكتاب، حاول الابتسام قبل أن يقول:

- مفيش، مركز مع الكتاب شوية.

ردت نهلة في ضيق:

- أنا مش قصدي مالك دلوقتي أكيد، أنا حاسة يا مكرم إنك متغير، من يوم قراية الفاتحة بتاعت صاحبك وأنت مش طبيعي

زفر مكرم:

- مفيش يا حبيبي، أنتِ عارفة الجامعة وضغط الشغل والم....

- لا يا مكرم

جاء صوت نهلة في حزم قبل أن تكمل بنفس النبرة:

- أنا اول مرة في حياتي أشوفك كده، عدت علينا ضغوطات كتير من يوم ما اتجوزنا وحتى وإحنا مخطوبين، لكن عمرى ما شفتك كده.

ساد الصمت قليلًا قبل أن يقول مكرم:

- نهلة، في موضوع خطير يخص واحد صاحبي، هو شاغلني شوية اليومين دول، بس ما أقدرش أقولك عليه.

ردت نهلة وهي تعلم أنه يكذب

- صاحبك مين، أساسًا أنت..

في هذه اللحظة جاء صوت هاتفه المحمول، فنظر مكرم إلى الهاتف ثم أردف

- ثواني بس هرد على (مراد):

قالت نهلة بعد أن قامت من على مقعدها

- لا رد عليه براحتك، ونبقى نكمل كلامنا بعدين

أحس مكرم بالضيق من أسلوب نهلة، لكنه في ذات الوقت يعذرها، كما يعذر نفسه في عدم الإفصاح لها عن الحقيقة، رغم أن الأمر يخصها، لكنها الوحيدة التي ينبغي ألا تعلم

- ألو

- ألو إيه يا ميكو، واحشني يا حبيب قلبي

كان مراد صديق مكرم المقرب أيام الدراسة، وهو لا يزال إلى الآن، كان مراد سر مكرم الأمين، شريكه في لحظات فرحه، كما كان يقاسمه لحظات حزنه، وكما كان نفسه التي يتحدث اليها في أوقات ضيقه، وهل للصداقة معنى أسمى من ذلك.

- والله أنت الي وحشاني أكتر يا مراد، إيه يا ابنى، مش هتيجي بقى من شرم الشيخ.

- هانت كلها يومين أو تلاتة بالكثير وأكون عندك، المهم سيبك منى أنا أنت مالك الأيام دي مش مظبط ليه.

- وأنت مين اللي قالك إني مش مظبط؟!!

- يا ابنى أنت ناسي إن أختي في أولى علم نفس السنة دي.

- أه ده أنا متراقب بقى وأنا ما أعرفش

- طبعًا، واعمل حسابك إن كل خطوة هتخطيها في الكلية هعرفها، والأخبار اللي وصلاني إنك مكشر في المحاضرات وما بتسمحش بالأسئلة، ومودك مش مضبوط خالص.

- دي حكاية طويلة يا مراد لما أشوفك هبقى أقولها لك.

- يعنى في سبب

- ومن إمتى أنا بزعل من غير سبب.

- انا قلت برضو إن مكرم ياسين ما يعملش فيه كده غير الشديد القوي.

- أوي يا مراد.

رد مراد وقد بدأ القلق يسيطر على صوته

- أنا كده قلقت أكتر يا مكرم، في حاجة بينك وبين نهلة

- هو لحد دلوقتي مفيش، ولما تيجى هحكيلك كل حاجة.

- ماشي، كلها يومين واللي بفلوس يبقى ببلاش

- بطل لغتك المعفنة دي

أطلق مراد ضحكة خفيفة

- سيبنا لك اللغة الراقية يا ابن الباشا

- ماشي يا عم، أول ما توصل مطار شرم الشيخ كلمني وأنا هستناك هنا في

المطار.

- اتفقنا يا غالي يلا سلام

أغلق مكرم الهاتف وعاد من جديد ليرسل عقله ليغوص بين صفحات هذا الكتاب، مر اكثر من نصف ساعة ولم تأتى نهلة من جديد، لا يهم الحمد لله أنها لم تأتى، فهو لا يملك أي إجابات لإقناعها بالسبب الحقيقي وراء تغييره، وفجأة رن الهاتف من جديد، ولكن هذه المرة رقم لا يعرفه، لا بأس فقد إعتاد مكرم الرد على الأرقام الغريبة ما دام لا يقف أمام السبورة

- ألو

- دكتور مكرم ياسين معايا

- أيوا يا فندم، مين معايا

- أنا دكتور سعيد من مستشفى التاج

- خير يا دكتور

صمت الدكتور قليلًا قبل أن ينطق بجملة واحدة لا تحتمل التأويل.

- البقاء لله يا دكتور.

وصل مكرم ياسين إلى مستشفى التاج، يريد التقدم أكثر، قدماه لا تحملاه، عيناه لا تكفان عن البكاء، ضلوعه لا تكف عن الارتجاف، صوته لا يستطيع المغادرة من بين شفتيه، عقله لا يتوقف عن التفكير

بالكاد وصل أخيرًا إلى الموظفين الجالسين في الاستقبال، تكلم بصوت لا يكاد يسمع.

- غرفة فريد باشا ياسين.

أجاب موظف الاستقبال

- أوضة ١٠٤ الدور الأول، البقاء لله يا فندم

حاول الموظف تعزية مكرم لكنه هز رأسه دون أن يرد أو بالأحرى لا يقوى على الكلام.

انطلق مكرم إلى الغرفة المحددة، كل ما صعدت قدمه درجة من درجات السلم، يرى ذكرى بينه وبين أبيه، وحينما يصعد أخرى يسمع ضحكته تملأ أرجاء المنزل، والدرجة التي تليها يحس بيده تربت على كتفه، وكلما صعد أكثر كلما تذكر أكثر، عندما كنت صغيرا، عندما أهداني أول دراجة في حياتي، عندما أحضر لي ما أريد لمجرد أنه سمعني أشتهيه، عندما ذبح الذبائح بعد نجاحي في الثانوية، عندما غمرني يوم زفافي، عندما، عندما، عندما ،.....

وعندما وصل مكرم إلى الغرفة، وجد ليلى قد وصلت، فمنزلها أقرب إلى المستشفى

رأته ليلى فقامت من مكانها وجرت نحوه، غمرته غمرة تغنى عن أي كلام، كان مكرم يقف كبناء صلب، لا يتحرك فيه أي شيء، لم يرفع حتى يديه ليضم شقيقته، عيناه ثابتتان في موضعهما كجثة محنطة، و لو وقف هكذا لمدة طويلة لتركت أثار أقدامه حفرة في الأرض من شدة ثباتها

- بابا مات ياااا مكرم

صرخت ليلى بين أحضان مكرم

- بابا مات وسابنى لوحدي

معتش ليا غيرك يا مكرم

أنت الوحيد اللي فاضل لي.

لم يتمالك مكرم نفسه في هذه اللحظة، فكلمات ليلى قد فتحت جرحًا

قديمًا غائرًا في صدره، للحظات أحس بالوحدة، تذكر أمه التي رحلت في اليوم الأخير من أيام امتحانات شهادته الثانوية، واليوم قد رحل أبوه كذلك، أحس بما تعنيه ليلى، أحس بالخطر الحقيقي الآن فقط.

اليوم أيها المدلل قد مات والداك
قد تركت اليوم وحدك في صراع
اليوم أيها المدلل تجنى ما تزرع يداك
لم تعد طفلًا لأي احد في البقاع
اليوم يا ولدى وحيدا في الهلاك
قد عرفت اليوم حقًا معنى أوقات الوداع

غمر مكرم ليلى في هذه اللحظة، تحركت مشاعره، تسمع ليلى صوت زفيره العالي، تحس بصدره يعلو ويهبط بسرعة غريبة، وأخيرًا تحرك لسانه.

- أمر الله يا ليلى، أمر الله ولازم يتنفذ، اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه

- يا رب أموت قبلك يا مكرم، عشان مش هستحمل أنت كمان تروح مني.

كانت الجملة الأخيرة بمثابة الصدمة لمكرم

- أنتِ مش هتستحملى، و أنا اللي هستحمل

لو أنا موتت قبلك هبقى ميت، و لو أنتِ موتى أول هبقى برضو ميت.

كلمات قالها مكرم لم يعد بعدها مجالًا للكلام، عرف كل منهما في هذه اللحظة أنه لم يعد له من الدنيا إلا الآخر، ربما كان كلامهما فيه نوع من المبالغة،

إلا إنه يعبر عن جزء كبير من الواقع.

في اللحظات الصادمة يقول الإنسان كلامًا غريبًا، أو حتى يمكن أن يتخذ قرارًا طائشًا لا يفهم معناه، لكن المشاعر الصادقة لا تتجلى بكامل بهائها إلا في تلك اللحظات.

- دكتور مكرم

هذه المرة كان صوت الطبيب

التفت مكرم إلى الطبيب، وبوجه شاحب أجابه

- أيوا يا دكتور

- حضرتك ممكن تدخل تبص على المتوفي مرة اخيرة قبل تجهيزه، مدام ليلى رفضت تدخل إلا في وجود حضرتك.

هز مكرم رأسه بالإيجاب، واصطحب ليلى إلى الغرفة التي كان فيها والده.

بعد قليل خرج كليهما من الغرفة، لم يروَ مكرم لأي شخص ما حدث بالداخل، هي الذكرى الأخيرة له مع والده، بالتأكيد لن ينساها، ولكنه أيضًا لا يريد أن يتذكر والده في تلك اللحظة، تبا للمشاعر المختلطة عندما تتصارع في صدر الإنسان.

توجه مكرم ناحية الطبيب وسأله

- عم بهيج السواق أخباره إيه

- ادعوا له بالرحمة

هز مكرم رأسه حزنا

- مين اللي جابهم المستشفى؟

- الناس اللي كانوا على الطريق وقت الحادثة

- والحادثة حصلت إزاي

- اللي شافوا الحادثة بيقولوا إنهم كانوا ماشيين على الطريق عادى وفجأة فقدوا السيطرة على العربية واتقلبوا بيها.

هز مكرم رأسه ثانية

- دكتور، أرجو من حضرتك إن محدش من الإعلام يأخذ خبر عن أي تفاصيل

- تحت أمرك يا دكتور مكرم، بعد إذنك

بعد الانتهاء من تجهيز الميت، خرج مكرم من المستشفى، وفى هذه اللحظة وجد جمعا غفيرا من الصحفيين في انتظاره، استوقفوه، وتوالت عليه الأسئلة.

(دكتور مكرم ايه ملابسات الحادثة بالتفصيل؟)

(دكتور مكرم حضرتك بتشكك إن الحادث مدبر؟)

(دكتور مكرم هل المرحوم كان له أعداء؟)

(دكتور مكرم إيه مصير المجموعة بعد وفاة والدك؟)

لكن مكرم لم يجب عن أي أسئلة وشق الصفوف باتجاه سيارته، وانطلق سريعًا نحو المنزل.

أقيم العزاء في الفيلا لمدة ثلاثة أيام، حضر كثير من رجال الأعمال، والشخصيات العامة، لتقديم واجب العزاء، نشرت عشرات العزاءات في الجرائد، أما بالنسبة لعائلة ياسين فجاءة منها الكثير لكن مكرم لم يكن يعرف منهم سوى عمته نادية و ولداها حميد و محمود.

بعد يومين من انتهاء العزاء و بينما كان مكرم يطالع إحدى الكتب في غرفته، جاءه عم محروس

- مكرم باشا، الرائد حسن اللي ماسك قضية فريد باشا الله يرحمه طالب يقابل حضرتك ومستني حضرتك تحت.

- طب روح أنت، وأنا هغير هدومي، وأنزل له، وشوفه يشرب إيه.

بعد خمس دقائق نزل مكرم من غرفته، كان الضابط ينتظر في بهو الفيلا، تقدم إليه مكرم وسلم عليه، وبالطبع لم ينسى الضابط تقديم واجب العزاء بكلمات سمعتها أذن مكرم ألف مرة في الخمس أيام الماضية.

- خير يا فندم

- الحقيقة يا دكتور مكرم مش عارف هو خير ولا شر

- يعنى إيه

- يعنى فرامل عربية والد حضرتك كانت مفكوكة بفعل فاعل

اتسعت عينا مكرم من الاندهاش

- معنى كده إن الحادث كان مدبرًا!!!

- بالظبط كده يا دكتور.

- بيقولوا هيجي النهارده

هكذا ردت دينا على سؤال صديقتها وزميلتها في العمل منار عندما سألتها

- هو مكرم ياسين هيستلم الشركة امتى

وهكذا كان تساؤل كل العاملين في الشركة، بل وفى مجموعة ياسين كلها، بالطبع تساؤلات وشكوك تحوم في نفس كل شخص فيهم، كيف سيدير مكرم المجموعة، كيف ستكون معاملته مع موظفيه، كيف سيتمكن من التصدي للعقبات التي ستواجهه في البداية

لم يكن العاملين في مجموعة ياسين وحدهم من ينتظرون، بل الشركات

المنافسة أيضًا، والسوق بشكل عام، واحدة من أكبر المجموعات في مصر عندما تتعرض لتغيير في الإدارة، خاصة و أنهم يعلمون جيدًا أن مكرم كان خارج ذمام المجموعة بالكامل، فبالتأكيد أن الأمر لن يخرج عن شيئين إما ان تكمل الادارة الجديدة بنفس مبدأ الادارة القديمة وبالتالي ستسير الأمور كما كانت، وبالتأكيد إن كنت من معسكر الخصوم فستتمنى أن يكون عامل خبرة مواجهة الأزمات هو الفيصل، وإما أن يتم تطبيق فكر جديد وهنا إما أن ترتفع المجموعة وتصعد كالصاروخ، واما أن يكون فكر جديد متهور فيجهز على المجموعة .

على كل حال الجميع ينتظر...

وصل مكرم ياسين إلى مقر المجموعة، دخل فوقف الموظفون جميعًا لتحيته وتقديم العزاء له، وكان بجانبه بعض من أعضاء مجلس الادارة، وعندما وصل إلى مكتب والده، الذي أصبح من الآن مكتبه ومقر عمله، وجد رحمة أمام الباب، فتحت رحمة الباب عند وصول مكرم وبالطبع لم تنسى تحيته وتقديم واجب العزاء كالجميع

دخل مكرم إلى مكتب والده ثم توقف فجأة، وأخذ يتجول ببصره في أنحاء المكتب، ويتذكر والده وذكرياته معه في هذا المكتب.

لم يطل الوقوف وتقدم وجلس على المكتب، فجلس أمامه أعضاء مجلس الادارة المرافقين وقال أحدهم:

- نورت المجموعة يا دكتور مكرم

رد مكرم وقد بدا عليه الضيق

- والله يا أستاذ ياسر خايف أضلمها ما أنورهاش

- لا ما تقولش كده يا دكتور، أنت بس قلقان عشان لسه في البداية، لكن

مع الوقت، هتقدر تواكب الوضع

- عموما يا أستاذ ياسر، أنا عايز اجتماع عاجل لمجلس الادارة، عشان نشوف هنعمل إيه في المرحلة الجاية، أنا عايز الأمور تمشى بشكل طبيعي، وكأن بابا الله يرحمه لسه موجود.

- أكيد يا دكتور .

- حضرتك تحب أروح لمكرم امتى

قالها الرجل البدين ذو الشارب الكبير لآخر يجلس خلف المكتب

- استني شوية، سيبه لما يستقر و الأمور تمشى معه، وبعد كده ابقى روح له

- ما ندق ع الحديد وهو سخن يا باشا

- غبي

قالها الرجل خلف المكتب وهو يضرب بيده على المكتب.

- أنا قلت سيبه لما يستقر، وبعد كده اللي أقولك عليه تنفذه وأنت ساكت

- حاضر، حاضر يا باشا.

دخلت رحمة على مكرم وهو جالس على مكتبه

- دكتور مكرم

- خير يا رحمة

- أستاذ مراد مستني حضرتك برة

- خليه يدخل فورًا

خرجت رحمة، فوقف مكرم وتقدم باتجاه الباب لاستقبال مراد، وما إن دخل مراد إلى المكتب، حتى غمر مكرم بشدة.

- البقاء لله يا مكرم

- الدوام لله

- سامحني ما قدرتش أجي الجنازة، الشغل بقى زي ما أنت عارف

- أنا مقدر يا مراد ومش زعلان منك

جلس الاثنان على المكتب، فبدأ مراد بالحديث

- المهم أنت أخبارك إيه دلوقتي.

- الحمد لله، أهو شغل المجموعة هنا، مع شغل الجامعة، خلوني أنسى شوية.

- إن شاء الله تكون أخر الأحزان يا مكرم

ابتسم مكرم ابتسامة خفيفة.

- يا أخي نفسى إحنا كمصريين نبطل نقول الكلام الأهبل ده، أخر الأحزان إزاي يا مراد، عشان تكون أخر الأحزان لازم أنا أموت قريب، لأن طول ما الحياة مستمرة في أفراح و طبعًا في احزان

- يا عم أهو أي كلام بنصبر بيه نفسنا

- على رأيك، المهم دلوقتي أنا عايزك في حاجة مهمة.
- حاجة إيه؟
- عايزك معايا
- فين
- أكيد مش في البيت، عايزك معايا هنا في الشركة

أجاب مراد باندهاش

- يا ابنى أنا مهندس نظم وحاسبات أعمل إيه هنا
- عارف إنك مهندس، بس أنا عايزك معايا عضو مجلس إدارة.

زاد اندهاش مراد

- مكرم أنا عمرى ما كنت بفهم في الإدارة
- يا أخي هي كيميا، هتحضر معانا كام اجتماع في الاول، وهتفهم القصة بتمشي إزاي .

صمت مكرم قليلًا ثم أردف

- وكمان في حاجة تانية
- في إيه تاني
- أنا هنزل رحمة تحت في العلاقات العامة، وعايزك تبقى مكانها، وتعمل شغلها.
- نعم!!!!!، هتشغلني سكرتير كمان.
- ما تاخدهاش كده، قول مدير مكتب
- مكرم أنت بتهزر صح
- ما بهزرش ولا حاجة، أنت عارف إني ما بحبش أشتغل مع ستات،

وبصراحة ده مكان حساس وعايز حد ثقة.

صمت مكرم مرة أخرى قبل أن ينظر في عيني مراد ويردف بنبرة تحمل شيئًا من الرجاء.

- مراد ..أقف جنبي

ساد الصمت للحظات قبل أن يقول مراد

- طب اديني فرصة أفكر

- ماشي، معاك أسبوع من دلوقتي، وكمان أنا عارف إن أنت لسه جاي من شرم ومحتاج إجازة

- والله عندك حق، أنا فعلا محتاج إجازة.

- خد يا عم أجازتك براحتك وفكر براحتك، وأنا مستني موافقتك بعد أسبوع.

أطلق مراد ضحكة خفيفة قبل أن يردف

- ماشي

اليوم مليء بالأشياء الواجب فعلها، ليت الأعمال تأخذ الأحكام الشرعية الخمسة، فيكون هناك أعمال واجبة النفاذ، وغيرها حرام فعلها، وأخرى مكروهة، ويكون هناك الأعمال المندوبة، أما بالنسبة لفكرة الأعمال المباحة فهذه موجودة بالفعل، ولكنها تختلف من شخص لآخر أو من عقل لآخر أو لأكون دقيقا تختلف من فكر لآخري

جلس مكرم يفكر في حجم الأعمال التي أمامه، وحينها تذكر والده، كيف كان يحمل كل هذا العبا وحده، لماذا لم يطلب منه مساعدته يوما ما، بحجم الأعمال التي يراها أمامه الآن فقد كان في احتياج من يحمل معه، لذا فكر مكرم في مراد،

ربما فكر والده فيه كما يفكر هو في ليلى الآن، فهو لا يريد أن يشغلها عن عملها، أو يكبدها ما لا تطيق.

قاطعت رحمة تفكيره عندما دقت الباب لتستأذن في الدخول

- ادخل

دخلت رحمة وتقدمت نحو مكرم

- أستاذ ياسر مدير الحسابات بعت لحضرتك الورق ده عشان تراجعه

- ماشي، شكرًا يا رحمة

- أه وفى واحد جه سأل على حضرتك بعد ما حضرتك مشيت إمبارح

رد مكرم باندهاش

- واحد مين ده

- مش عارفة اسمه بصراحة، بس هو رجل قصير شوية و تخين و عنده شنب كبير، جه هنا لفريد باشا حوالى ٣ مرات قبل كده.

ازداد اندهاش مكرم فسأل

- وقالك ايه الراجل ده

- ما قالش اكتر من "مكرم باشا موجود " قلتله "لا" قالي " خلاص أنا هبقى أفوت عليه وقت تاني"

- بس كده

- أيوا يا فندم

بدأ الشك يساور مكرم حول هذا الرجل، كيف يفكر في أن يأتي إلى هنا لمجرد أن يسأل عن وجودي، كان يمكنه الاتصال قبل المجيء، و طالما لم تكن هذه زيارته الأولى فبالتأكيد هو يعلم كيف يمكنه معرفة وجودي من عدمه، في حقيقة

الأمر هذا الرجل يراقبني، هو يريدنى أن أسعى خلفه و اتقصى حقيقته، وطالما هو يريد هذا، فلن أفعله

- بصي يا رحمة، لو الراجل ده جه تاني وأنا موجود سيبيه ملطوع عندك شوية قبل ما يدخلي، ولو جه وأنا مش هنا اسأليه عازوني في ايه، أو على الأقل خدى منه الكارت بتاعه.

- مفهوم يا فندم

قالتها رحمة، وبعدها خرجت من المكتب.

أخذ مكرم يتذكر الأوصاف التي ذكرتها رحمة، رجع بذاكرته إلى الوراء قليلًا، إلى يوم العزاء، لقد رأى مكرم هذا الرجل من قبل، أو ربما لا يكون هو، الأوصاف التي ذكرتها تنطبق على نصف الشعب المصري تقريبًا، جاء ليقدم واجب العزاء، لم يره مكرم قبل هذا اليوم، ترى ماذا يريد منه هذا الرجل

هذا لا يهم الآن، فهناك الكثير من العمل يجب إنهائه.

استيقظ مكرم من نومه مبكرًا كعادته، هو دائمًا ما يعتقد أن النوم خلق من أجل أن يكون عاملا مساعدا على الراحة، ومن ثم الاستيقاظ لبداية يوم جديد والاستمتاع به، ليس كما تعتقد نهلة أن النوم متعة في حد ذاته، هكذا اختلفا على ماهية النوم، ولم يكن الشيء الوحيد الذي اختلفوا عليه، فبالفعل هم يختلفون في أشياء كثيرة، لكنهما الآن زوجان وهذا ما يهم مكرم.

لم يكن زواجهما سهلاً، فمكرم قد جذبته تلك الفتاة بشدة في الأسبوع الأول بين أسوار الجامعة، لم يكن مكرم قد قرر أن يغوص في بحر حبها منذ البداية، لكنه كان يحب رؤيتها، يحب سماع صوتها، كان يحب ابتسامتها وغضبها، يحب ألوان ملابسها، ولا يدرى ما الذي يصيبه في اليوم الذي لا تتشرف الجامعة

بحضورها فيه، لكنه لم يعترف بحبها.

حتى جاء ذلك اليوم الذي طرقت فيه ليلى باب غرفته وهو منهمك في مذاكرته

سمع مكرم الطرقة الثالثة ظنا منه أنها الأولى

- تعالى يا ليلى

دخلت ليلى إلى الغرفة فاستقبلها صوت العندليب (حرام نسكت على قلوبنا حرام الشوق يدوبنا)

- كل ده عشان ترد، ده أنا فكرتك نمت

قام مكرم بإيقاف الأغنية

- أنتِ بتخبطي بقى لك كتير.

- أنت ما رديتش إلا بعد تالت مرة

ثم أردفت بلهجة ماكرة:

اللي واخد عقلك

رد مكرم مبتسما

- واخد عقلي مرة واحدة

ضحكت ليلى بصوت عالي هذه المرة ثم أردفت:

- يعنى قافل على نفسك ومشغل عبد الحليم و سرحان و ترد عليّ بعد تلت خبطات وعايز تقنعني مثلًا إنك سرحان في مبادئ علم النفس

لم يستطع مكرم أن يدارى ابتسامته

- هتخبي على لولا.

- يا سلام دلوقتي بقيتِ لولا في ثانية، لما تكوني عايزة تعرفى حاجة لو هتعدي

البحر عشان تعرفها هتعديه.

- أنا كده يا ميكو

رد بلهجة ساخرة

- لا خالص طبعًا، وأولًا أنا اسمى مكرم مش ميكو، ثانيًا أنتِ لو ذكائك قد فضولك كنت عدلتي على نظرية النسبية.

ضحكت ليلى مرة أخرى ثم أردفت

- مش هتقولي بقى

- أقولك إيه

- تقولي أنت بتفكر في مين

صمت مكرم قليلًا قبل أن يردف

- والله هو مش بفكر أوي يعنى، يعنـــى، بصي يا ليلى

- بصيت

- هو أنا بحب أشوفها، وبحب أسمع صوتها، وبتحجج بأي حجة عشان أروح المكان اللي هي بتبقي موجودة فيه، ومشيت وراها بالعربية لحد ما عرفت هي ساكنة فين:

ردت ليلى بلهجة ساخرة

- وإيه كمان

- ولقيت أبوها عنده محل قماش، فاتحه تحت العمارة اللي هي ساكنة فيها، واتلككت مرتين عشان أتكلم معاه

- بس كده

- لا، وأي حاجة عايز أعملها في شئون الطلبة بستنى لما هي تروح عشان

أعملها، وأي مجموعة في أي حاجة هي بتشترك فيها أنا بشترك فيها

ثم صمت قليلًا:

- ليلى هو أنا كده بحبها

- لا خالص

قالتها ليلى ثم انفجرت من الضحك، الغريب في الأمر أن مكرم كان مندهشا

- أنتِ بتضحكي على إيه

قالت وهي ما زالت تواصل الضحك

- على عبطك، أنت كل ده ولسه بتسأل أنت بتحبها ولا لا، ده أنت واقع ومحدش مسمى عليك

- مش للدرجة دي يعنى

- يا ابنى أنت بتستهبل، ده أنت ما بتعملش حاجة واحدة إلا ومعناها إنك بتحبها

زفر مكرم زفرة خفيفة

- تفتكري أعمل إيه يا ليلى

- بص، لولا إن أنا عارفاك كويس وعارفة إنك مش بتاع كلام من ده كنت قلتلك قولها إنك بتحبها

ابتسم مكرم ابتسامة خفيفة:

- كويس إنك عارفاني

- خلاص يبقى مفيش قدامك غير حل واحد

فهم مكرم ما ترمى ليلى إليه

- أنتِ عارفة إن لسه بدرى على الخطوبة.

- ولا بدرى ولا حاجة

- طب ما أنا كمان عايز أتأكد من مشاعرها نحيتي

- خلاص اتقدم لها، ولو وافقت يبقى بتبادلك نفس الشعور.

- طب ولو رفضت يا ناصحة:

- خلاص، يبقى مفيش نصيب.

نعم!، (مفيش نصيب) لا يجسر إنسان أن يعترض على تلك الجملة، فمجرد اعتراضك عليها يعنى اعتراضًا على إرادة الله، كلنا نقولها في مختلف الأوقات، لكنها تكثر في الحزين منها، جملة المواساة الأشهر في مواقف الخيبة لم يستسيغها مكرم، هو لم يمتعض، لكنه حقًا لا يتخيل العيش بدون هذه الفتاة.

ساد الصمت قليلًا، وغاص مكرم في خيالاته قليلًا

- طب تفتكري هي خدت بالها منى

انفجرت ليلى من الضحك مرة اخرى

- ده اللي أنت قلته ده مش زمانها خدت بالها منك دي زمانها شردتك وسط صحباتها.

قالتها ليلى وهي تضحك وواصلت الضحك

نظر إليها مكرم وهو يحاول أن يضحك ولكنه لا يستطيع

- طيب على أوضتك يا أم دم خفيف

زادت نبرة ضحك ليلى

- ليه يا ميكو، أنت زعلت

جذبها مكرم من ذراعها وهو يقول

- لا ما زعلتش ولا حاجة، أنا بس عندي مذاكرة كتير قد الخفة اللي في دمك

خرجت ليلى من باب الغرفة وهي ما زالت تواصل الضحك

- تصبح على خير يا روميو

- ماشي يا زينات يا صدقي

قالها مكرم ثم أغلق باب الغرفة، جلس على سريره، ثم أعاد تشغيل الأغنية (حرام نسكت على قلوبنا، حرام الشوق يدوبنا)

بعد مرور أكثر من شهرين على تواجد أي شخص في مكان معين أو في منصب معين يفهم الشخص نفسية هذا المكان.

هذا ما كان يفكر فيه مكرم وهو يجلس في مكتبه وحيدا وسط الأوراق، لا يكسر مله إلا قراءتها، ولا يداعب أذنه سوى صوت تقليبها.

يحاول مكرم فرض أسلوبه على الشركة، على العاملين فيها، حتى على المتعاملين معها، رؤيته ووجهة نظره قد تختلف كثيرًا عن والده، لكنه مقتنع بها تمامًا ولا يريد التعامل إلا بها.

حتى الآن لم يتأخر مكرم في أي صفقة قد تعاقد عليها والده، ولا في ميعاد دفع أي أموال لأصحابها، كل شيء يسير كما لو كان فريد ياسين نفسه هو القائم بتلك الأعمال، لا ينكر مكرم أن الفضل في ذلك بعد الله – سبحانه وتعالى – لا يعود إليه أولا وإنما إلى ياسر و رحمة و غيرهم من العاملين في المجموعة، فهم يعرفون ما يجب عليهم فعله، أو ما الذي كان سيطلبه والده منهم في كل المواقف التي مرت خلال الشهرين الماضيين، لكنه يرى أن الوقت قد حان لفرض أسلوبه على كل شيء في هذا المكان.

حتى على من ينفذون طريقة وفكر والده

لكن لكي تفرض هيمنتك الفكرية على مكان معين لا بد وأن يكون هناك أشخاص تحت قيادتك يفكرون بنفس الطريقة، أو على الأقل مؤمنين بما تفعله، لهذا فكر مكرم في الاستعانة بصديقه مراد، فهو يعرفه من أيام الجامعة، ويعلم أنهما متشابهان في التفكير.

قام مكرم من على مكتبه واستعد للذهاب للجامعة، فرغم انشغاله الكبير بالمجموعة إلا أنه لم يترك محاضرة واحدة لم يذهب إليها، فهو يحب عمله في الجامعة كثيرًا، ولا يوجد لديه نية للتفريط فيه، فهو لم يصل إليه بسهولة أو عن طريق الواسطة كما يفعل الكثيرين.

❋ ❋ ❋

بعد أن أنهى مكرم محاضرته، ركب سيارته متجها إلى الشركة.

أخرج هاتفه المحمول من جيبه وقام بالاتصال بمراد.

- ألو

- أيوا يا مراد

- أيوا يا مكرم

- إيه يا عم هو الأسبوع بتاعك كام يوم.

أطلق مراد ضحكة خفيفة

- تصدق بالله أنا كنت بالبس عشان جاي لك الشركة دلوقتي حالا

- أفهم من كده إنك وافقت

- هو معنى إني أجى لك الشركة إني كده وافقت

رد مكرم مازحًا

- أمال معناه إيه، إن إحنا أصحاب مثلا وجاي تقعد معايا

ضحك مراد مجددًا

- ماشي يا عم، عموما لينا كلام تاني لما نتقابل في الشركة.

- أوك هستناك

- أنت صوتك برة أصلًا

- أه، ما أنا لسه مخلص المحاضرة ورايح الشركة دلوقتي

- يبقى أنا اللي هستناك بقى

- مش عارف....احتمال، أصل أنا كمان ممكن أشترى شوية حاجات في طريقي.

- حاجات إيه، لو هتجيب أكل هاتلى معاك

في تلك اللحظة شعر مكرم بشيء غريب، فهناك سيارة تتبعه منذ أن خرج من الجامعة، هو يراها منذ البداية، لكنه عندما غير طريقه تبعته، وعندما غيره للمرة الثانية كانت ورائه أيضًا.

هذا الأسلوب القديم في التتبع الذي كان يستخدمه فريد شوقي عندما يبعثه زكى رستم (رئيس العصابة) لمراقبة أحدهم، فيتبعه بالسيارة إلى أن يكتشف المراقب، و يهرب منه، هذا الشخص يتبع نفس الأسلوب مع مكرم، لماذا لم تتعلم من فريد شوقي.

- مراد في عربية ما شية ورايا من ساعة ما طلعت من الجامعة

- عربية.....شكلها إيه العربية دي

- عربية ملاكي لونها فضي، بس طبعًا مش قادر أشوف الأرقام من هنا، ده

غير كمان إني مش متأكد إنها ماشية ورايا.

- طب وبعدين

- اقفل دلوقتي ونتقابل في الشركة

انطلق مكرم بسيارته ليغير طريقة للمرة الثالثة، هذه المرة أيضًا السيارة خلفه

- كده بقى الحكاية بقت واضحة

قالها مكرم في نفسه

توقف مكرم عند أحد المتاجر الكبيرة ليرى رد فعل السيارة الفضية، لم يتردد سائق السيارة أن ينطلق بجوار سيارة مكرم من دون حتى أن يهدئ من سرعته.

- لا ناصح.

الرجل فهم أن مكرم كشف مراقبته له، فلم يتوقف حتى لا يحول الشكوك إلى يقين، وحتى لا يتمكن مكرم من قراءة لوحة السيارة، وحتى لا يرى مكرم وجهه فلا يتمكن من مراقبته في أي مكان آخر.

بالفعل نجح الرجل في كل هذه الأمور إلا في أمر واحد.

أخرج مكرم هاتفه المحمول وسجل رقم السيارة بسرعة، ثم دخل إلى المتجر، واشترى ما يريد، ثم اتجه إلى الشركة لكن هذه المرة من دون سيارة فضية حمقاء تسير خلفه.

وجد مراد ينتظره فور دخوله إلى مكتبه

- إيه بقى لك كتير مستني

- لا خالص، ده حتى القهوة اللي طلبتها لسه ما وصلتش

جلس مكرم على مكتبه، تنهد تنهيدة خفيفة ثم بدأ بالكلام.

- أنا جبت رقم العربية

- إزاي!

- لما وقفت عند السوبر ماركت، لقيته جرى من جنبى، بس الحمد لله قدرت أخد الرقم

- وهتعمل إيه دلوقتي

- أنا ليا ناس في المرور وهعرف دي عربية مين

- حاجة غريبة فعلا مين اللي بيراقبك، وبيراقبك ليه.

- عمومًا كل حاجة هتبان لما نعرف مين صاحب العربية، المهم طمني عليك

- أنا الحمد لله كويس

سكت مكرم قليلًا، ثم ابتسم

- خدت قرارك

هز مراد رأسه بالإيجاب

- شوف يا مراد قبل ما تقول قرارك لازم تبقى عارف إني مش هزعل منك لو رفضت، في النهاية دي حياتك وأنت حر

- وأنا من امتى رفضت لك أي طلب عشان أرفض المرة دي

ابتسم مكرم من جديد

- يعنى أنت وافقت

- أنا موافق من أول لحظة

- أمال إيه اديني فرصة أفكر، وعملتلي فيها عم المهم

- يا أخي بتراخم عليك شوية.

- ماشي يا عم الرخم، أنت بقى هتبتدي الشغل من دلوقتي، رخامة بقى

ضحك مراد ضحكة طويلة

- أمال أنا جاي ليه

- ماشي

قالها مكرم ثم رفع سماعة الهاتف وطلب رحمة

- تعالى يا رحمة

قالها مكرم بعد أن دخلت رحمة إلى المكتب

- رحمة أنا عارف إن أنتِ مخلصة جدًا للشركة، ومقدرش أنكر لولا وقفتك جنبي كان هيبقى ناقصنى حاجات كتير

- ميرسى يا دكتور، بس ليه الكلام ده

- رحمة أنا هرقيكى، هخليكى في العلاقات العامة في الشركة، وهخلى مرتبك الضعف

اندهشت رحمة من هذا القرار، لم تستطع أن تخفى فرحتها، لكنها أيضًا لا تفهم ما سبب هذا القرار

- المهندس مراد هيشتغل مكانك، وتقدرى تستلمى شغلك الجديد من دلوقتي لو حابة

صمتت رحمة قليلًا قبل أن تجيب

- من دلوقتي صعب، لكن ممكن من بكرة

- جميل، دلوقتي تقدرى ترجعى لمكتبك لأخر مرة

ابتسمت رحمة قبل أن تقول

- بعد إذنك يا دكتور

خرجت رحمة من المكتب، وما إن أغلقت الباب ورائها حتى خرج صوت مراد الخافت قليلًا

- شكلها زعلت

رد مكرم في هدوء شديد

- وتزعل ليه، بالعكس هي فرحت جدًا، في العلاقات العامة يعنى شغلها هيبقى أسهل، ده غير إن مرتبها هيزيد، يبقى إيه اللي يزعل في كده

- يعنى أنت شايف إنها ما زعلتش

- طبعًا لا، المهم دلوقتي سيبك منها، أنت من بكرة هتستلم مكتبها

- طب والنهاردة

- هتقعد معايا هنا

- هقعد أعمل إيه

- هتعمل الشغل اللي هديهولك

- هو أنا عارف حاجة

- ما أنا هعلمك

قاطع حديثهما صوت هاتف مكرم، إنها نغمة خاصة قد خصصها لنهلة.

- ألو

فاجأته النبرة التي تتحدث بها نهلة

- مكرم حبيبي

كان صوتها وكأنه يحمل كثيرًا من الفرح

- أيوا يا قلبى

- قلبك جامد

- حديد

سكتت نهلة قليلًا قبل ان تنطق بأسعد ما سمع مكرم في حياته

- أنا حامل.

انتفض مكرم من مكانه، وقف ودار حول المكتب دون أن ينطق بكلمة، ساوره الشك للحظات، كيف....و التحاليل التي تقول أنني لا أنجب....لا بد أن هناك خطأ ما، الواقع يتكلم الآن و الحقائق هي التي تحكم، فنهلة بالفعل...حامل

- أنتِ بتتكلمي جد، أنتِ روحتي للدكتور و أكد لك.

- أيوا أكد لي وقالي إني حامل في تلت شهور

تنهد مكرم عدة تنهيدات متتالية

- الحمد لله، الحمد لله، نهلة .....ما تتعبيش نفسك خالص، ارتاحي على الآخر

لا يستطيع الكلام من كثرة التنهيد من شدة الفرح، ومراد قد فهم الآن بعد جملة مكرم الأخيرة

- أنا هجيلك دلوقتي على طول...سلام

أغلق مكرم الهاتف، وأخذ مفاتيحه من على مكتبه ونظر لمراد

- ياللا أنا لازم أمشى دلوقتي

ابتسم مراد ثم قال

- ألف مبروك يا مكرم

- الله يبارك فيك، هتيجى معايا ولا هتروح

- لا أجي معاك فين، أنا هروح ومن بكرة الصبح هكون على مكتب رحمة.

خرج الاثنان من الشركة معًا ركب كل منهما سيارته واتجه إلى منزله أخرج

مكرم هاتفه المحمول.

- عم محروس، كلم الجزار قوله يجهز أكبر عجلين عنده ويجيبهم ويجي على الفيلا.

أغلق مكرم الهاتف، وأكمل طريقه وكأنه لا يعرف القيادة، وكأنها أول مرة يقود فيها سيارة، مشاعر الفرح تملأه، لكن هناك شيء ما يشغله في وسط هذه الفرحة، ويجعل فرحته منقوصة

- أنا لازم أروح لأسامة تاني

قالها في نفسه وهو يكمل طريقه الذي يشعر أنه طويـــل جدًا هذا اليوم.

ما أجمل أن تسيطر الفرحة على مكان ما، أن تكون روح المكان إيجابية بالقدر الذي يجعل أشد الناس يئسًا تبث فيه روح الأمل من جديد، ما أجمل ان تشاهد كل من حولك يبتسم، حتى الأشجار والزهور تبتسم، ولكن الأجمل أن تكون أنت صاحب هذه الفرحة، خاصة ولو كانت فرحة قد انتظرتها طويلًا.

يستحق مكرم كل هذه الفرحة فقد تمنى هذا لسنين، بات يحلم بتلك اللحظة، دعا الله في كل سجدة سجدها من أجل ذلك اليوم، كان يحس بالانكسار كلما رأى طفلًا، كلما علم أن أحد أصدقائه قد رزق بمولود جديد، اليوم فقط هو يشعر أنه ملك الدنيا بما عليها، يشعر أنه أسعد مخلوق على وجه الأرض

بات مكرم ليلته يصلى، ذبح الذبائح، تصدق بمبلغ كبير، أعطى لكل موظفي المجموعة زيادة على مرتباتهم فرحا بتلك المناسبة، متمنيا أن يديم الله عليه هذه الفرحة إلى الأبد.

على الجانب الآخر كانت نهلة لا تملك عقلها من الفرح، فتحت صفحتها على موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) وكتبت " إحساس الأمومة أجمل إحساس في

الدنيا، يا رب كمل فرحتنا واوعد كل مشتاق" بعد دقائق قليلة كانت الإعجابات قد انهالت على هذا المنشور كالسيل و أتت التعليقات كلها تحمل التهاني و المباركات.

نزلت نهلة إلى السوق لشراء ملابس للأمير المنتظر، ذهبت إلى أحد المولات، ولم تترك فيه محلا إلا وقد دخلته بحثًا عن ما سيتحلى به ولى العهد، كانت لا تبقى ولا تذر في أي متجر تدخله فبداية من أغطية الرأس حتى الشرابات ولم تترك لونا ولا تصميما الا وقد اشترت منه، كانت بالنسبة لأصحاب محلات ملابس الأطفال في هذا اليوم بمثابة كنز.

وبينما كانت نهلة تجوب المحلات بحثًا عما سيرتديه الحفيد الثاني لعائلة ياسين، كان مكرم لازال يشغله شيء ما، إنه السر الذي لا يعلمه أحد على وجه الارض سواه وأسامة، والطبيب الذي أجرى التحليل، حمل مكرم هذا السر داخله لشهور، لم يبح به لأي احد، لكنه يشعر الآن أنه يريد أن يتكلم، يريد أن يتحدث عن هذا السر، يريد أن يطلقه من صدره كأنما يطلق إحدى الرصاصات من سلاحه.

رفع سماعة هاتف مكتبه

- مراد تعالى لي لو سمحت عايزك

دخل مراد إلى المكتب وجلس أمام مكرم وبدأ الحديث.

- خير يا مكرم

- مراد أنا كان في حاجة حصلت من كام شهر كده، وكنت مخبيها عن كل الناس، لكن أنا حاسس إني عايز أفضفض وخصوصًا إن السر ده دلوقتي أصبح ملوش معنى

رد مراد باستغراب

- مش فاهم أي حاجة

- ما أنا هقولك، أنا من كام شهر كده روحت لأسامة عشان حكاية الخلفة وكده، وطلب مني إني أعمل تحليل.

- وبعدين

- وبعدين لما روحت له بنتيجة التحليل قالي إني ما بخلفش وإن حالتي صعبة جدًا ومستحيل أخلف

أطلق مراد ضحكة خفيفة:

- مكرم يا حبيبي أنت مراتك حامل

ضحك مكرم هو الآخر

- أه ما أنا عارف، ما أنا عشان كده قلتلك اللي أنا كاتمه جوايا بقالي شهور، سبحان الله يا مراد ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ الشورى: ٤٩ ـ ٥٠ تخيل العلم يقول إني ما بخلفش، وإني حالتي ميؤوس منها، لكن رحمة ربك وحكمته فوق كل شيء.

ساد الصمت للحظات قبل أن ينطق مراد

- الحمد لله، سيبك بقى من الموضوع ده، وخليك في الواقع، وافرح، أنت تستاهل إنك تفرح

قالها مراد وهو يضع يده على يد مكرم

هز مكرم رأسه إيجابًا

- عندك حق، أنا بقالي كتير معرفتش طعم الفرحة

- افرح، وسيبها على الله

- ونعم بالله.

قال مكرم جملته الأخيرة، فقام مراد وخرج من المكتب متجها إلى مكتبه، لكنه يشعر بشيء غريب يشعر أن مكرم فرحته منقوصة، أن هناك شيئًا ما يشغل رأسه، إنه قلق، إنه مشتت، إنه مضطرب بعض الشيء، ترى في ماذا يفكر

بعد انتهاء العمل خرج مكرم ومراد معًا من الشركة.

- حاول ما تتأخرش بكرة على اجتماع مجلس الإدارة

قالها مكرم:

- حاضر، إن شاء الله مش هتأخر، بقولك إيه ما تيجى نروح نتعشى في أي حتة

- لا، أنا تعبان شوية النهارده خليها يوم تاني

رد مراد وقد بدا عليه الضيق

- خلاص نخليها يوم تاني

ركب كلا منهما سيارته متجها إلى منزله، لكن مكرم لم يكن يخطط للذهاب إلى المنزل، فقد سلك طريقه باتجاه عيادة صديقه أسامة، لم يكن يريد أن يعلم مراد أنه ذاهب إلى هناك، ولو كان يريده أن يعلم لكان بالأحرى طلب منه أن يرافقه إلى هناك، معنى زيارته لأسامة مرة أخرى أنه يشك في نهلة، حتى وإن كانت تلك الحقيقة، فلا ينبغي أن يعلمها أحد حتى أسامه نفسه.

صعد مكرم إلى الطابق المطلوب، دخل إلى العيادة، كان الوقت متأخرا بعض الشيء، صالة الانتظار خالية إلا من شخصين، أحدهما ينظر إلى التلفاز بشغف كالسيدة العجوز التي كانت هنا في المرة الماضية، والآخر ينظر في هاتفه وبين كل حين

وأخر تسمع صوت رسائل وسائل التواصل الاجتماعي، يبدو أن هذا الشخص من مدمني مواقع التواصل الاجتماعي، ليته يذهب إلى الصين فهناك مدينة صينية بها مائتان و خمسون مركز لعلاج إدمان مواقع التواصل الاجتماعي، تمامًا كمراكز علاج إدمان المخدرات، جلس مكرم إلى جانب المدمن بعد أن أخبر السكرتيرة أنه يود أن يكون مسك الختام للعيادة اليوم، دخل الرجل شبيه العجوز أولًا، ثم تبعه صاحب الهاتف الملتصق باليد، حتى إذا خرج أخيرًا دخل مكرم إلى العيادة، فوجد أسامة يجلس على مكتبه وقد بدا عليه أن التعب تمكن منه بعد هذا اليوم الطويل، بدأ مكرم بالحديث:

- إيه يا أس مالك كده زي اللي خارج من مطش كورة.

- أه طبعًا يا عم ما أنتم رجال الأعمال بتصحوا براحتكم وبتروحوا براحتكم، ولا عندكم مستشفى بتصحوا لها بدرى وتروح تكشف على حوالى ٥٠ عيان، وبعدين يدوب تروح ع العيادة عشان تلحق الفترة الصباحية، ويدوب على ما تلحق تخلص وتروح تأكل و تريح شوية يكون معاد الفترة المسائية، تنزل تجرى ع العيادة، عشان ما تأخرش العيانين المستنيين، وبعد ده كله تقولي مطش كورة، ده ولا كاس العالم بحاله

أطلق مكرم ضحكة خفيفة ثم أردف

- ماشي يا عم، عرفنا إنكم أكتر ناس بتتعب في شغلها

- لا طبعًا، في ناس بتتعب أكتر بكتير

- طبعًا رجال الأعمال، اللي بيدرسوا في الجامعة

نظر أسامة إلى مكرم، قبل أن يطلق ضحكة و يقول ساخرا

- بالظبط.....بدليل إنك دلوقتي عندك استعداد تسهر للصبح وأنا مش قادر

أفتح عينيا.

أطلق مكرم ضحكة خفيفة من جديد

- المهم يا أس، أنا كنت جايلك النهارده عشان تقولي حالتي بالتفصيل

تغير لون وجه أسامة فجأة، وصمت قليلًا قبل أن يبدأ كلامه مترددًا.

- شوف يا مكرم، أنا المرة اللي فاتت مقدرتش أقولك كل حاجة، عشان أنت طبعًا كنت في حالة نفسية مكنتش أقدر أقولك أي حاجة ده غير إن أنت أصلًا ما سمحتليش إني أتكلم

توتر مكرم قليلًا، بدأت دقات قلبه تتسارع، فسارع بسؤال أسامة

- ولو كنت سمحت لك كنت هتقول إيه؟

- كنت هقولك الصراحة طبعًا، ده من شرف مهنتي، وحتى يوم ما أحب أجمل الحقائق، أكيد ما هجملهاش عليك

- ده علشان إحنا أصحاب

- دي حاجة، والحاجة التانية إنك راجل متعلم ومعاك دكتوراه، غير كل ده إنك مؤمن بالله

ساد الصمت للحظات، تنهد مكرم فيها بشيء من الضيق، نظر لأسامة نظرة معبرة، فأكمل أسامة

- التحليل بتاعك يا مكرم كان خالي تمامًا من الحيوانات المنوية.

اتسعت عينا مكرم واحمر وجهه بشدة بعد أن سمع جملة أسامة الأخيرة، فقد درس الأحياء في المرحلة الثانوية، غير أنه اطلع على بعض الكتب الطبية، ويدرى ما معنى هذا الكلام.

- وده طبعًا معناه...

قاطعه أسامة

- وده طبعًا معناه إنك مستحيل تخلف يا مكرم، أنا آسف إني بقولك الحالة بالطريقة دي، بس دي حاجة بتاعت ربنا سبحانه وتعالى، ربنا خلقك و أراد أن أنت ما يكونش ليك ذرية، معنى التحليل بتاعك إن الخلايا المولدة عندك مش موجودة أصلًا، ودى حالة نادرة، لكن الطب ما يقدرش يعمل فيها حاجة ولا هيقدر.

ازداد احمرار وجه مكرم أكثر، وزاد توتره أكثر، وظهرت رعشة خفيفة على يديه، ثم خرج صوته منخنقا

- مش يمكن غلطة في التحليل

أغمض أسامة عينيه، ثم زفر زفرة حارة

- ممكن، بس ده احتمال ضعيف جدًا مش عايزك تحط أملك عليه.

هز مكرم رأسه في حيرة، لا يدرى ماذا يقول، لا يعرف ماذا يفعل، حمد الله أن أسامة لم يعلم بحمل نهلة بعد، كادت دموعه أن تنزل لكنه تماسك، ضغط على نفسه كثيرًا، فهو لا يحب أن يبكى أمام أحد، دقيقة ونصف تقريبًا مرت ولا يوجد صوت مسموع سوى صوت أنفاس مكرم التي تغادر صدره بصعوبة، قطع أسامة هذا الصوت

- لو عايز تعيد التحليل عشان تطمن، مفيش مشكلة

- أكيد.....أكيد هعيده

- مكرم دي حكمة ربنا ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾

هز مكرم رأسه، في إشارة منه إلى أنه يعرف هذا ويعلمه جيدًا، بل ويؤمن به، وقاله لمراد قبل قدومه إلى هذه العيادة (التي بدأ يكرهها) لكن الموقف الآن أصعب

من أن يدرك، وأكبر من أن يسيطر عليه

عاد الصمت مرة أخرى، قبل أن يقطعه مكرم هذه المرة، بدأ الحديث والدموع واللون الأحمر يغزوان عينيه

- عارف يا أسامة، كان في مرة راجل عجوز ماشي في الغابة لوحده، الراجل ده كان أعزل تمامًا من أي سلاح، وفجأة طلع للراجل ده نمر، ولما النمر حاول يهجم عليه والراجل العجوز تقريبا إستسلم للموت، النمر ده إضرب بالرصاص ومات، عارف ده معناه إيه يا أسامة

لم يفهم أسامة ماذا يقصد مكرم لكنه أجاب

- معناه إن في حد تاني هو اللي ضرب النمر بالرصاص

- بالظبــط

بدت الحيرة على وجه أسامة

- أيوا بس ده ايه علاقته بالموضوع أنا مش فاهم حاجة

ابتسم مكرم ابتسامة حزينة

- بس أنا فهمت

قال مكرم جملته الأخيرة قبل أن يتوجه إلى باب العيادة، توقف عند الباب ثم إلتفت إلى أسامة

- يا ريت محدش يعرف الموضوع ده غيرى أنا وأنت

- موضوع النمر

- لا، موضوع التحليل بتاعى، ولحد ما أجيبلك التحليل الجديد، إنسي التحليل القديم تمامًا

هز أسامة رأسه بالإيجاب، فخرج مكرم من العيادة، استقل سيارته متجها

إلى المنزل، وكل شكوك الدنيا تكمن في قلبه، شياطين الأرض كلها قد تجمعت في رأسه الآن، أحس ببعض الراحة لأنه اتخذ القرار السليم بعدم إخبار أسامة بحمل زوجته، كان قد فكر مسبقا في حدوث هذا الاحتمال، وحتى لو كان التحليل خاطئا فكيف كان سيفكر أسامة في نهلة وماذا سيكون موقف مكرم أمامه، حمدا لله أنه لم يخبره و أن من علموا بالحمل لا أحد منهم يعلم بالتحليل سوى مراد، ولكن مراد لا يعلم نتيجة التحليل التفصيلية، كل هذا الآن لا يهم، فالمصيبة الواقعة إن كانت حقيقة فهي أكبر من أن يعلم أسامة أو يدرى مراد، والحقيقة ستظهر بعد إجراء التحليل ولكنه هذه المرة لن يكون تحليلا واحدا، ولن يطلع عليه طبيب واحد، سيكون هناك ثلاثة تحليلات، وستجرى في ثلاث معامل مختلفة، سيطلع عليها ثلاثة أطباء مختلفين، فإن كانت النتيجة التي ذكرها أسامة، فلن يكون هناك مجال للشك، اااااااااااه ما اصعب أن يفكر الإنسان بهذه الطريقة، ما أصعب أن تكون في دارة الشك، أن يتلاعب أحفاد إبليس برأسك كالكرة، يقذف كلا منهم فكرة مختلفة في رأسك، ما أصعب أن تكون الضحية أو حتى ضحية لم تتأكد بعد أنها ضحية.

أحس مكرم بصداع شديد في رأسه، شعر بدوار، توقف بسيارته على جانب مظلم من الطريق، وهنا فقط أطلق العنان لدموعه المحبوسة .

هل يمكن لبذرة توضع في الأرض ألا تخرج نبتًا، هل يمكن لفأس تضرب الأرض ألا تحرك طينًا، هل يمكن لماء يجرى على أرض ألا يرويها، هل يمكن لشمس تشرق على أرض ألا تكمل البناء الضوئي لنباتها.

نعم يمكن إذا كانت الأرض بورًا، أو الفأس مكسورًا، أو الماء مالحًا أو متعكرًا، أو الشمس مكسوفة، وقبل كل ذلك أن الله خالق الأرض والفأس والبذرة

والشمس لا يريد لهذه النبتة أن تخرج.

يجلس مكرم في غرفته وحيدًا، يغلق باب الغرفة كما يغلق نوافذها، يسدل الستائر على النوافذ حتى لا يدع أي أمل لضوء الشمس أن يغازل تلك الغرفة، فهو لا يريد أن يرى شيئًا، ولا حتى الأشياء المحيطة به، حتى نهلة لا يريد أن يراها، بل لا يريد أن يسمع صوتها، عانى كثيرًا من أجل كتم مشاعره، جاهد كثيرًا من أجل أن يبدو طبيعيًا في الأيام الماضية، من أجل ألا يشاهد أحد الانكسار في عينيه، من أجل ألا يظهر مهزوزًا و مهزومًا، يجلس مع نهلة على مائدة واحدة، و ينام بجوارها، تحادثه هاتفيًا ما لا يقل عن ثلاث مرات يوميًا.

يبغي الانفجار في وجهها، يريد أن يسألها فتجيب، من أين جئتِ بهذا الطفل، أهو لي، أم أن آخر ألقى به على، هل صنتِ حبى لك و حفظتيه، أم أنك ألقيت به في صندوق قمامة من نافذة سيارتك.

ثلاثة أيام مرت منذ أن زار عيادة أسامة، في اليوم التالي، شهدت ثلاث معامل مختلفة كتابة اسمه في ملفاتها، حدد الثلاث أطباء بالفعل، بالتأكيد أسامة واحد منهم، و الدكتور الذي تقبع عيادته بجوار الجامعة هو الثاني، والثالثة ستكون ليلى، لا لا لا لن تكون ليلى، فلو كان التحليل الأول صحيحًا فستنهار ليلى عند رؤيتها هذه النتيجة ولن تستطيع أن تتمالك نفسها ثم أن هذا خارج تخصصها، هل يكون خالد، لا لا خالد كالكتاب المفتوح أمام ليلى وسيحكى لها كل شيء، الطبيب الثالث ينبغي أن يكون طبيبًا لا أعرفه، نعم.

قطع حبل أفكاره دقات متتالية على باب الغرفة، هذه دقات ليلى إنه يعرفها ولم تتغير منذ طفولتها، لن يجيب سيتركها تظن أنه سابح في بحر أحلامه، لكنها ما زالت تدق، حسنا لا بد أنها ستتكلم الآن، إنها ليلى وهو يحفظها تمامًا.

- افتح يا مكرم أنا عارفة إنك صاحي.

لم يرد عليها، فعادت إلى الكلام مرة أخرى

- افتح بطل حركاتك دي.

لا يريد مكرم أن يرد، يريد أن يخبر ليلى دون أن يتكلم أن الوقت غير مناسب، يريد أن يخبر ليلى دون أن يتكلم أن وقت الكلام قد انتهي، يريد أن يشكو لليلى عما حل به في الثلاث أيام الماضية، يريد أن يخبر ليلى ماذا فعل أحفاد إبليس برأسه، يريد أن يخبر ليلى عن تلك الخائنة (مع إيقاف التنفيذ) حتى اللحظة نهلة، يريد أن يبكى بين أحضان ليلى، يريد أن يشعر بيدها تحنو على رأسه، يريدها أن تقبل رأسه، لكنه الآن يعلم ما يجب عليه فعله، يعلم أن التماسك هو سلاحه الذي سيحميه، يعلم أن كل هذا قد يكون شكوكًا في رأس تدحرج بين الأفكار الشيطانية، يعلم أنه لو أفصح عما في قلبه بصدق ربما أحرق هذه الغرفة بل هذا القصر كله لشدة ما يكتم بداخله.

قلبه تشبع بالحريق دمـــــــائه ..... وروى البنان بكل ما له من قوة.

ليته الحريق بماء دمع ينطفئ.....وليأوي قلبه المرء قلبا قد هوى.

- مكرم لو ما فتحتش دلوقتي هزعل منك فعلًا ومش هجيلك تاني.

يعلم مكرم أن كل هذا لن يحدث، وأنها ستأتي حتى لو أخرجها من المنزل بقوة الشرطة، كما يعلم تمام العلم أن الجملة الأخيرة لن تكون الأخيرة

- يعنى أنت مش هتفتح برضو

هنا ابتسم مكرم للمرة الأولى منذ ثلاثة أيام، لكنها ابتسامة زائفة، يعشش في كواليسها كل ما حوت الأرض من ألم ومرارة.

- يا أخي افتح بقى

نهض مكرم بعد الجملة الأخيرة وقد قرر أن يفتح الباب.

دخلت ليلى إلى الغرفة، جلس مكرم وجلست بجواره، وضعت يديها على رأسه كأنما تدلل ولدها الصغير، ثم بدأت بالكلام.

- مش تقولي بقى إيه اللي مخليك في الحالة دي

نظر إليها مكرم في صمت دام لمدة دقيقة، ثم خفض رأسه ودلك رأسه بيديه في توتر ملحوظ، ثم رفع رأسه بهدوء ناظرًا إلى ليلى مرة أخرى

- لو كان ينفع أقولك كنت قلت من بدرى وأنتِ عارفة كدة كويس.

- هي مشاكل في الشغل

- ومن امتى الشغل بيعمل فيا كده.

- مكرم أنا أول مرة في حياتي أشوفك كده، طول عمرى متعودة عليك قوى، طول عمرى شايفاك حمايا وسندى وضهري، وبعد ما بابا مات الشعور ده اترسخ جوايا أكتر، فلما تشوف حمايتك والشخص اللي أنت بتعتمد عليه منهار تقريبا، فاهم ده معناه إيه.

هز مكرم رأسه إيجابًا.

- لكل جواد كبوة يا ليلى، مهما كان الإنسان قوي ففي لحظات ما يقدرش يقاوم فيها، لازم ينهار حتى لو مؤقتا، بس القوى بس هو اللي بيرجع يقف و يواجه و ينتصر على كبوته.

- وأنا عارفة إن أنت هتواجه، بس ما أخبيش عليك أنا بدات أشك في كدة.

- ده بس عشان أول مرة تشوفيني كده

- بس دي مش أول كبوة تعدى عليك، ماما ماتت ومكنتش كده، بابا مات

وبرضو مكنتش كده، كنت دايما بتعرف تتغلب على الحزن وتعدى من أصعب الظروف، بس واضح إن الظروف المرة دي أقوى من موت أبوك و أمك!!

- شوفي يا ليلى، موت أبوك وأمك ده حدث طبيعي وكده كده كان هيحصل طالما ربنا كاتب لى أموت بعدهم، والموت عموما أمر الله، ومتوقع يحصل لأي حد في أي وقت، أنتِ عارفة بقى الأصعب منه ايه.

ردت ليلى في اندهاش من طريقة مكرم

- إيه

- إن يحصل حاجة عمرك ما كنتِ تتخيلي إنها تحصل لك في حياتك، دي بتبقى ضربة صعبة أوي، ممكن تقتل.

ساد الصمت قليلًا، ليلى لا تدرى ماذا تقول، فوضع مكرم الحالي يضايقها كثيرًا، كما يضايقها أيضًا أنه لا يريد أن يخبرها ما به، هي تعلم أن الحمل ثقيل، وأن مكرم اختار أن يحمله وحده، ربما نهلة تحمل معه، لكنها لا يبدو عليها، وحينما سألتها بدا عليها أنها لا تعلم فعلًا، لكن ربما مراد يعلم، ولكن إذا كان مكرم لا يريد أن يخبرني فهل سيخبر مراد!!!!!

قامت من مكانها و اتجهت نحو باب الغرفة

- لما تبقى تتخلص من مشكلتك و حابب تحكى فأنا عمرى ما إتأخرت عنك، ولو مش حابب تحكي خالص فأنا هقدر ده رغم إن دي حاجة عمرى ما كنت أتوقع إنها تحصل في حياتي زي ما أنت قلت

رد مكرم في صرامة:

- أكيد عمرى ما هحكي لك

أصابت الجملة الأخيرة ليلى بالصدمة، وربما بعض الغضب، ما نوع هذا

السر الذي يخفيه مكرم، حتى الأسرار العسكرية التي تشكل مصير بلدان يعلمها أكثر من شخص، لم تنطق بعدها بكلمة و أغلقت الباب و انصرفت ليعود مكرم إلى عالم أفكاره من جديد، إلى الظلام و الهدوء و الصمت.

تمضى الأيام و تمر الليالي ليلة وراء ليلة، وكأنها سكين تتلوها سكين، تمر على رقبة واحدة، لا تجد من يدافع عنها، بل بالأحرى لا تريد أن تجد من يدافع عنها، الدفاع هذه المرة قد يجلب الهجوم بعد ذلك.

هكذا فكر مكرم في الأمر، فلو أخبر مراد بالأمر وبعد ذلك ثبتت خيانة نهلة فسيكون هذا بعد ذلك بمثابة السيف الذي يهدده به في حالة حدوث خلاف بينهما، ولو أخبر ليلى و ثبتت براءة نهلة، فسيكون مكرم وحده في مرمى سهام نقد ليلى دون أي درع أو وقاية.

الآن الأمور أصعب، أن تتحمل عبئا ثقيلا وحدك أمرا ليس باليسير، لكن فيما بعد ستكون الأمور أيسر، المهم في هذه المرحلة هو الصبر، الصبر فقط، إنه كأس تكسوه المرارة، لكن لا بد من شرابه.

تحصل مكرم على التحاليل بالفعل منذ عدة أيام، لكنها كما هي مودعة في خزانة مكتبه، إنه ينتظر شيء ما قبل الذهاب إلى الأطباء، وربما هذا الشيء.....نعم إنه يحدث الآن.

أخرج مكرم هاتفه من جيبه بعد أن سمع صوت دقاته، وقد أظهرت شاشته الاسم الذي ينتظره (سامح شبكة الموبايل).

- ألو

جاء الصوت على الجانب الآخر

- مكرم باشا

- أهلا يا أستاذ سامح.....أتمنى يكون اللي أنا طلبته إتنفذ

- تنفذ يا باشا. وزى ما حضرتك أمرت بالظبط...وطبعًا محدش هيأخد خبر

- لا أنا متأكد من كده...لأن لو حد خد خبر أنت اللي هتتأذي..أولا الشركة هترفدك لعدم أمانتك وإفشائك لأسرار العملاء....ثانيا أنا هقتلك لو ده حصل.

صمت سامح قليلًا بعد أن سمع الجملة الأخيرة

- لا يا باشا ربنا ما يجيب بيننا زعل

- ده لمصلحتك أنت بس، المهم دلوقتي تيجى لي بكرة الصبح الشركة في نفس معاد المرة اللي فاتت.

- تمام يا باشا

- سلام

أغلق مكرم هاتفه وبدأ يكمل ما كان قد بدأه من عمل، وبعد قليل دخل مراد عليه المكتب

- مكرم في واحد برة عايز يقابلك

- واحد مين ده

- واحد معرفوش، تخين و قصير و بشنب

ابتسم مكرم ابتسامة خفيفة يبدو أن هذا هو الرجل الذي حدثته عنه رحمة ويبدو أنه حان موعد اللقاء بينهما

- ما تقلقش هو هيدخل لوحده دلو...

- صباح الخير يا مكرم باشا

قاطع كلام مكرم صوت غير صوت مراد، فرفع نظره نحو باب المكتب، وكان صاحب الصوت رجل يبدو في الخمسينيات من عمره، قصير القامة نسبيا، بدين

بعض الشيء، ويرتدى نظارة شمسية، وله شارب كبير.

نظر مكرم إلى مراد وابتسم و أشار بيده نحو الرجل في إشارة بمعنى (مش قلتلك)

هز مكرم رأسه لمراد، خرج على إثرها مراد مغادرا المكتب، قبل أن يجلس الرجل ويبدأ في الكلام

- إزيك يا مكرم

صمت مكرم لبرهة تنهد تنهيدة خفيفة ثم بدأ الحديث في هدوء وثقة معتادين.

- مبدئيا في حاجات عايزين نتفق عليها

أولا إسمى دكتور مكرم

ثانيا لو دخلت عليّ المكتب بالطريقة دي تاني بصراحة مش ضامن ردة فعلى

ابتسم الرجل ابتسامة تحمل بين طياتها سخرية

- هعتبر نفسى ما سمعتش حاجة و ده لمصلحتك

كان ما قاله الرجل مستفزا لدرجة كبيرة، لكن جاء رد مكرم أيضًا بثقة وهدوء.

- أوك، جرب تدخل عليّ المرة الجاية بالطريقة دي وأنا أوعدك إنك بعد كده هتسمع كويس.

لم يتحرك الرجل من مكانه ولم تبدو عليه أي علامات غضب، و لم ينظر إلى مكرم منذ بداية الحديث، في المقابل كان مكرم ينظر إليه في حدة، ساد الصمت للحظات قبل أن يردف مكرم

- خير

- كل خير، أنا جاي لك النهارده لأن كان في صفقة بيننا وبين المرحوم ولازم تخلص

- اممم....أنت مين بقى

- اسمي مش هيفرق، المهم الصفقة تتم

يحاول مكرم أن يسيطر على نفسه أمام تلك الكتلة من الثلج، وهو يقول في نفسه أن هذا الرجل هو النموذج الحقيقي للشخص متبلد الاحساس

- يعنى أنت جاي لي بعد ٦ شهور من وفاة والدى، وعايز تقنعني إن كان في بينكم شغل وإني المفروض أكمله.

- بالظبط كده

- أه، بس أنا تممت كل الصفقات اللي كان المرحوم متعاقد عليها قبل وفاته والحقيقة الصفقة بتاعتك ما ظهرتش ولو كنت لقيتها، أكيد كنت هتواصل معاك، فأعذرني...مفيش بيننا شغل

- لا في

لا إنه ليس كتلة جليد إنه القطب الشمالي كاملًا، ما هذا الكائن.

رد مكرم بعصبية هذه المرة

- لا مفيش، وقول أنت عايز إيه واخلص لأن جملة كمان من جملك دي وهخليهم يرموك برة

- هدى نفسك شوية يا مكرم

- دكتور مكرم

- طب يا دكتور مكرم أنا عايز الصفقة تتم

- قلتلك ما لكش صفقات عندي أنا راجعت كل الملفات وتممت كل

الصفقات و التعاقدات

- بس الصفقة اللي بيننا وبين المرحوم مش مجرد عقود.

زفر مكرم في ضيق

- أمال إيه

- دي عهود

- واللي يخالف العهود

- يموت

وصل مكرم إلى قمة عصبتيه ولو أخرجها في هذا الرجل الآن لربما تناثرت أشلاءه في هذه الغرفة.

- طيب أنا مستغنى عن عمري، واطلع برة

- ما تقولش كلام أنت مش قده

- لا أنا قده، وأكبر منه ومن اللي بقوله ليه

ابتسم الرجل مرة أخرى، ونظر إلى مكرم لأول مرة منذ بداية الحديث.

- بس مش تعرف ايه هي الصفقة

- مش عايز أعرف

- بس أنا لازم أقولك

- وأنا مش مضطر أسمعك

- لا مضطر، لأن ده عهد

- بص، أنت راجل كبير وأنا في سن ولادك، و ما أحبش إني أهينك فما تضطرنيش لكده

- أنا هقولك إيه هي الصفقة و همشى على طول

- وأنا مش هنفذها

- أنا هقولها، ولو ما نفذتش....يبقى أنت اللي اختارت

- تقول وتمشى من غير ما تنطق ولا كلمة

قام الرجل من مقعده، أقفل معطفه في هدوء، تقدم ناحية الباب، التفت إلى مكرم

- في شحنة هيروين جاية على مركب كمان ٥ شهور، الشحنة دي هتيجي ضمن البضاعة اللي أنت طلبت تستوردها من إسبانيا بنفسك، الشحنة هتوصل مصر وأنت هتستلمها و هتدخلها مخازنك، وهتسلمها لنا في المعاد اللي إحنا نحدده

صمت الرجل فجأة

كانت عينا مكرم متجمدة تمامًا من شدة الصدمة، قلبه يخفق لا يدرى بسرعة أم ببطء، لسانه يعجز عن الكلام كأن أثقل حجر من الهرم الأكبر قد وضع فوقه

- هديك أسبوعين تفكر، وأنا هتواصل معاك بطريقتي، بس صدقني القرار معتش في إيدك.

قال الرجل هذا الكلام وهم بالانصراف، وفجأة انطلق لسان مكرم صارخا في الرجل.

- أنت كذاب، أبويا عمره ما يعمل كده، لو شفتك هنا تاني همسحك من على وش الأرض.

ضحك الرجل ضحكة طويلة ثم قال

- أبوك عمره ما يعمل كده، أمال الثروة دي كلها من إيه، من الاستيراد و التصدير، أنا قلت اللي عندي يا ... يا دكتور، مات الكلام، معادنا بعد أسبوعين.

- لو جيت الشركة تاني أو حاولت تتصل بيا، هبلغ عنك مفهوم، وتاني مرة لما تبعت عربية تراقبني ما تبقاش تبعت عربية مسروقة

- أكيد عمرى ما هغلط غلطة زي دي.

قالها الرجل ثم انصرف، وترك مكرم وحيدا في مكتبه، الذي شعر فجأة أنه ضاق عليه كضيق القبر، وأظلم بشدة رغم عدد اللمبات غير القليل، وارتفعت حرارته كساونا رغم مكيف الهواء الذي يعمل منذ الصباح.

لا يمكن، لا يمكن، هذا الرجل يكذب، إنه مجرد (تاجر صنف) خبيث جاء ليتلاعب بى لتنفيذ رغباته

والدى لم يأكل قرشًا حرامًا في حياته، والدى كان رجلا شريفا، والدى ذمته أنقى من المياه بعد تنقيتها في سبعين مرحلة، والدى كان غنيا، لكنه كان نزيها

والدى.....هل اتفق معهم فعلا على هذه الصفقة؟

فاضل حركة ع الإنجاز

هكذا قال مراد وهو يجلس أمام مكرم في أحد المقاهي الفخمة في وسط البلد، ويتوسطهما رقعة الشطرنج، القطع السوداء مرصوصة أمام مراد، أما القطع البيضاء فلا يوجد منها الكثير أمام مكرم الذي يبدو أن هذه اللعبة لا تعنيه تمامًا، وأن الأمر قد بلغ منتهاه معه، وحتى محاولات مراد الجسيمة للتخفيف عنه أو حتى معرفة حقيقة ذلك الحمل الثقيل الذي يصر مكرم أن يحمله وحده بائت بالفشل.

- كش ملك يا مكرم.

رد مكرم بوجه جامد عشش فيه الكرب والضيق منذ أيام.

- مبروك

- يااااااه....أخيرًا كسبتك مرة في حياتي

- ياللا من نفسك

- بس أنت عارف إيه اللي خلاني أكسب

لم يرد مكرم، أو ربما لم يسمع

- إن الوزير بتاعك خرج بدرى وأنت من غير الوزير ما تقدرش تغلب حتى واحد لسه بيتعلم

انتبه مكرم فجأة

- ودى حاجة وحشة مش كده

اندهش مراد من ردة فعله

- والله مش عارف، أنت دايما كنت بتحافظ عليه و بتسخر كل قطعك لحمايته، النهارده أنت غفلت عنه، فضاع منك بدرى وأنا كسبت

ابتسم مكرم ابتسامة ساخرة

- عرفت نقطة ضعفي ولعبت عليها، دي أسوأ حاجة ممكن تحصل، إن خصمك يبقى عارف نقطة ضعفك

- يا سلام ما أنت عارف نقطة ضعفي ودايما كنت بتلعب عليها، ورغم إني عارف نقطة ضعفك من زمان إلا إني برضو عمرى ما كسبتك، وده لأنك دايما كنت بتبقى مركز وكنت بتحمي نقطة قوتك بكل الطرق وأي قطعة ما بتخسرهاش غير بطلوع الروح.

صمت مراد قليلًا ثم أردف:

- بس النهارده مش عارف مالك كل تحركاتك من غير تركيز، وبصراحة بقى حياتك كلها بقيت من غير تركيز، أنت بقى لك فترة متغير و عصبي ومش طبيعي ولما

الراجل ده جالك، بقيت عصبي أكتر وتركيزك قل أكتر حتى في الشغل، وكل ما أجي أسألك مالك، مش عايز تقولي، ورغم إني محترم خصوصياتك، بس أنا مش قادر أشوفك في الحالة دي و أسكت

ساد الصمت بعد أخر ما نطق به مراد، صمت مكرم وهو يفكر، هو فعلا طيلة حياته لم يكتم سرًا أمام مراد، فهناك أشياء في حياته لا يعلمها إلا الله ثم مراد، أما هذه المرة فلا يدرى ماذا يخبره، أو كيف يخبره، هل يخبره أن زوجته التي أحبها و حارب كثيرًا من أجلها ومن أجل أن يجمعهما منزل واحد خانته وهي الآن تحمل بين أضلعها طفلا لا يعرف مكرم من هو والده، أو يقول له أن أسامة أخبره لما رأى تحليله أنه لا يحمل بين أظهره مكانا لذرية وأن الله قد نزع منه هذا الفضل، أم يخبره أن قدوته طيلة حياته، ومن كان يتحاكى بنزاهته وشرفه وقصة كفاحه وكيف كان عصاميا وبنى نفسه بنفسه، وكان يفخر أن اسمه تلى اسمه في بطاقته الشخصية، وقد جاء أحدهم ليخبره أنه اتفق على توريد شحنة كبيرة من المخدرات تدخل في الحاويات القادمة للشركة من أوروبا.

ماذا أخبرك يا مراد، وماذا أقول لك، على الرغم أن التحاليل الثلاثة الأخيرة لا زالت في خزانة المكتب، ولم يثبت ما بها قطعيا حتى الآن إلا أن الاحتمال الأكبر هو صحتها ولذلك أخشى أن أخرجها للنور حتى لا تصيب حياتي بالظلام، وعلى الرغم إني أثق بوالدي إلا أن الشيطان تمكن منى، وجعلني أتمعن في الثروة الضخمة التي تركها أبى هل كانت فعلا نتاج جهد وعرق أم أنها سرقة واختلاس وتزوير وتجارة مشبوهة.

أين الحقيقة هل أنا ابن رجل عصامي وعلى موعد مع مولودي الأول، أم أن والدي هو رأس الأفعى وعلى موعد مع مخلفات جريمة زنا....هل ورثت مالًا حلالاً

سيرثه بعد موتى من لا يستحقه، أم أن ولدى القادم إلى الدنيا جاء ليحمل عار جده الذي مات قبل أن يراه.

لا يعلم أجوبة تلك الأسئلة إلا الله، وربما يعرف مكرم إجابة أحدهما غدًا عندما يقابل موظف شركة المحمول، وإذا ثبتت ظنونه ستخرج الثلاث تحاليل من تلك الخزانة الحديدية لتكشف ما تبقى من فصول اللعبة التي كان مكرم هو الوحيد بداخلها وكانت نهلة أحد أبطالها مع طرف آخر سيكشف القناع عن وجهه عاجلًا كان أم أجلًا، سوف يرفع الستار اليوم، ويخرج إلى المسرح من جلسوا خلف الكواليس لسنوات.

- مراد كفاية كده أنا عايز أروح

لم ينطق مراد بكلمة فالموقف كان لا يستدعي الكلام وإنما يستدعي أن ينفذ ما يطلبه مكرم بهدوء

- ماشي ...ياللا بيننا

ركب مراد إلى جانب مكرم، وانطلقا في اتجاه منزل مراد.

- في واحد هيجى لي بكرة الصبح أول ما ييجى تدخله على طول، وما تخليش حد يدخل علينا مهما حصل.

- الراجل القصير ده

رد مكرم بعصبية:

- لا...الراجل ده مش هيجي تاني ولو جه تاني أطرده على طول

- ليه هو عمل إيه

ازداد كلام مكرم حدة

- راجل حيوان

- عمل إيه يعنى؟

- أهو قال كلمتين تخاريف كده ومشى.

لم يصر مراد أكثر على معرفة ما قاله الرجل فمن الواضح أن مكرم لا يريد الحديث حول هذا الأمر

- خلاص ماشي

بعد ذلك صمت الاثنان طيلة الطريق إلى أن وصلا إلى منزل مراد، نزل مراد من السيارة، فأطرد مكرم في الكلام.

- ما تنساش اللي قلتلك عليه

هز مراد رأسه مجيبًا دون أن ينطق، وهو يقول في رأسه.

- لو مكنتش مكرم ياسين، وأنا عارف إن اللي أنت شايله جواك أكبر من أنه يتحكي، ولولا إني مش عايز أكون عبئ عليك، ما كنتش عتبت الشركة تاني.

انطلق مكرم بالسيارة حتى وصل إلى منزله، وما إن دخل من باب الفيلا حتى أخرج هاتفه المحمول، وقام بطلب ليلى.

- ألو

- أيوا يا ليلى، كويس إني لقيتك صاحية

- خير يا مكرم في إيه

- أنتِ مش كنتى عايزة تعرفى مالى

- أكيـد

- خلاص هستناكِ بكرة الساعة ٨، بس تيجي لوحدك، وطبعًا خالد هيبقى في العيادة في الوقت ده، وأحمد ما يجيش معاكِ، عشان اللي هقوله لك ما ينفعش حد يسمعه غيرى أنا و أنتِ

- للدرجة دي

- وأكتر من كده

- طب ونهلة

- لا هي بكرة عندها فرح واحدة صاحبتها فبرضو مش هتبقى موجودة، حتى الشغالين أنا إديتهم إجازة.

صمتت ليلى وهي تفكر فيما يقوله مكرم، فلو كان ما سيخبرها به معلومات تتعلق بالأمن القومي لما احاطها بهذه السرية.

- خلاص...ماشي، هكون عندك بكرة في المعاد

- هستناكِ

- خلاص أوكى

أغلق مكرم هاتفه، ثم نزل من السيارة وصعد باتجاه غرفته.

ترى ماذا سيقول لليلى غدا، عن أي موضوع سيتحدث معها، هل سيكشف لها كلاهما، أم سيكشف لها ما يخص نهلة فقط حتى لا يحطم صورة أبوها أمامها، أم سيكشف لها ما يخص والدها فقط لأن هذا ما يعنيها وما هي جزء منه بالفعل، ولماذا اختار هذا التوقيت بالذات، وماذا ستفيده ليلى عندما يخبرها غير أنها ستصدم وربما تنهار.

أصعب شيء في الحياة هو الانتظار، ولا سيما انتظار ما يتوقع أن يكون سيئا، يقول المثل الشعبي (وقوع البلى ولا انتظاره) ورغم بساطة هذا المثل إلا أنه يحمل بين طياته معانى كثيرة، فعند انتظارك خبر ليس سارًا، أو تتوقع حدوث حادث أليم، يجول الشيطان في رأسك ويفعل بك الأفاعيل، حتى يتمكن منك، وينسج الخطوط السوداء على جدًار خيالك، ويمثل أمامك عدة سيناريوهات، في

أغلبها أسوأ بكثير مما قد يحدث، وفى معظم الأحيان لا تحدث بالكيفية التي تتصورها، لذلك يكون أهون على النفس أن ترى المصيبة ما دام حدوثها أصبح واقعا بنسبة كبيرة، ولكن ماذا لو اتجه الإنسان إلى ربه فسأله كشف الغم، وسأله عبور المحنة، أليس أفضل من الانهيار والعويل على شيء لو أراد الله عدم حدوثه لما استطاع مخلوق على وجه الأرض أن يمنعه .

يحتسى مكرم كوب القهوة الصباحى المعتاد، و يتصفح مواقع الأخبار على الإنترنت، و فجأة تشتت ذهنه، وغاص في بحر خيالاته، ماذا لو كان هذا خبرًا يومًا ما (القبض على رجل الأعمال مكرم ياسين متلبسًا بتهريب كمية كبيرة من الهيروين)

وبالتأكيد سيتبعه بعد عدة أشهر (محكمة الجنايات تحيل أوراق مكرم ياسين إلى المفتي في قضية الاتجار الشهيرة)، لا لا هذا هين على الأقل سأموت و أرتاح من هذا العناء في غضون أشهر، أما المصيبة الحقيقية (مفاجأة....ابن مكرم ياسين ليس ابنًا شرعياً)

ياله من عنوان يتمنى المرء موته قبل أن يراه.

قطع تفكير مكرم صوت دقات على الباب

- أدخل

- صباح الخير يا دكتور مكرم

- صباح النور....أهلا يا أستاذ سامح

دخل الرجل موظف شركة المحمول وجلس أمام مكرم

- تشرب إيه يا أستاذ سامح

- لا لا خيرك سابق يا باشا

رفع مكرم الهاتف وضغط على أحد أزراره

- بتشربها سادة ولا مضبوط
- إذا كان كده يبقى....زيادة
- قهوة زيادة عندي في المكتب لو سمحت
أغلق مكرم سماعة الهاتف ثم بدأ بالحديث
- ها.. يا أستاذ سامح، قولي المختصر المفيد
أخرج الرجل من حقيبته أوراقا وأعطاها لمكرم
- ده يا باشا كل المكالمات بتاعت الأسبوع اللي فات
- تمام
- طبعًا الرقم مسجل باسم واحدة اسمها نهلة على حسان
نظر مكرم إلى الرجل نظرة حادة، ثم تكلم بأسلوب غلفه العنف
- أنا ما طلبتش منك تعرف الرقم باسم مين، والاسم اللي أنت قلته دلوقتي تنساه....أحسن لك، ولو قلته تاني حتى لو بينك وبين نفسك همحيك...أنت فاهم
ارتبك الرجل و حاول أن يهدأ من حدة توتر الموقف
- أنا يا باشا حاولت أجمع كل المعلومات الل..
- وانا ماطلبتش منك أي حاجة غير لستة المكالمات....مظبوط
- مضبوط يا باشا
- يبقى تنفذ اللي أقول لك عليه وبس
عاد مكرم إلى هدوئه مجددًا، أسند ظهره إلى كرسيه وبدأ بتصفح الأوراق
- ما شاء الله كاتب قدام كل رقم اسمه.
- طبعًا يا باشا...الأهم من الشغل تظبيط الشغل
- تمام يا أستاذ سامح....بس في رقم مش مكتوب قدامه اسم

- أه يا باشا، الخط ده مش متسجل

- امممممم....مش متسجل

أخرج مكرم هاتفه من جيبه، ودخل إلى تطبيق (true caller) و أدخل الرقم غير المسجل، فوجد أن صاحب الرقم (أم على حجامة) هنا تذكر مكرم تلك المرأة التي تذهب إليها نهلة كل فترة لعمل الحجامة، وفيما عدا هذا الرقم كانت كل الأرقام في الورق الذي أحضره موظف شركة المحمول مسجلة، ولم يكن أحدها غير عادى، فكل الذين في الورق أشخاص من الطبيعي أن تتواصل نهلة معهم كمكرم نفسه، ووالدها ووالدتها، وأخواتها، وأصدقائها، يبدو أن هذه الطريقة لن تنفع، أو ربما نهلة بريئة، وكل هذه ظنون سيتم تحطيمها على صخرة الخطأ الطبي في التحليل الأول الذي قرأه أسامة

- ماشى يا أستاذ سامح، اتفضل ده المبلغ اللي أنت طلبته وزيادة شوية، وطبعًا زي ما اتفقت معاك أول مرة، أنا عايز التقرير ده لمدة شهر، يعنى عايز منك تقرير للتلت أسابيع الجاية

- أجيبها لحضرتك برضو هنا

- لا، إحنا مش هنتقابل تاني، التقارير الجاية هتبعتهالي ع الواتس

- اللي تشوفه يا دكتور

- شرفت يا أستاذ سامح

خرج الرجل من مكتب مكرم، وأغلق الباب.

جلس مكرم بعد خروج الرجل يقلب الأفكار في رأسه، إذا كانت نتيجة التحليل الأول صحيحة، ونهلة لا يوجد في سجل مكالماتها ما يثير الشك، فكيف تتواصل مع ذاك الشخص، و كيف تقابله، أم أن كل هذه شكوك لا أكثر، الليلة

سيظهر كل شيء، سوف تتكشف كل الأوراق، سوف يفتح الستار ليكشف عن جريمة خيانة كبرى، أو جريمة شك ارتكبها مكرم في حق نهلة، كل الحكاية مسألة وقت.

عاد مكرم إلى المنزل في السابعة مساءً، فوجد نهلة في أبهي صورها استعدادًا للذهاب لحفل زفاف صديقتها، فهي لا تحب إضاعة مثل تلك الفرص للخروج لتعيش أجواء الفرح، ولترى صديقاتها القدامى.

ولكن ربما لا يوجد فرح، ولكنها ستخرج لتقابل من أودع فيها تلك النطفة الخبيثة، وربما يكون هناك فرح وسيتقابلون هناك، وربما كل هذه ظنون في حق امرأة شريفة، كل الاحتمالات واردة، ولا يستطيع مكرم أن يبعث من يراقبها لأنها لو كانت تخونه فعلًا فسيكون الذي يراقبها قد علم بالأمر وربما يكون هذا سيفا على عنق مكرم حتى آخر حياته، ولو أنها بريئة فسيكون هذا خطأ جسيم، ولا يستطيع أن يراقبها بنفسه بسبب موعده مع ليلى، ولا يمكن تأجيل الموعد أكثر من ذلك

- أنا خارجة يا حبيبي

قالتها نهلة وهي تحمل حقيبتها و تهم بالانصراف

- مع السلامة يا حبيبتي ماتتاخريش وخلى بالك من نفسك

خرجت نهلة وقام مكرم ليغير ملابسه ويستعد للقاء المنتظر بينه وبين ليلى

وعندما دقت الساعة الثامنة تمامًا كانت ليلى قد حضرت

دخلت إلى غرفة مكتب مكرم وجلست أمامه و بدأت الحديث

- في إيه يا مكرم

نظر لها مكرم نظرة تحمل بعض العتاب

- مفيش إزيك حتى

- مكرم ماتلعبش بأعصابي، انا من إمبارح مش عارفة أنام بسبب اللي أنت قلته

- وأنا بقى لى شهر مش عارف أنام بسبب اللي أنا هقوله لك دلوقتي

لم تحتمل ليلى أكثر من ذلك فتكلمت وقد علا صوتها

- طب قول ياللا أنا على أعصابي

- من كام يوم كده جالي واحد على المكتب، والحقيقة الراجل ده مش أول مرة ييجى لي، جالي قبلها بس أنا ما كنتش موجود، وبعد كده بعت ورايا عربية مسروقة تراقبني، ده غير إنه كان موجود يوم العزا

- ومين الراجل ده

- الراجل ده واحد مندوب لناس بيقولوا إن بابا الله يرحمه كان بيشتغل معاهم، وإن هو اتفق معاهم على صفقة وطالبين منى إني أكملها

- صفقة إيه؟

صمت مكرم قليلًا، فعاودت ليلى السؤال بلهجة أكثر حدة

- صفقة إيه؟

- هيروين

تجمدت ملامح وجه ليلى، لم تستطع الكلام، شعرت وكأن الدنيا تدور بها

حاول مكرم تدارك الموقف

- أنا طبعًا ما صدقتوش و طردته، وقلت لازم أبلغك

صمتت ليلى وأخذت تعلو انفاسها، ثم قالت

- وبتبلغنى ليه؟

- عشان أنتِ شريكتي في كل حاجة

- في كل حاجة حرام

نظر مكرم إلى ليلى نظرة حادة، وصرخ

- مفيش أي دليل إنها حرام، ومش كل واحد هييجى يقول لي أي كلام فارغ هصدقه، أنا كنت عارف إنك مش هتقدري الموقف، عشان كده ترددت كتير قبل ما أقولك

حاول مكرم أن يعود إلى هدوءه مجددًا، ثم أردف

- الكلام ده مفيش اللي يثبته

- ومفيش اللي ينفيه

- يعنى أنتِ بتشكى في أبوكِ

- مش عارفة، أنا كل حاجة دلوقتي تلخبطت في دماغي، أبوك مكنش طبيعي في أخر أيامه

قاطعها مكرم:

- وحادث موته كان مدبر

صدمت ليلى مرة أخرى، وجهت كلامها إلى مكرم بلهجة حادة:

- وفى إيه تاني مخبيه عليّ

- لا كده مفيش حاجة تانية

- ولسه بتفكر ده حقيقي ولا لا

- طبعًا

- والناس دي ممكن تكذب ليه

- أسباب كتير، ممكن يكون تربص بيا أنا شخصيا، وممكن يكون أي سبب تاني

المهم دلوقتي أنا عايزك تركزي كويس و تفتكري بابا ما جابلكش سيرة عن الموضوع ده

- أكيد لا، أكيد لا يا مكرم

أخذت ليلى تفكر قليلًا

- بابا لا يمكن يعمل كده يا مكرم، رغم إن الواقع بيقول غير كده ، لكن في حاجة جوايا مش عايزة تخليني أصدق.

عموما في حاجة ممكن نتأكد منها

- ايه هي؟

.....

بعد مغادرة ليلى بدأ مكرم يستعد لليلته الماراثونية بعد أن ترك التحاليل الثلاثة في السيارة، اتصل مسبقًا وهو في مكتبه بعيادة ثلاث أطباء، وفى كل عيادة كان سكرتير الطبيب يرفض الحجز من خلال الهاتف وما إن يعلم بأن المتحدث هو مكرم ياسين يوافق على الفور، وهكذا تم حجز العيادات الثلاثة، ومن ضمنهم بالتأكيد عيادة أسامة.

غير مكرم ملابسه بعد أن فرغ من استحمامه، وهم بالانطلاق نحو العيادة الأولى.

دخل مكرم إلى العيادة وإلى حجرة الكشف وهنا قام الطبيب الأول مرحبا به

- أهلًا دكتور مكرم، أنا سعيد جدًا برؤية حضرتك النهاردة.

- ربنا يخليك يا دكتور

- خير يا دكتور مكرم

- كل خير إن شاء الله، الحقيقة يا دكتور أنا متجوز بقالي ١٠ سنين ولحد

دلوقتي ربنا مكتبليش الخلفة، فأنا عملت تحليل وكنت جاي لحضرتك عشان نبدأ رحلة العلاج مع بعض إن شاء الله

- إن شاء الله

- إتفضل التحليل

أعطى مكرم التحليل للطبيب وجلس يراقب ردة فعله.

وحدث ما كان يتوقعه مكرم، تغيرت ملامح الطبيب كما حدث لأسامة في المرة الأولى، فحاول الطبيب أن يتدارك الموقف ، وحاول مكرم أن يبدو كمن لا يعرف شيئًا

- خير يا دكتور

- مكرم يا ابنى أنت راجل مؤمن، ودى حاجة بتاعت ربنا

- يعنى إيه يا دكتور

- التحليل اللي قدامى بيقول إن الحيوانات المنوية عندك معدومة، وأنت عارف طبعًا ده معناه ايه

- معناه إني مستحيل أخلف مش كده

- علميا...مستحيل تخلف، وأنا شخصيا بقولك ما تحاولش تتعالج لأن الحالة دي مالهاش علاج

هز مكرم رأسه في رضا تام بما قال الطبيب، حاول أن يبدو وكأنها أول مرة يسمع هذا الكلام

- تمام، أنا بشكر حضرتك جدًا يا دكتور، وأتمنى إن الموضوع ده يفضل سر بيننا

- طبعًا يا ابني، دي أسرار مرضى ومستحيل حد يعرفها، و خصوصا لو كان

المريض شخصية عامة زيك

- أشكرك يا دكتور

قام مكرم من مقعده وسلم على الطبيب، ثم انطلق مسرعًا خارج العيادة، واستقل سيارته في اتجاه ثاني محطات هذه الليلة .

وصل مكرم إلى العيادة الثانية، ودخل إلى غرفة الكشف، فرحب به الطبيب الثاني أيضًا

- نورت العيادة يا دكتور مكرم

- ده نورك يا دكتور

- خير

أعاد مكرم ما قاله للطبيب الأول حرفيا، وكأنه شريط مسجل

- كل خير إن شاء الله، الحقيقة يا دكتور أنا متجوز بقالي ١٠ سنين ولحد دلوقتي ربنا مكتبليش الخلفة، فأنا عملت تحليل وكنت جاي لحضرتك عشان نبدأ رحلة العلاج مع بعض إن شاء الله

- إن شاء الله، بس سامحني يا دكتور مكرم أنت استنيت على نفسك فترة طويلة شوية، لكن مش مشكلة، المهم إنك أدركت الموقف في النهاية، وأنت ما شاء الله لسه شاب، وفى أمل كبير في العلاج إن شاء الله

(أنت بتقول كده بس عشان لسه ما شفتش التحليل)

هكذا قال مكرم في رأسه وكأنه سلم بالأمر تمامًا، فلو كانت نتيجة هذا التحليل مختلفة، لكان الشك في هذا الطبيب وفى المعمل الذي أجرى التحليل.

- تفضل التحليل

أعطى مكرم التحليل للطبيب الثاني، وجلس يراقب انفعالاته.

إن أصعب شيء في هذه الليلة العصيبة هو أن تلعب دور الممثل، وتحاول تهدئة انفعالاتك ومشاعرك عند كل طبيب تدخل إلى عيادته.

لم يظهر على هذا الطبيب أي تغيير أثناء قراءته للتحليل، إما أن ثباته الإنفعالي كبير، أو أن التحليل أخطأ، نعم أخطأ، ولو كان هذا التحليل يشير إلى غير ما أشار إليه سابقيه فهو الخطأ بلا شك

- خير يا دكتور

- كل خير إن شاء الله....ما أخبيش عليك هي الحالة صعبة شوية، ونسبة الشفاء فيها ضئيلة، لكن إحنا هنعمل اللي علينا

(نصاب...نصاب وعايز تخليني أفضل رايح جاي على عيادتك على الفاضي وأنت طبعًا مش خسران حاجة أهي فلوس ومفيش مانع إنك تستخدمني واسطة في يوم من الأيام)

هكذا قال مكرم في نفسه قبل أن يوجه سؤاله إلى الطبيب

- ممكن اعرف التشخيص بالظبط؟

- هو في نقص في الحيوانات المنوية، لكن يمكن تعويضه بالعلاج إن شاء الله، أنا هكتب لك على شوية أدوية، وبعض التمارين تعملها، وإن شاء الله نشوف أولادك قريب

(بتحلل القرشين اللي هتلفهم منى)

قالها في نفسه مجددًا

أعطاه الطبيب الروشتة، قبل أن يردف

- أشوفك بعد شهر من دلوقتي يا دكتور مكرم، بس أهم شيء إنك تلتزم بالعلاج والتمارين

ابتسم مكرم ابتسامة مفتعلة

- إن شاء الله يا دكتور

خرج مكرم بعد جملته الأخيرة، متجها إلى سيارته، وبالطبع هو ينوى عدم الرجوع إلى هذا (الوكر) مرة ثانية، بعد أن انطلق بالسيارة قليلًا قام بتقطيع الروشتة، وإلقائها في القمامة، وانطلق في اتجاه المحطة الأخيرة....إلى أسامة.

وقف مكرم بسيارته أمام عيادة أسامة، وقف وانتظر قليلًا، لا يدرى ماذا أصابه، ربما كانت لحظات لابد منها، جلس لمدة لم تطول حوالى خمس دقائق وكأنه غاب عن الوعى، وكأنه انتقل من الدنيا إلى عالم آخر، وكأن الكرة الأرضية بل ربما المجموعة الشمسية لا تسعه .

نزل من سيارته أخيرًا، دخل إلى العيادة فوجدها خالية على غير العادة، لكنه سرعان ما أدرك أن الوقت قد صار متأخرا، وأن الساعة تقترب من الواحدة صباحا .

- دكتور أسامة موجود

بدأ مكرم حديثه إلى السكرتيرة

- أيوا يا دكتور هو عنده مريض جوة وهيخرج حالا

هز مكرم رأسه إيجابا، ثم ذهب وجلس في انتظار المريض، الذي سرعان ما خرج، ودخل مكرم إلى حجرة الكشف

- مكرم.....واحشنى يا راجل

- أنت اكتر يا أس

- إيه الأخبار....عملت التحليل

- لا.....عملت اتنين

هنا قرر مكرم أن يطلعه على التحليل الذي أطلع عليه الطبيب (النصاب) حتى يقطع الشك باليقين في أمر هذا الطبيب، فربما يكون المعمل قد أخطأ، أو ربما أخطأ الطبيب الأول في قراءة التحليل الأول، رغم أنه إحتمال بعيد، لكن الأمر خطير ولا يحتمل لعبة الإحتمال

- تمام!!

أعطى مكرم التحاليل لأسامة

تفحصها اسامة واحدا يتلوه الآخر

هز رأسه يمينًا و يسارًا باستنكار

نزع نظارته ووضعها أمامه على المكتب، ثم قال بنبرة خافتة

- للأسف يا مكرم التحليلين بيقولوا نفس الكلام، وهو نفس الكلام اللي في التحليل بتاع المرة اللي فاتت

لم يتكلم مكرم، لم يعد مجال للشك، التحليل الأول كان صحيحًا، والطبيب الأول كان مصيباً، والطبيب الثاني محتالًا، وهو لن يكون له ذرية، وعائلة ياسين لن يحمل اسمها حفيدًا، والأهم من كل هذا أن نهلة شربت من بئر الخيانة، وتجرعت من نبع الزنا حتى حملت بين أضلعها نتاج تلك الجريمة

- أسامة

قالها مكرم وسكت، تكلمت عيناه قبل أن تنفرج شفتاه، كانت نظرته لأسامة نظرة رجاء أن يكون هذا سرا بينهما، نظرة استعطاف أن يحس بما يشعر به، نظرة ضعف أنه لن يصبح أبا مهما مر الزمن

- ده سر بيني و بينك ليوم القيامة.

هز أسامة رأسه مجيبا

قام مكرم من مكانه ولم يتكلم بكلمة واحدة، اتجه نحو باب العيادة، وخرج وركب سيارته

انتهي وقت المزاح، انتهت لعبة الاحتمالات، كشفت جميع أوراق اللعب من جانب نهلة، لكن أوراق مكرم ما زالت لم تكشف بعد .....

- عايز أكلمكم شوية عن ضبط النفس، الكلام اللي أنا هقوله ده ملوش أسس علمية، ومش هجيبه في امتحان، تقدروا تعتبروه مجرد دردشة بيني وبينكم

انتبه الطلاب بعد جملة مكرم الأخيرة فهم دائمًا ما يحبون تلك الفقرة في محاضرات أستاذهم مكرم، لكنه و للمرة الأولى يخبرهم أنها ليست جزءا من المحاضرة، ربما يريدهم هذا اليوم أن ينتهوا أكثر.

كانت محاضراته دائمًا تحتوى على جزء في نهايتها أشبه بالنقاش، وكأنه برنامج على شاشة إحدى الفضائيات، يفتح لهم صدره، ويكلمهم و كأنه يجلس معهم على أحد المقاهي، لكنه وفى أخر خمسة أسابيع تقريبا لم يكن يقدم هذه الفقرة في محاضراته، بل أنه لم تكن محاضراته تحوى بعض الخروج عن النص للكلام في الرياضة أو الاقتصاد او السياسة أو غيرها، فكان يأتي ويلقى المحاضرة كالمسجل، ثم يغادر كأن القطار ينتظره، لكنه هذا اليوم عاد إلى سابق عهده، واستجلب انتباه طلابه

- أحيانًا الإنسان بييجى قدام مواقف معينة وما بيقدرش يضبط نفسه فيها، رغم إن الموقف ممكن يكون تافه جدًا، يعنى مثلا لو أنت راكب الأتوبيس الصبح وراح واحد جاي و دايس على رجلك، وأنت بقى من النوع الجنتل مان اللي بيلمع جزمته يوميا، تلاقي نفسك فجأة تحولت إلى شعلة غضب، مش مهم الغضب ده هتوجهه فين، لكن جواك في غضب كبير، ممكن تخرجه، وممكن تكتمه، لكنك من

جواك بالبلدي كده (شايط).

هل ضبط النفس بيختلف من إنسان للتاني؟..... أكيد

في ناس عندها قوة ضبط نفس رهيبة جدًا، وفى ناس عندها عصبية مفرطة جدًا، وفى ناس لا تأمن ردة فعلها في مواقف معينة، رغم إنه ممكن يكون وديع في عادته، لكنه قدام موقف معين ممكن يتحول لإنسان تاني، وده ممكن يكون لارتباط الموقف ده عنده بمبدأ أو عقيدة أو ذكرى مؤلمة في حياته.

أنا دلوقتي هسألكم سؤال وعايز أعرف إجابته منكم، وعايز أعرف تصرفكم فيه، بس ياريت محدش يكرر إجابه قالها زميله، وياريت محدش يتكلم إلا لما أسمح له بالكلام .....إتفقنا

تتصرف إزاي لو اتسرق منك مبلغ معين وبعد كده عرفت مين اللي سرقه وهنا حالتين لو هو اعترف لك بنفسه أو أنت عرفت لوحدك؟

تفاعل الطلبة بشدة مع السؤال وبدأوا بطرح وجهات نظرهم والتي ليست بالضرورة تعبر عن تصرفهم الحقيقي إن وضعوا في هذا الموقف وجاءت بعض الإجابات كالتالي:

- لو هو اعترف لي بنفسه ممكن أسامحه، لكن لو أنا اللي عرفت أكيد مش هسامحه، وغالبا هضربه.

- لو هو اعترف بنفسه مش هأخد أي إجراء ضده لكن هطالبه بالمبلغ، أما بقى لو أنا اللي عرفت فأكيد هقدم فيه بلاغ.

- والله مش هتفرق هو اعترف ولا أنا اللي عرفت لكن أهم حاجة وقبل ما أخد أي إجراء أكون متأكد يقينا إن هو ده الحرامي، وساعتها مش هسامحه، وفى الحالتين هبلغ عنه

- الحقيقة يا دكتور أنا اللي هيفرق معايا احتياجي للمبلغ ده، يعنى بمعنى أصح توقيت وظروف السرقة، وساعتها هقرر هسامحه ولا لا مهما كانت الطريقة اللي أنا عرفت بيها

إجابات مختلفة، ووجهات نظر أكثر اختلافًا، ربما نطق بعض الطلاب بغير ما فكر فيه من أجل أن يشارك ولا يكرر ما قاله أحد زملاؤه، لكن في النهاية هناك اكثر من فكر، وأكثر من وجهة نظر.

بدأ مكرم كلامه مرة أخرى

- الحقيقة وجهات نظر كلها تحترم، بس ده تفكيركم و أنتم هنا في المدرج ومش محطوطين تحت أي ضغط وما بتسيطرش عليكم أي مشاعر، وغالبا إجاباتكم دي ناتجة عن مبادئ و أفكار مترسخة جوة كل واحد فيكم، يعنى كل واحد إتكلم حسب شخصيته، بس الحالة دي حالة سهلة، لكن دلوقتي أنا هسأل سؤال أصعب شوية والمرة دي هتكون الطريقة مختلفة شوية في الإجابة، بمعنى إني هعطى الإذن لواحد يجاوب وبعد كده هنشوف رأى زمايله فيه إيه...مستعدين

تعمل إيه لو قولت سر من أسرارك لشخص واحد و الشخص ده خرج السر ده؟

هنا رفع كثير من الطلاب أيديهم، أشار مكرم إلى أحدهم بالكلام

- ببساطة يا دكتور هبعد عنه و مش هعرفه تاني

رد مكرم

- يعنى مش هتحاول تنتقم منه

- لا

- رأيكم إيه في كلام زميلكم، اللي موافق على كلامه يرفع ايده

رفعت الأغلبية الساحقة من المدرج يدها، لم يتبقى سوى بضع طلاب قليلين لم يرفعوا أيديهم .

- دلوقتي أنا هختار من الناس اللي رافعة إيديها اتنين يقولوا لي بيأيدوا الرأي ده ليه، اللي لابس أخضر في الصف قبل الأخير، وأنت

أشار مكرم بيده إلى أحد الطلاب في الصف الذي أمامه مباشرة

- أنا بأيده لأن رأيه هو الواقع إحنا مش في غابة عشان أفكر إني أنتقم، أو بمعنى أصح الانتقام هنا غير مجدى لأنى سرى خرج ما أقدرش أمنعه، فالصح هنا إني أتعلم من غلطتي و أبعد عن الشخص ده

قال الطالب رأيه ثم جلس، فأشار مكرم إلى الطالب الذي أمامه ليتكلم

- أنا مش هضيف كتير عن اللي زميلي قاله، أنا متفق معاه تمامًا، وكمان شايف إن انتقامي ممكن يقلل منى كشخص، فبلاش أدخل في معركة تقلل من قيمتى

جلس الطالب الثانى، وهنا عاد مكرم إلى الحديث

- الناس اللي ما رفعتش إيديها في الرأى الأول ممكن واحد منهم يقوم يقول لى رأيه هو إيه، إرفعوا إيديكم وأنا هختار شخص

رفعوا أيديهم فإختار مكرم أحدهم

- أنا مش بس هبعد عنه، لا أنا لازم أنتقم منه و أدفعه تمن غلطته غالى، عشان أحافظ على كرامتى

- ويا ترى هتنتقم إزاي

- ما أقدرش أقول إزاي بالظبط، بس ممكن أطلع سره زى ما هوعمل، عشان يبقى العين بالعين والسن بالسن.

- وهتبقى راضى عن نفسك لو عملت كده

- الإنسان تحت تأثير الانتقام يا دكتور بيعمل حاجات كتير هو مش راضي عن نفسه فيها، وممكن يعمل حاجات عمره ما إتخيل إنه ممكن يعملها، واللي يفرق معايا هو الشخص اللي أنا هنتقم منه يستحق كده ولا لا، مش أنا ممكن أعمل كده ولا لا

- اللي موافق على اللي زميلكم قاله يرفع ايده

رفع جميع الطلاب المتبقيين أيديهم إلا طالب واحد

نظر مكرم إليه ووجه إليه السؤال

- وأنت مش موافق على الرأيين

قام الطالب من مكانه، وبدأ في الحديث

- أنا ليا وجهة نظر تانية

- نحب نعرفها

- أنا مش هيفرق معايا الشخص، إنما هيفرق معايا الفعل، الفعل ده لو أنا عملته قبل كده، أو لو عندي إحساس إني ممكن أعمله بعد كده، مش هفكر أنتقم من اللي عمله، واحتمال أسامحه كمان، إنما في بعض المواقف اللي لا يمكن أعملها في حياتي، وما أحبش إنها تتعمل فيا أكيد مش هسكت عليها

- وهتعمل ايه

- دي بقى يا دكتور اللي مش هقدر أجاوبك عليها، لأن دي محتاجة وقت وتخطيط، عشان أقدر أحدد هعمل إيه بالظبط

أومأ مكرم برأسه إعجابا بالرأي الأخير، ثم قال

- عموما دي وجهة نظرك زى ما كل واحد من زمايلك ليه وجهة نظر، لكل

مشكلة أكتر من حل، وأظن ده بقى واضح بعد اللي حصل دلوقتي، في حل شائع وسهل و مفيش منه أي خطر وأمان ومالوش أي عواقب وده بيعمله العامة و الغالبية العظمى، وفى حل متهور و عصبي و ممكن يكون له عواقب وخيمة وده بيعمله فئة معينة متهورة، إنما في حل عبقري دايما هو الحل الوحيد غالبا اللي بتقدر تطلع منه بأقل خسارة وبأكبر انتصار ممكن وده بيعمله واحد في المية من الناس.

أشوفكوا المحاضرة الجاية

خرج مكرم من المدرج، وركب سيارته، وبعد أن بدأ بالتحرك أخرج هاتفه من جيبه، قام بطلب أحد الأرقام و بعد ثوان جاء الرد على الجانب الآخر.

- دكتور مكرم

- إزيك يا باش مهندس

- بخير والله، الحمد لله أخبار حضرتك إيه

- الحمد لله، عملت إيه في الموضوع اللي كلمتك فيه

- كل خير يا دكتور، أنا قدرت أتوصل لطالب هنا في الكلية يقدر يعمل السيستم اللي حضرتك طلبته، و طبعًا مش هيقول لأي حد

- يعنى الطالب ده ثقة يا باش مهندس

- من ناحية الشغل فهو فاهم الموضوع كويس و عمله قبل كده، أما بقى من ناحية الأمانة فبصراحة ما أعرفش

- حتى لو مش أمين فده مش هيفيده، هو هياخد مبلغ كويس، أنا كان ممكن أجيب أكبر شركة في مصر بس أنا عايز الموضوع في السر

- ما تقلقش يا دكتور

- تمام أنا وصلت الكلية دلوقتي وعايز أقابل الولد ده
- إتفضل حضرتك شرفني في المكتب و أنا هبعت أجيبه لك
- اتفقنا

أغلق مكرم الهاتف، وأوقف سيارته جانب كلية الهندسة، ثم تقدم باتجاه مكتب المهندس صديقه

دخل مكرم إلى مكتبه و سلم عليه، ثم جلس أمامه ليبدأ المهندس الحديث

- أنا بعتت للولد وهو جاي دلوقتي
- تمام يا هندسة، وأهو بالمرة ندردش شوية على ما ييجى

جلس مكرم يتبادل أطراف الحديث مع المهندس صديقه إلى حين وصول الضيف المنتظر، كان مكرم يعرف هذا المهندس منذ أن كان طالبًا، فقد تعرف عليه في إحدى الندوات التي كانت تنظمها الجامعة، و أصبحا صديقين من يومها، وإلى الآن يلتقيان كل فترة من الزمن يحكى كل منهما للآخر أخر ما جد في حياته، لكن هذه المرة لم تكن المقابلة ودية بل كانت لغرض قد طلبه مكرم من صديقه.

انتظر الطرفان في حديثهما لعشر دقائق حتى جاء الضيف المنتظر

دخل الطالب فسلم عليهما، وجلس أمام مكرم فبدأ المهندس بالحديث

- طبعًا يا عمرو أنت تعرف دكتور مكرم ياسين
- طبعًا يا باش مهندس و هل يخفى القمر.
- دكتور مكرم عمرو من أحسن الطلبة في الكلية عندنا، وإن شاء الله هيقدر ينفذ لك اللي أنت عايزه
- أتمنى، هو لو قدر ينفذ اللي أنا عايزه، أنا كمان هحقق له اللي هو عايزه
- إن شاء الله يا دكتور

- بص يا عمرو أنا عايز أعمل نظام مراقبة في البيت كله، بس بشرط ان الكاميرات ما تبقاش باينة، وإن الصوت يبقى طالع، بحيث إني أقدر أشوف و أسمع اللي بيحصل في البيت و أنا برة

بدأ الطالب بالحديث

- سهلة إن شاء الله يا دكتور، بس حتة إن الكاميرات ما تبقاش باينة دي أنا ما أضمنهاش لأن دي بتتوقف على المكان اللي هتتركب فيه الكاميرا

- أنا ممكن أعمل أي حاجة قصاد إن الكاميرات دي ما تبقاش ظاهرة، وبالنسبة للإمكانيات المادية ما تحملش هم

صمت الطالب قليلًا قبل أن يردف:

- اتفقنا

أخرج مكرم من جيبه ظرفا وناوله للطالب

- الظرف ده فيه كل الفلوس اللي هتحتاجها عشان تجيب الكاميرات ومستلزماتها، وأنا هكلمك أبلغك باليوم اللي هتيجي تركب فيه الكاميرات

- تمام يا دكتور

- رقم تليفونك لو سمحت

سجل مكرم رقم الطالب على هاتفه

- خلاص زي ما قلتلك أنا هكلمك أبلغك بالمعاد اللي هتيجي تركب فيه، وأنا هبعت لك عربية تجيبك وترجعك، دلوقتي أستأذن أنا بقى

قام مكرم من مكانه، سلم على الطالب و المهندس و انصرف .

اتجه مكرم بسيارته إلى مقر الشركة ليبدأ عمله كرئيس مجلس إدارة مجموعة ياسين، فاليوم هناك اجتماع لمجلس الإدارة لمناقشة الأمور المتعلقة

بالمناقصة التي ستدخلها الشركة خلال الأيام القادمة، ولا بد أن يكون مكرم في كامل تركيزه من أجل هذا الاجتماع، لذا ذهب إلى مكتبه أولا وشرب القهوة قبل الدخول إلى غرفة الاجتماعات

دخل مكرم إلى غرفة الاجتماعات، كان الجميع حاضرا، مراد، ورحمة، وياسر، كل أعضاء المجلس

بدأ مكرم بالكلام

- صباح الخير يا جماعة

- صباح النور يا دكتور مكرم

- طبعًا الحاجة الأساسية في اجتماع النهارده هي المناقصة بتاعت وزارة الزراعة و اللي أكيد الشركة بتاعتنا لازم تاخدها، وأي حد عنده أي موضوع تاني يبقى بعد ما نخلص الموضوع ده.

جميل، دلوقتي كل واحد فينا قدامه نسخة من العرض الفني و المالي والمهندس مدحت هيشرح لنا التفاصيل

قام المهندس مدحت وبدأ بشرح تفاصيل العرض الذي ستتقدم به مجموعة ياسين في مناقصة وزارة الزراعة

انتبه الجميع لكلام المهندس مدحت الذي بدا واثقا من الظفر بتلك المناقصة

بعد أن أنهي كلامه وجه مكرم كلامه إلى الحاضرين

- أعتقد إن المناقصة دي هتبقى من نصيبنا إن شاء الله، في أي حد عنده ملاحظات

قام أحدهم وطرح سؤالا وتلاه سؤال أخر من شخص أخر، وبدأت المناقشة

الفعلية لعرض المناقصة والذي استمر لمدة تقرب من الساعتين

انتهت المناقشة تمامًا، وفى نهاية الاجتماع بدا الجميع مقتنعا، ومتأكدا من حصول المجموعة على تلك المناقصة

أنهي مكرم الاجتماع وتوجه إلى مكتبه، فتبعه مراد

- اقعد يا مراد في حاجة عايز أقول لك عليها

- خير يا مكرم

- أنت عازمني على يوم نقضيه في إسكندرية نغير جو

اندهش مراد من كلام مكرم، فرد بلهجة ساخرة

- عازمك إزاي يعنى؟

- عازمنى على حسابى

- اللي هو إزاي؟

- يا أخى أنا عايز أطلع يوم إسكندرية، ونهلة حامل زى ما أنت فاهم وممكن لو أنا عرضت عليها ما ترضاش تيجى بحجة الحمل، وأنا بصراحة عايز أغير جو

- طب وإشمعنى إسكندرية، ما تروح شرم ولا السخنة ولا أي حتة، ما أنت عندك شاليهات في كل حتة في مصر

- لا شرم بعيد، ولو روحت هناك حتى لو بالطيارة هأقعد ٣ أيام على الأقل إنما أنا عايز يوم واحد عشان ما ينفعش أبعد عن الشركة كتير، ووجودك معانا أنت و مراتك هيخلى نهلة توافق.....فهمت

لم يبدو مراد مقتنعا تمامًا، ولكنه ليس لديه أي سبب للرفض

- خلاص موافق، بس هنروح امتى

- يوم التلات الجاي، عايزك بقى تحجز لنا فندق كويس.

- أيوا بس أنت اللي هتدفع طبعًا

- يا عم أنا اللي هدفع أمال أنت بس قدام نهلة ومراتك

- أنا اللي عازمك طبعًا

- بالظبط كده، أنا هكلم نهلة دلوقتي عشان أبلغها

قام مكرم بالاتصال بنهلة

- أيوا يا نهلة بقولك

- أيوا يا حبيبى

- تيجى نطلع إسكندرية التلات الجاي

- ليه بس يا حبيبى، أنا لسه في أول الحمل و مش عايزة أسافر

- يا نهلة هو يوم واحد، وبعدين ما أنا كمان مش عايز أطلع بس مراد هو اللي عازمنا و أنا بصراحة ما أقدرش أرفض لمراد طلب

- ممكن تعتذر عادى

- لا لا، تعالى نروح نغير جو، وبعدين المسافة مش بعيدة، ومش هنطول ده هو يوم واحد

صمتت نهلة قليلًا قبل أن تردف

- خلاص يا حبيبي، أنا هطلع عشان خاطرك بس

- ماتحرمش منك يا حياتي، ياللا باي

أغلق مكرم هاتفه ووجه كلامه إلى مراد

- خلاص يا سيدى نهلة وافقت على عزومتك

نظر مراد إلى مكرم ورفع حاجبيه

- لا يا راجل

ضحك مكرم ضحكة طويلة، ثم أردف

- مش ده اللي أنت كنت عايزه

- لا ده اللي أنت كنت عايزه، وبعد إذنك بقى عشان ورايا شغل

- ماشي يا عم الشغل

خرج مراد من المكتب، وما إن اطمئن مكرم أنه خرج، حتى أمسك هاتفه مرة أخرى، ولكنه هذه المرة لم يتصل بنهلة، وإنما بشخص أخر

- باش مهندس عمرو، أخبارك ايه

بص يا سيدى التركيب إن شاء الله هيكون يوم التلات الجاي، وأنا مش هكون موجود، عم محروس هيبقى معاك و هيعملك كل اللي أنت عايزه ، بس زى ما فهمتك يا باش مهندس أهم حاجة عندى إن الكاميرات ما تبانش يبقى اتفقنا

البحر و الشمس و الرمال الصفراء، وجمال الجو في محافظة الإسكندرية جعل مكرم يعود إلى هدوء أعصابه المعهود قبل الأحداث العصيبة التي حلت به في الفترة الماضية، ورغم أن هذه الرحلة كانت لغرض آخر غير التنزه، إلا أن مكرم أدرك بالفعل أنه كان في حاجة إليها.

سرح مكرم بخياله بعيدًا، غاص في عالم افكاره، أبحر في جميع أركان عقله، أخذ يتذكر ما حدث، ويتخيل ما يمكن حدوثه، ابتسم للسيناريوهات الكوميدية التي راودته، وكاد أن يبكى لتلك الآخرى التي يتمنى موته قبل حدوثها، ثم سأل نفسه سؤالًا لماذا كل هذا العناء أكل هذا من أجل الثروة، ربما لو كان فقيرا لما جاءه ذلك الرجل، ولكن الفقر لم يكن ليمنع خيانة زوجته له، إنها أقدار الله التي لا يستطيع أحد منعها، وربما لوكان فقيرًا لما حد..

قاطع أفكاره صوت هاتفه:

- إيه الرقم الغريب ده.

قالها مكرم في نفسه قبل أن يجيب

- ألو

- إزيك يا دكتور

إنه صوت ذلك الرجل فرغم أنهما لم يتقابلا سوى مرة واحدة إلا أن مكرم يعلمه جيدًا، فنغمة ذلك الصوت هي التي عزفت لحن حزن و حيرة مكرم في الأيام الأخيرة

- مين معايا

- ما تقولش إنك مش عارفنى

- لو كنت أعرفك مكنتش سألتك مين معايا

- فكرت كويس يا دكتور

- أه...أنت المعتوه اللي جالى الشركة

- الله يسامحك، عموما لسه الأسبوعين ما إنتهوش أنا مش مكلمك عشان كده

- أمال عشان ايه

- أنا بس كنت عايز أسألك إيه أخبار الجو في اسكندرية النهارده

هذا هو الغرض إذا، فهم مكرم ما يرمى إليه الرجل، إنه يخبره أنه يراقبه جيدًا، ويعلم جميع تحركاته، ويذكره أيضًا انه لم يتبقى سوى ٣ أيام على إنتهاء مهلة التفكير

- زفت

- نعم

- زفت على دماغك، خدت الاجابة اللي أنت عايزها....سلام

قالها مكرم و أغلق الهاتف في وجه الرجل، وقف قليلًا حتى يهدأ ، ثم قام بالاتصال بمراد

- هو أنا جاي إسكندرية عشان أفضل مستني لوحدي

- أنا والله قاعد مستني الستات يخرجوا من المية

- طيب انجزوا عشان أنا زهقت من القعدة

- ما أنت اللي مشيت هو حد قالك تمشى

- ماشي...أنا طلبت سمك عشان الغدا، وأنتوا حرين بقى، يا تلحقوا يا ما تلحقوش

- في لمح البصر هكون عندك

- ماشي.....سلام

تبقى مكالمة لا بد من إجرائها قبل أن يعودوا

- إيه يا عم محروس، إيه الأخبار عندك

- تمام يا دكتور مكرم، الراجل وصل من نص ساعة، وشغال أهو

- طيب يا عم محروس خلى بالك منه، واعمل له كل اللي هو عايزه، وما تخليهوش يغيب عن عينك لحظة

- من غير ما تقول يا دكتور، اللي أنت وصيتني عليه بيتنفذ بالحرف

- تمام يا عم محروس....ياللا سلام

يجلس خالد أمام شاشة التلفاز وأمامه طبق صغير يحوى بعض الفاكهة، وبجانبه ليلى لكنها ليست بجانبه، هو يشعر بما حل بها، ويعرف متى تكون ليلى في

حالة سيئة، ومتى تكون في أفضل حالتها، هكذا ينبغي ان يكون الزوج لزوجته، والمرأة لزوجها، ينبغي أن يفهم كلاهما الآخر دون أن يتكلم، يحس به قبل أن ينطق، يكون الملجأ له إذا تداعت كل الدنيا على إيذائه.

- لو تقولي بس مالك

انتبهت ليلى لكلام خالد

- مفيش يا حبيبي، أنا بس مرهقة شوية

- خلاص تعالى نسافر يومين في أي حتة

- لا مش للدرجة دي، أنا بس عايزة أرتاح من ضغط الشغل شوية و هبقى كويسة.

صمت خالد رغم عدم إقتناعه بكلام ليلى، وتمنى لو كان يستطيع أن يقرأ أفكار الآخرين ليعلم ماذا حل برفيقة دربه.

لم تكن ليلى لتخبر خالد عن الذي بها، ولا تريد لأحد في العالم أن يعرف، ربما عرفت الآن ما كان يعانيه مكرم، الآن فقط صارت تعذره لأنه لم يخبرها منذ البداية.

بعد وقت ليس بالطويل دق جرس الباب، قام خالد من مكانه ليرى من بالباب.

فتح خالد وإذا به يرى رجلا لم يره من قبل، شاب يبدو أنه في وسط العشرينيات من عمره، طوله متوسط، وملابسه منمقة، ورائحة عطر مميزة تفوح من ثيابه.

- أنا آسف على الازعاج يا دكتور خالد

لم يتعجب خالد من هذا لأنه ببساطة قام بقراءة اللافتة المعلقة على يسار

الباب

- إتفضل

- أنا زكريا الساكن الجديد اللي في الشقة اللي قدام حضرتك

- أهلا و سهلا يا أستاذ زكريا

- بعد إذن حضرتك كنت محتاج زعافة من اللي هي بتنضف السقف لأن العنكبوت مالي الشقة، والمحلات بعيدة عن هنا زي ما أنت عارف، فلو تتكرم حضرتك لو عندك زعافة أكون شاكر ليك جدًا

- أه موجود، ثانية واحدة أجيبها لك

دخل خالد إلى الشقة لإحضار ما طلبه الرجل، فسألته ليلى

- مين يا خالد

- ده واحد ساكن جديد في الشقة اللي قصادنا و كان عايز الزعافة بتاعت السقف

لم تعلق ليلى، أحضر خالد الزعافة و أعطاها للرجل

- متشكر جدًا يا دكتور خالد، أنا هخلص و أجيبها لحضرتك على طول

- لا شكر على واجب يا أستاذ زكريا

- بعد إذن حضرتك

- إتفضل

* * *

جهز عم محروس مائدة الإفطار انتظارًا لانتهاء مكرم من ارتداء ملابسه، جلست نهلة على الطاولة، وبعد قليل جاء مكرم، بالتأكيد احتاج أن يتأخر قليلًا

يطمئن على أماكن وضع الكاميرات لكنه في النهاية أتى إلى مائدة الافطار.

- صباح الخير يا حبيبي
- صباح النور يا حياتي
- أنت إمبارح روحت في النوم على طول
- أه، كنت تعبان جدًا
- ودلوقتي
- الحمد لله نمت كويس

بدأ مكرم بتناول إفطاره ولكنه فوجأ بهاتف، إنه من مراد لا بد أن لديه أخبار جديدة حول مناقصة وزارة الزراعة

- أيوا يا مراد
- مكرم العرض الفني بتاعنا اتقبل
- طيب تمام
- وفتح مظاريف العرض المالي امتى
- كمان ٤ أيام
- ممتاز
- إن شاء الله ترسى علينا
- بإذن الله، أنا مسافة السكة هكون عندك في الشركة....سلام

أنهي مكرم افطاره، وهم بالخروج، فأوقفته نهلة

- حبيبى أنا رايحة للدكتور بالليل

توقف مكرم قليلًا

- الساعة كام

- يعنى الساعة ٨ كده
- وترجعي امتى
- مش عارفة على حسب دوري
- ماشي يا حبيبتي

قالها مكرم ثم توجه إلى باب الفيلا، ومنه إلى السيارة انطلاقا إلى الشركة

وصل مكرم إلى الشركة ودخل إلى مكتبه، الأمور مستقرة نوعا ما هذه الأيام لا جديد يذكر ولا قديم يعاد على مستوى المشاكل التي دائمًا ما تلاحق مثل هذه المجموعات الكبيرة.

استغل مكرم هذه الحالة من الهدوء، فطلب من مراد ألا يدخل عليه أحد، ثم أخرج (التاب) الخاص به، وبدأ يفتح الكاميرات من خلال الأنترنت كما علمه المهندس عمرو

الكاميرات أرقام ١،٢،٣ هي الكاميرات الخاصة بغرفة النوم، وهي تكشف جميع أركانها و زواياها، أما الكاميرات أرقام ٧،٦،٥ هي الكاميرات الخاصة بغرفة المعيشة، وهي عادة الأماكن التي تتواجد فيها نهلة.

الكاميرا رقم ٢ أظهرت نهلة تجلس على السرير في غرفة النوم ممسكة بهاتفها المحمول، ساعة كاملة مرت لم تكن تحمل شيئًا غير اعتيادي

انفتحت عينا مكرم على مصارعها، ثم أطلق ابتسامة تعنى الكثير

رأى نهلة وهي تفتح الهاتف و تخرج منه الخط الذي يحمل رقمه جميع الناس، والذي يراقبه مكرم عن طريق سامح، وتضع مكانه خطًا أخر.

الآن انكشفت اللعبة، كل ما فكر فيه كان صحيحًا، كل الأوراق صارت واضحة، أصبحت نهلة كالساحر المعلومة خدعه لدى المشاهد الذي لم يكن سوى

مكرم، لكن مكرم ما زال في جعبته الكثير.

بدأت نهلة في الكلام

- ألو أيوا يا حبيبى

- أنا قلت لمكرم إني راحة للدكتور عشان المتابعة، وقلت له إني ممكن أتأخر حسب الدور، يعنى أنا النهارده هبقى بتاعتك وبس

- يعنى هجيلك على الساعة ٩ كده، أنا بظبط البنت اللي عند الدكتور و بخليها تدخلني بدري، ما تقلقش...سلام يا روحي.

احمر وجه مكرم، تمكن منه الغضب، تمالك نفسه حتى لا يكسر احد الأغراض الزجاجية الموجودة على المكتب، أن تعلم أنك تخان شيء، و أن ترى الخيانة بنفسك شيء مختلف تمامًا.

بعد دقائق عاد مكرم إلى هدوئه من جديد، دقائق مرت كسنوات، رفع مركم أحد الهواتف بجانبه

- أيوا يا ابنى، هاتلي قرفة باللبن

الآن يحب أن أفكر بهدوء أكثر

لم يتبق سوى خطوة واحدة لكشف ذلك الشبح الذي أفسد حياتي، فقط مراقبة نهلة هذه الليلة...وسأصل إلى كل شيء.....

تحركت نهلة بسيارتها منفردة، بالتأكيد لن تأخذ معها أحد السائقين وهي تذهب للولوغ في بئر عميق من الوحل، بدا الطريق فارغا هذا اليوم، وكأن الشيطان من أفرغ هذه الشوارع ليسهل لنهلة طريق الوصول إلى المسرح الذي سيشاهد عليه واحدا من أحب المشاهد إلى قلبه

وصلت نهلة إلى عيادة الطبيب وما إن دخلت، حتى سلمت على السكرتيرة و

لكن ليست خالية اليد، فقليل من المال بالنسبة لنهلة سيجعلها المريض التالي، بل والأجمل أنه سيجعلها تذهب مبكرًا إلى معشوقها.

لم تتأخر المريضة التي سبقتها كثيرًا، ولم تتأخر نهلة أيضًا في حجرة الكشف، وخرجت إلى سيارتها

بدأت تتحرك في اتجاه المكان الذي تعشقه، وكان مكرم (بسيارة طلب من سائقه أن يستأجرها له) يتبعها، بدا كأن مكرم بالذكاء الكافي الذي يجعلها لا تلاحظه، كما أن ما حدث معه سابقًا جعله لا يقف عندما سكنت حركة عجلات سيارة نهلة أمام أحد العمارات .

تقدم مكرم بالسيارة تجاوز العمارة، تجول بسيارته قليلًا في محيط المكان، ثم عاد مرة أخرى إلى نفس المكان الذي توقفت فيه نهلة.

وقف مكرم أمام العمارة محاولًا استكشاف تلك البناية، في أي طابق يمكن أن تكون نهلة الآن، في أي طابق ينتهك عرضه الآن.

تجول ببصره في العمارة من الخارج، الكثير من اللافتات وضعت، أحدهم طبيبًا للعظام، والآخر مكتبا هندسيا، لكن جميعها، أسماء لا يعلمها، ثم توقف قليلًا، قال في نفسه أنه من الممكن أن تكون نهلة في أحد الشقق السكنية، لكنه عاد مرة أخرى لقراءة اللافتات ربما يجد فيها مفتاح اللغز الأهم في حياته.

طبيب آخر لأمراض القلب، وهذا الذي يعلوه محاسب قانوني، وبجانبه مكتب هندسي

اتسعت عينا مكرم فجأة وهو يقرأ تلك اللافتة، إنه هو بلا شك، إنه ذلك الثعلب الذي تسلل إلى حياة مكرم يعبث بها يمينًا و يساراً

مازن ممدوح أبو العلا المحامي.

نعم، إنها تخونه مع هذا الشاب الذي كان طالبًا في كلية الحقوق أثناء تواجد مكرم و نهلة معًا في كلية الآداب، لقد كان منزله قريبا من منزل نهلة، لقد راه مكرم اكثر من مرة في تلك المنطقة أثناء فترة الخطوبة، ولقد تقابلا في الجامعة كثيرًا، فلقد كان كلاهما له نشاطا طلابيا ملحوظا .

يبدو أنه يقف الآن أمام رماد نار لم تنطفئ، ظاهرها رماد لكن باطنه من قبله نار، نار لم تحرق إلا قلب مكرم الذي أحب فوهب، وعشق فأعطى .

انتهى وقت الكلام و حان وقت الفعل

ركب مكرم سيارته متجها إلى المنزل، دخل إلى مكتبه، أغلق عليه الباب من الداخل، أغلق هواتفه، جعل الغرفة مظلمة تمامًا، جلس على كرسيه، أغمض عينيه، وبدأ بالتفكير

في اليوم التالي بينما هو جالس يتفحص بعض الأوراق، جائه ما كان ينتظره، رن هاتفه برقم ذلك الرجل، تجاهله مكرم، فعاود الاتصال ثانية، ثم تجاهله مكرم، فعاود مرة ثالثة فأجاب مكرم محتدًا

- أكتر حاجة أكرهها في حياتي هي الغباء

- الله يسامحك تاني، وعموما عايز أقولك إن اللي بيقفل في وشى السكة ما بيطلعش عليه صبح

- أديني طلع عليّ تلاتة

رد الرجل في هدوء مستفز

- ده عشان أنت غالى عندي، فكرت كويس

- بص بقى يا حيوان أنت، أنا لحد دلوقتي مستحملك، و أخر كلام عندي شوف لك حد أهطل تاني تضحك عليه، وتلبسه المصيبة بتاعتك دي، ولو حاولت

تقرب من الشركة تاني هصفيك، مفهوم

رد الرجل بلهجة حادة للمرة الأولى

- أنت كده اللي اختارت

ثم أغلق الخط

زفر مكرم في ضيق، أسند ظهره إلى الكرسي، تريث قليلًا حتى هدأت أنفاسه، ثم بدأ بتصفح الورق من جديد لكنه هذه المرة مشتت الذهن

ثم توقف عن التصفح فجأة، وقال في نفسه

- لازم أرتب أوراقي، عشان ما أخسرش أي حاجة، لازم كل خطوة أخدها في أي موضوع تكون مبنية على أساس قوى، لازم أفكر كتيييييييير، وبهدوء، دايما الأهدى و الأذكى هو اللي بيكسب.

❋ ❋ ❋

- كان إيه رده

قالها الرجل الجالس خلف المكتب للرجل الذي يتواصل مع مكرم

- رفض التعاون معانا يا باشا

- هو الجاني على روحه

❋ ❋ ❋

يتجه مكرم بسيارته إلى المجموعة ينتظر أن يتصل به مراد وهو مندوب

المجموعة لحضور فتح مظاريف العروض المالية لمناقصة وزارة الزراعة.

لم يطل الانتظار طويلا

- أيوا يا مراد، إيه الأخبار

رد مراد بصوت خافت

- المناقصة ما رسيتش علينا يا مكرم

رد مكرم بعصبية

- ده اللي هو إزاي

- في شركة قدمت عرض أقل مننا ب ٥٠٠ ألف جنيه

- نعم!!! ٥٠٠ ألف بس

أدرك مكرم في هذه اللحظة أن الأمر ليس طبيعيًا

- مراد أنت عارف ده معناه ايه

- معناه إيه؟

- معناه إن في خائن وسطنا يا مراد، و فرق السعر ده بيقول إن اللي اشتراه مش عايز منه حاجة تانية يعنى قرر يضحى بيه.

- وده هنعرفه إزاي

- أنا هعرفه بطريقتي، اقفل دلوقتي يا مراد، أنا ١٠ دقائق و هبقى عندك في الشركة

* * *

صوت جرس الباب انطلق في شقة ليلى و خالد

توجه خالد ليفتح الباب

- مساء الخير يا دكتور خالد

- أهلا يا أستاذ زكريا

- أنا جاي عشان أعزم حضرتك على حفلة عيد ميلادي بكرة بإذن الله

تفاجأ خالد من طلب زكريا لكن لا يوجد مانع للحضور

- بإذن الله يا أستاذ زكريا

أنهي خالد حواره مع زكريا فأغلق الباب وجلس إلى جوار ليلى

- عايز إيه الراجل ده تاني

- قال عازمنا بكرة على عيد ميلاده

- في السن ده وعامل عيد ميلاد

- كل واحد حر يا ليلى، إحنا هنحضر و خلاص.

* * *

وصل مكرم إلى مكتبه، دخل مراد و أغلق الباب خلفه بدأ بالحديث

- هنعمل ايه يا مكرم

- هنحاول نوصل للخاين اللي في الشركة

- أنت شاكك في إيه

- حد سرب العروض بتاعتنا للشركة اللي خدت المناقصة، والحد ده أنا هعرفه، ابعت لي الأستاذ ياسر مدير الحسابات

حضر ياسر إلى مكتب مكرم و جلس أمامه

- خير يا دكتور مكرم

- كل خير، تقدر تفسر لى اللي حصل النهارده

- الحقيقة يا دكتور معنديش أي تفسير

- أستاذ ياسر، هو أبويا كان ليه أي نشاط أنا معرفوش

ارتبك ياسر، بدا عليه التوتر

- أنا هعرف منين يا دكتور

- يعنى أنت كنت قريب منه وأنت المدير المالي، يعنى لو في حاجة زي كده و في شخص واحد ممكن يكون عارفها فبالتأكيد هيبقى أنت

صمت ياسر قليلًا، بدا وكأنه يفكر بعمق

هنا تكلم مكرم

- خليني أختصر عليك الطريق

أبويا كان بيتاجر في الهيروين

زاد الموقف توتًرا، بدا ياسر و كأنه يعرف شيئًا

أخفض رأسه فجأة وقال

- أيوا

أنا طبعًا مكنتش أقدر أقولك حاجة زي دي بس واضح إن في حد سبقني وبلغك.

عينا مكرم مركزتين على ياسر، ينظر إليه نظرة غضب واضحة قبل أن ينطق.

- ودفعوا لك كام بقى يا ياسر

التفت ياسر إلى مكرم، حاول أن يدافع عن نفسه

- أنا.....

- أنت خاين يا ياسر، أنت اللي سربت العروض بتاعت المناقصة، ما هو مش معقول يبقى فرق السعر صغير أوي كده واللي كان يقدر يسرب البيانات دي ٤ أشخاص

أنا و أنت و رحمة و مراد

مراد أنا أشك في نفسى قبل ما أشك فيه

ما اتبقاش الا أنت ورحمة

و سعادتك بلعت الطعم بسهولة

أنا بقى هقولك اللي حصل بالتفصيل

أنت سربت بيانات المناقصة للشركة اللي أخدتها، طبعًا بتعليمات من اللي اشتروك، عشان بعد كده تيجى تحاول تضغط عليّ و تبلغنى إن أبويا كان تاجر هيروين وإن عملية واحدة من دول كفيلة إن هي تعوض ١٠٠ مناقصة و من ناحية تانية أبدأ أنا أحس إن بتوع البودرة أقوي منى وإني لازم أخضع لهم، كل العوامل دي مع بعض كفيلة بأنها تخليني أسلم

وأكيد ما كانتش هتبقى أول مناقصة تضيع منى، بعد كده تيجي أنت في صورة المضطر إنه يقولى عشان ينقذ المجموعة، وإنك أنت كنت عارف من الأول بس ما رضيتش تبلغني عشان ما تصدمنيش.

مش كده

لم ينطق ياسر بكلمة، ظل ينظر إلى مكرم في صدمة و اندهاش، فأردف مكرم:

- مع إنك لو جيت قلتلي إنك عايز فلوس عمرى ما كنت هتخلى عنك

صمت مكرم و لم يتكلم ياسر، الذي خفض رأسه، وتكلم بعد مرور حوالى دقيقة

- برافو...برافو يا دكتور مكرم، أنت قرأت المشهد كله من قبل ما يحصل، كل اللي أنت قلته صح بس الحاجة الوحيدة اللي مش صح فيه، إن أنا كنت هكذب عليك في موضوع أبوك لأن دي حقيقة، وأنت لازم تواجهها

- هششششش، ما تتكلمش خالص، أنا مش عايز أسمع منك أي كلام، أنا هكتفي بس إني أطلعك من المجموعة دي وراسك في الطين

اطلع برة وخد حسابك، و ما أشوفش وشك في حياتي تاني

* * *

دخل جلال على الرجل الجالس خلف المكتب

- مكرم كشف ياسر يا باشا

رد الرجل في هدوء

- كنت عارف إن اللعب معاه مش هيبقى سهل

- وبعدين هنعمل ايه

- كده بقى ندخل على المستوى الثاني

بداية الفصل الدراسي الثاني في الجامعة، وكعادة بداية أي فصل دراسي تجد المدرج ممتلئ بالطلبة، هناك منهم من جاء لأنه مل من أجازته، وهناك من جاء

ليرى أصدقائه و زملائه ليس إلا، أما هذا التعيس الذي يجلس غالبا في الصفوف الأولى ويحمل دفترا جديدا (عادة لا يملأ نصفه) فهو ذاته الذي جلس في نفس المكان في الفصل الدراسي الأول لكن ربما بلون مختلف لغلاف الدفتر، ومع بداية الدراسة بأسبوعين لا تجده أصلًا في أغلب المحاضرات، الغريب أنه في كل مرة يظن أنه قادر على فعل ما فشل فيه في الفصول الدراسية السابقة من حياته

كل جاء لغرض معين لكن في النهاية المدرج ممتلئ، ولا يوجد موضع لقدم.

يتجه مكرم باتجاه المدرج و قد استراح قليلًا بعد التخلص من ياسر، دخل إلى المدرج فهدأ الصوت

بدأ في إلقاء المحاضرة .

لاحظ الطلاب أنه يختلف عن تلك النسخة التي أنهت الفصل الدراسي الأول، فقد عاد لروحه المرحة من جديد، بدا متزنا أكثر، بدا مشرقّا أكثر

في منتصف المحاضرة دخل عليه عامل الكلية، وقد أحضر له كوبا من الشاي ثم همس في أذنه

- العميد طالب حضرتك بعد المحاضرة

أومأ مكرم برأسه إيجابًا

بعد انتهاء المحاضرة اتجه مكرم إلى مكتب العميد

- خير يا فندم بلغني إن حضرتك عايزني

- إتفضل أقعد يا دكتور مكرم

جلس مكرم أمام العميد

بدا العميد متوترًا، ومترددًا

لاحظ مكرم ذلك فبادر بالحديث

- خير يا دكتور في حاجة

قال العميد في تردد

- الحقيقة يا مكرم أنا مش عارف أجيبها لك إزاي

.....شوف هو في بنت مقدمة ضدك شكوى

اندهش مكرم من كلام العميد

- ضدي أنا!!، وإيه مضمونها

- بتقول إن أنت ....بتتحرش بالطلبة البنات

اندفع مكرم، وعلا صوته

- نعم!!!!

أنا يا دكتور بتحرش بطالبات

- إهدى بس يا دكتور مكرم

- أهدى إزاي يا فندم و الحيوانة دي بتحاول تطعني في شرفي

- هي مش بتقول كده بس

- أمال بتقول إيه كمان إن شاء الله

- بتقول إن أنت طلبت منها أعمال منافية للشرف مقابل تسهيل بعض الحاجات

نظر مكرم إلى العميد نظرة حادة، وكأنه لا يصدق ما يقوله ثم قال

- وحضرتك مصدق اللي هي قالته ده

- طبعًا لا يا مكرم

رد مكرم وقد هدأت نبرته قليلًا

- البنت دي مزقوقة عليّ يا فندم، وما عندهاش أي دليل على كلامها،

وشهادة بقية الطلبة هتثبت كلامي

- للأسف هي معاها ٤ بنات غيرها بيصدقوا على كلامها، وبيقولوا نفس الكلام

- كذب....كله كذب، كلهم مدفوع لهم فلوس عشان يقولوا الكلام ده، وأنا عارف مين اللي دفع لهم

- مين اللي ممكن يكون دفع لهم؟

ارتبك مكرم، لم يدرى ماذا يقول، لكنه حاول تدارك الموقف

- ناس خصوم ليا في السوق أكيد بيعملوا كده عشان يضربوا سمعتي

- أنا آسف يا مكرم بس أنا مضطر أحولك للتحقيق، وإيقافك عن العمل بشكل مؤقت لحين النظر في الموضوع

تغيرت ملامح وجه مكرم بعد سماع الجملة الأخيرة

- بس كدة يا فندم أنتم بتزودوا الطين بلة، وحتى لو ثبتت براءتي بعد كده، وإتنشر إعتذار رسمى محدش هيصدق إني برئ

وكل الناس هتقول إني دفعت للبنات عشان اسكتهم

رد العميد وقد علا صوته قليلًا

- دكتور مكرم أنا ماليش دعوة بالكلام ده كله، أنا مضطر أطبق القانون

- أي قانون ده اللي هيخلي سمعتي زي الزفت في الجامعة كلها

- يا أخي المتهم برئ حتى تثبت إدانته

- مش في مجتمعنا يا دكتور إحنا في مجتمعنا البريء متهم حتى تثبت براءته، وحتى لو ثبتت براءته، فهو مدان بالتزوير أو الغش أو الرشوة في سبيل البراءة دي

نهض مكرم من مكانه

- عموما يا دكتور اعمل اللي أنت عايزه، وأنا هعرف إزاي أجيب حقي

ملت ليلى من جلوسها في هذا المنزل، و هذا الشخص المدعو زكريا هي لا ترتاح له أصلًا، هما لا يعرفانه، هو مجرد رجل جاء ليسكن بجوار شقتهما

وفوق كل هذا يدعوهم لعيد ميلاده، عيد ميلاد لرجل قد تجاوز الثلاثين، الأمر لا يبدو طبيعيا

همست ليلى في إذن خالد

- مش ياللا بقى

- أنا بقول كده برضو

قاما من مكانهما وتوجها باتجاه زكريا

- كل سنة و أنت طيب يا أستاذ زكريا

- على فين يا دكتور

- إحنا هنروح شقتنا بقى عشان عندنا مستشفى الصبح

- تمام يا دكتور شرفتونى و نورتونى

دخل مراد إلى مكتب مكرم و جلس أمامه

- خير يا مكرم في إيه، وبعدين أنت مش المفروض عندك محاضرة النهارده

- ماهو ده اللي أنا عايزك فيه

- خير

- أنا موقوف عن العمل و متحول للتحقيق

- نعم!!!!

ليه يا مكرم

- في واحدة واطية قالت إن أنا تحرشت بيها، وقالت إن أنا بطلب من البنات حاجات مخلة بالشرف عشان أديهم الامتحانات و أنجحهم وكلام فارغ كده ملوش معنى

- طب و البنت دي بتعمل كده ليه

- أكيد مزقوقة عليّ

- ومين اللي ممكن يزقها

فكر مكرم لثواني قبل أن ينطق

- أي حد بيكرهنى أنا خصومي كتير زي ما أنت عارف

مش ده المهم دلوقتي

أنا عايزك تخلى أختك تجيبلى كل المعلومات الممكنة عن البنات دي، وخصوصا البنت اللي بدأت الموضوع ده

- بسيطة، بس أنت نأوي تعمل إيه

- هأقولك....

في حديقة منزله يجلس مكرم ياسين يطالع إحدى الصحف، هادئ كعادته،

يضع تركيزه التام فيما يقرأه، عيناه لا ترتفع عن الجريدة، وبجانبه كوبا من عصير المانجو شديد البرودة كما يحبه تمامًا

تمر نهلة من أمامه وقد تهيأت للخروج، ترتدى فستانا أسود، وكأنها ذاهبة إلى سهرة، في الحقيقة تبدو في أبهي صورها، تبدو كعروس في ليلة خطبتها

- مكرم أنا رايحة للدكتور

لم يبد مكرم اهتمامًا، وتظاهر بعدم سماعها

- حبيبى بقولك رايحة للدكتور

تظاهر مكرم أنه سمعها للمرة الأولى

- ماشي يا حبيبتي، بس ما تتأخريش، عشان في فيلم عايز نتفرج عليه أنا و أنتِ مع بعض

- فيلم!! فيلم إيه؟

- فيلم واحد صاحبي قالي عليه، بيقول إنه فيلم رومانسي حلو أوي

أطلق مكرم ابتسامة

- ونصحني إني ما أتفرجش عليه لوحدي، فعشان كده عايزك تتفرجي معايا

ابتسمت نهلة

- مش هتأخر عليك

غادرت نهلة بسيارتها دون سائق كالعادة، مكرم يعلم السبب، ولكنها لا تعلم أن مكرم يعلم السبب، هي الآن تفكر في من ينتظرها في مكتبه، كان من الأحرى بها أن تفكر في من ينتظرها في المنزل

قام مكرم من مكانه متجها إلى غرفة الجلوس ليقوم بتجهيز كل شيء للعرض

.

لم تتأخر نهلة يبدو أن مازن لم يكن لديه كثير من الوقت، أو أرادت هي ألا يلاحظ مكرم أنها استغرقت من الوقت كثيرًا عند الطبيب

عادت نهلة وهي لا تفكر في مكرم ولا ما أعده مكرم، عادت وهي لا تفكر إلا في مازن، كل دقيقة تمر مع مازن تساوي عام من ما تقضيه مع مكرم، ماذا لو كان مازن هو زوجها، ليتها رفضت مكرم من البداية، ليتها لم تنظر إلى ثروة والده، ولا إلى تفوقه الدراسى ومن بعده عمله في الجامعة، ليتها لم تنظر إلى الشبكة باهظة الثمن التي قدمها لها، ليتها نظرت إلى قلبها وفقط، إلى ما تريد و فقط، إلى عشقها و فقط.

كل هذا صار جزءا من جسد الماضي، لا تستطيع بتره، أو حتى أن تزرع غيره المهم الآن أنها فازت بالحسنين، زوجة الرجل المرموق الثرى، وعشيقة من تهوى كل شيء على ما يرام لا تدرى أنه من الممكن أن ينقلب السحر على الساحر

- حمد الله على السلامة يا حبيبتي

قالها مكرم مبتسما

- الله يسلمك

- ياللا بقى غيرى هدومك وحصليني عشان نتفرج على الفيلم

لم تبدو نهلة متحمسة

- هو لازم الفيلم ده النهارده

رد مكرم في ضيق

- يعنى أنا قاعد مستنيكّ كل ده ومجهز كل حاجة عشان ما نتفرجش

- بس مش لازم النهاردة، أنا تعبانة شوية

(طبعًا لازم تكوني تعبانة)

قالها مكرم في نفسه قبل أن يوجه حديثه لها

- هي كل الحكاية ساعتين، وبعدين يا ستي لو نمتى نبقى نكمل الباقي بكرة

لم تجد نهلة مفر أمام إصرار مكرم

- خلاص يا حبيبى اللي أنت عايزه

دخلت نهلة إلى غرفة النوم لتبدل ملابسها

ذهب مكرم إلى غرفة الجلوس ليضع اللمسات الأخيرة، ويقوم بتشغيل الفيلم

بعد قليل تبعته نهلة

جلست إلى جواره، وضع مكرم يده خلف ظهرها، وبدأ العرض.

الغرفة مظلمة تمامًا إلا من ضوء الشاشة الذي ينعكس على مكرم و نهلة ليرى بعضهما بعضا

كانت البداية تقليدية، مقدمة الفيلم الطبيعية، تحمل موسيقى هادئة، مع أسماء الممثلين

وجه مكرم كلامه إلى نهلة

- عارفة، صاحبي بيقولى إن الفيلم ده غريب أوي

- ليه

- بيقول إنه بيبقى رومانسي، بس في نقطة تحول في الفيلم بتخليه يقلب فيلم رعب تبدو نهلة غير مقتنعة، لكن مكرم يعي تمامًا ما يقول

قرب مكرم كوب العصير إلى نهلة

ثم قام هو بشرب بعض العصير من كوبه

(إيه الحلو في الفيلم ده عشان مصمم إننا نتفرج عليه)

قالتها نهلة في نفسها ثم بدأت تشرب من كوب العصير

بعد نصف ساعة كانت قد انتهت من أخر قطرة فيه
كان الفيلم يدخل مرحلة أخرى من الاثارة
- مش عارف ليه حاسس إن بطلة الفيلم ده مش مظبوطة
نظرت إليه نهلة و قالت
- ليه مع إن باين عليها إنها بتحبه و مخلصه له
- مش كل حد بيبان على حقيقته، في ناس كتير مستخبية ورا أقنعة مزيفة
قناع الاخلاص، قناع الحب، قناع الطهارة
صمت مكرم قليلًا ثم أردف
- عموما هنشوف
أمسك فجأة بجهاز التحكم عن بعد وضغط على أحد أزراره
تتسع عينا نهلة فجأة
تنظر إلى مكرم فإذا عيناه جامدتين ثابتتين باتجاه الشاشة
تنظر إلى الشاشة مرة اخرى
لا تكاد ان تصدق ما تراه
إنها....إنها....إنها هي بذاتها

تتجول نهلة بنظرها غير مدركة لما يحدث، عيناها لا تقعان على شيء إلا على الشاشة و مكرم، الشاشة تحوى مشاهد لا تعطى مجالًا للشك على خيانتها، ومكرم صامت وعيناه جامدتان لا يتحرك

أي موقف في الدنيا أصعب من هذا، ربما الموت حرقًا أهون من هذا، أو الوقوع من على أعلى قمة في سلاسل الهيماليا، أو الغرق في أقذر ترعة في إحدى القرى، كل هذا أهون

غابت عن المكان والزمان، توقف عقلها، لكن رأسها ما زال يتحرك، قلبها يكاد يتوقف، لكن رأسها ما زال يتحرك، فقدت الاحساس بأطرافها لكن رأسها ما زال يتحرك، حالة اللا وعى تزداد، يقتلها ما تعرضه الشاشة، ولكن مكرم هو القاتل الأعظم بصمته و جموده

نظر إليها مكرم فجأة ولا يبدو على وجهه أي علامات للضجر

- إيه يا حبيبتي مالك

بدأت أطراف نهلة بالارتعاش

ما الذي يفعله هذا المجنون، الموقف لا يحتمل أي نوع من أنواع المزاح، أو حتى التظاهر بالهدوء، إن ما يفعله جنونًا لكنه بالنسبة لنهلة كمن غرس سكينًا في قلب شخص، وصار يقطع أوردته و شرايينه، حتى اختراق ظهره، وصار مكان القلب فجوة اذا نظرت من الأمام رأيت ما يقبع في الخلف.

لا يتحرك لسانها، قطرات العرق تتساقط من وجهها، إنه لموقف عصيب يصعب على العقل البشرى إدراكه.

تحدث مكرم من جديد

- بصراحة أنا مش عارف الحالة اللي أنتِ فيها دي من الصدمة ولا من السم اللي في العصير

زادت رعشة نهلة أكثر، قطرات العرق صارت أسرع، القلب يدق بسرعة أكبر

لا لا إنه يمزح فقط، إنه يثير رعبي فقط

لا لا لا يا مكرم، أرجوك توقف عن هذا، ألا يكفى هدوئك القاتل، وصمتك الجارح، إنهما كفيلان أن يقتلاني، دون الحاجة إلى سم

لا تقدر على الكلام، لا تعرف حتى ما تقول

إنها ترتعش، العرق أصبح غزيرًا، كأن صنبورًا انفتح من جسدها.

عاد مكرم بهدوئه غير الطبيعي

- عموما الموضوع مش هيطول، كل الحكاية دقائق، وهتبقى لوحدك، وتسألي على اللي عملتيه، وساعتها مش هيبقى في فيديو زي ده عشان يثبت جريمتك، لأن ربنا سبحانه و تعالى مطلع على كل شيء.

صرخت نهلة صرخة عالية كادت أن تصيب مكرم بالصمم، سقطت من على الكنبة، بدأ صوت نحيبها و بكائها يخرج، تنطق ببعض الكلام الذي لا يفهمه مكرم من شدة بكائها

هنا علا صوته وزادت حدة أسلوبه

- ششششششش، مش عايز أسمع منك كلمة، لما تقفى بين إيدين ربنا ابقي بررى اللي أنتِ عايزاه

أمسك مكرم بشعرها، ورفع رأسها من على الأرض، وضع عينه في عينها، وهو ينظر اليها شزرًا

- مفيش أي سبب يخلينى أسامحك، إديتك كل الحب اللي في الدنيا، عملتلك كل اللي أنتِ عايزاه، عمرى ما حرمتك من حاجة، وثقت فيكِ أكتر من أي شخص على الأرض، بس طبعًا كنت مغفل، كنت كل ما بثق فيكِ أكتر تديني على قفايا أكتر، ودلوقتي ساعة الحساب يا نهلة، بس للأسف الحكم صدر عليكّ غيابى، و معرفتيش بيه الا ساعة التنفيذ، بس ده مش ظلم عارفة ليه، لأنك أصدرتِ عليّ كل الأحكام غيابي، حكمتي عليّ بإنى أتجوز واحدة ما بتحبنيش، حكمتي عليّ إن طفل مش ابنى يشيل اسمي، حكمتي عليّ إني أربى و أكبر في ابن مش ابنى، حكمتي عليّ إن واحد يضحك عليّ وهو نايم في حضن مراتي، بس أنا للأسف معرفتش كل

الأحكام دي الا بعد تنفيذها وبسنين

صرخت نهلة من جديد، وهنا تكلمت بطريقة واضحة

- مكرم أنت فاهم غلط، والله العظيم أنا حامل منك أنت

صرخ مكرم بأعلى صوته

- بطلى كذب بقى

أنا ما بخلفش أصلًا

أنا حالتي ميؤوس منها

ثم اقترب منها أكثر و صرخ في وجهها

- أنا شوفتك بعينيا و أنتِ طالعة مكتب مازن أبو العلا

نهلة تصرخ أكثر، السم يمزق أحشائها، ومكرم يمزق كل شيء فيها

ألقى مكرم رأسها على الأرض بقوة لتصطدم بها

ثم استقام تمامًا، و تحرك باتجاه باب الغرفة

- على فكرة يا نهلة، الترياق اللي ممكن ينجيكِ في جيبي

أخرج مكرم علبة من جيبه بها سائل يميل إلى الحمرة

- لو عايزاه تعالي خديه

استجمعت نهلة كل ما بها من قوى، وتحركت باتجاه باب الغرفة

فتح مكرم العلبة، وسكب ما بها من سائل على قدمه تلقائيا بدأت نهلة تلعق في قدم مكرم دون إرادة، الإنسان يفقد كل ما به من إرادة أمام الموت لكنها تعلم أن هذا لن يجدى نفعا فبضع قطرات يمكن أن تلعقها من الترياق لن تحول دون ولوجها التراب سريعًا

- مفيش نهاية أسوأ من دي لواحدة زيك، بس دي مش النهاية، لسه الكلب

اللي غوالكِ حسابه معايا

صمت مكرم قليلًا ثم أردف

- أخر حاجة أحب تسمعها في حياتك يا نهلة إن الاسعاف في الطريق، وإن تقرير الطب الشرعي المختوم بتاريخ بكرة و اللي بيقول إنك موتتي بأزمة قلبية في جيبي، يعنى مش هاخد فيكى يوم واحد

خرج مكرم من الغرفة، وأغلق الباب

نهلة تعانى من الألم في الداخل

مكرم يحاول تهدئة نفسه قبل وصول الإسعاف، وقبل الخروج إلى المستشفى حتى لا يثير الشكوك

كل شيء يسير وفق هوى مكرم، الآن انتهي كابوس سيطر على حياته لعدة أسابيع

ولكن ما زال هناك كوابيس تلوح في الأفق.

كل الجرائد تناولت الخبر الذي جاء على النحو التالي

(وفاة زوجة مكرم ياسين إثر أزمة قلبية حادة)

لكن الخبر كان قد انتشر منذ ساعات عبر المواقع، وهذا ما جعل صفحات الجرائد لا تخلو من التعازي

نعى يتلو نعى يتلو نعى في جريدة تتلو جريدة تتلو جريدة كل يحمل التعازي لأحد أكبر رجال الأعمال

اختلفت الديباجات و اختلفت أنماط الخطوط و اختلفت القلوب لكن الاسم كان واحدًا

(تنعى الشركة الفلانية الدكتور مكرم فريد ياسين في وفاة المغفور لها

زوجته)

(ينعى مكتب الدكتور علان الدكتور مكرم فريد ياسين في وفاة زوجته)

(تتقدم مجموعة شركات كذا للدكتور مكرم فريد ياسين بالتعازي في وفاة حرمه)

الرسائل لا تكف عن الورود إلى هاتف مكرم

برقيات التعازي تصل من كل حدب وصوب

في سرادق العزاء الكبير المقام بحديقة منزل مكرم الذي يجلس مكرم و حمدى شقيق زوجته ووالد زوجته و خالد زوج شقيقته في مقدمته

وفى نهايته يجلس ذلك الشيخ المعروف لقراءة ما تيسر من الذكر الحكيم

يجول في السرادق بعض الشباب يحملون أكواب القهوة السادة ليوزعوها على الجالسين الذين يرتدى أغلبهم بدلة سوداء وربطة عنق سوداء أيضًا

حتى جاء ذلك الرجل الذي لا يعرف مكرم اسمه بعد

سلم على مستقبلي العزاء

أولهم بالتأكيد هو مكرم قال له في صوت خافت

- البقاء لله يا دكتور مكرم

رد مكرم محاولًا تمالك نفسه

- الدوام لله

ربت الرجل على كتفه وسلم على من بجواره و أخذ مكانه في السرادق

إقترب خالد من مكرم أكثر ثم همس في أذنه

- مين ده يا مكرم

نظر إليه مكرم محاولًا التهرب

- قصدك على مين

- الراجل القصير ده

- أه ...ده واحد من صحاب بابا القدام

و بعدين إشمعنى ده يعنى يا خالد اللي سألت عليه

- أصله كان بيطبطب عليك بطريقة حسستنى إنه من العيلة عشان كده سألت

- لا هو مش من العيلة ويمكن أنت حسيت منه كده عشان هو بيعتبرنى زى إبنه

رجع خالد إلى مكانه.

لم يمض من الوقت الكثير حتى حدث ما كان يخشاه مكرم

(يا ابن الكلب....طبعًا سرك إتدفن معاها و وجودك النهارده احتفال إنك عملت اللي أنت عايزه و كل حاجة ماتت مع نهلة)

قال مكرم هذا الكلام في نفسه وهو يضع يده في يد مازن أبو العلا

الذي ضبط نفسه لأقصى درجة حتى لا ينقض عليه وينزع رأسه بعيدا عن جسده

دخل مازن إلى السرادق و اتخذ مكانه بين الحضور

بداخله شعوران متضاربان أولهما حزن حقيقي على وفاة معشوقته، وثانيهما نشوة الانتصار على ذلك الوغد مكرم الذي ظفر بحبيبته، ولكنه الآن يستقبل المعزين فيها ببالغ الأسى وهو لا يدرى أن طفلها المدفون معها هو ابنه هو، لكن بالتأكيد الشعور الثاني يتفوق على الأول، هو كان يحب نهلة فعلا، لكن موتها الآن هو النهاية الأنسب، قبل أن يعلم مكرم بعلاقتهما، أو تعلم زوجته هو، وعندها

سيكون هناك سيل من المشاكل لن يستطيع الوقوف أمامه.

بعد قليل بدأ الحضور بالانصراف، واحدًا تلو الآخر، يسلمون على مكرم، يلقون كلمات المواساة، وينصرفوا

خرج جلال من السرادق، سلم على الجميع مرة أخرى، لكن هذه المرة في سلامه على مكرم، اقترب من أذنه وتكلم بصوت خفيض

- يعنى مراتك تموت، وتتحول للتحقيق في أسبوع واحد

رد مكرم بصوت لم يسمعه إلا جلال

- المصائب لا تأتى فرادى، عقبال ما تيجى على دماغك ان شاء الله

- هنشوف

قالها جلال ثم انصرف

لم يمضى وقت طويل حتى انصرف الجميع لم يتبق سوى مكرم، و خالد، وشقيق نهلة ووالدها، ومراد بالطبع

ما إن انتهوا حتى دخلوا جميعا إلى منزل مكرم، الذي كان يخلو الا من ليلى و عمتها و والدة نهلة

اقترب مكرم من والد نهلة و قال له

- عمى أنت هتبات معايا النهارده أنت و حمدي

- لا يا مكرم يا ابنى احنا لازم نروح

- أنا مش بعرض عليك، أنا خلاص رتبت لحضرتك و طنط أوضة، ولحمدي أوضة، وبعدين أنتم هتباتوا هنا مسافة الليل ويا سيدى الصبح بدرى إبقى روح

لم يجد والد نهلة ما يقوله أمام هذا الإصرار من مكرم

فأضطر للموافقة

- أنا هخليهم يحضروا العشا

- لا يا ابنى ومن له نفس للأكل

- يا عمى أنتم ما أكلتوش حاجة تقريبا من إمبارح، ولا أنا كمان، وما أعتقدش نهلة لو كانت موجودة كانت ترضى بكده.

- أنا يا ابنى راضي بقضاء ربنا، ونهلة بنتي ولله الحمد كانت مصلية و كانت طيبة و كل الناس بتحبها و ربنا يجعل كل ده في ميزان حسناتها.

بالطبع لم يروق هذا الكلام لمكرم

الذي قال في نفسه

(أنت طيب أوي يا حاج، أنت لو تعرف اللي بنتك عملته هتحصلها)

لكنه رد بدعوة خرجت من لسانه فقط

- الله يرحمها

قالها و اتجه معه إلى السفرة حيث كان ينتظره جميع الموجودين في المنزل

بعد أن انتهى من العشاء توجه كل منهم إلى غرفته

دموع والدة نهلة لم تتوقف.

حمدي شقيق نهلة ما زال في أثر الصدمة

مراد يحزن لحزن مكرم

ليلى عيناها تحمل اللون الأحمر من كثرة البكاء

ومكرم.....

الهروب من الواقع، الإبحار خارج حدود مدينتك، السير خارج كل خطوط السير، تترك كل الأمور برمتها، تزيح من رأسك كل الأشياء التافهة، العمل، العائلة، الأسرة، الأصدقاء، لا تتذكر من حياتك المعتادة سوى الصلاة هذا إن كنت

تصلى أصلًا

هكذا فعل مكرم، بعد ان انتهت أيام العزاء الثلاثة، غادر الفيلا فجرا في هدوء، إنطلق إلى الفيوم، ثلاثة أيام قادمة، ليس فيها شيء إلا مكرم و نفسه فقط

جميع هواتفه مغلقة، جميع وسائل التواصل الاجتماعي غير متاحة، لا يوجد طريق يؤدى إليه، هكذا أراد، انتهت إحدى المشاكل نعم، لكن ما زال هناك الكثير، لا بد أن أعود إلى الجامعة مرفوع الرأس، لا بد أن أتخلص من ذلك الكابوس القصير الذي يظهر لى في كل مكان، وعلى هامش المواضيع ما المانع من التفكير في الزواج مرة أخرى، أو ربما إحداهن لا تستحق أن تحمل اسم مكرم ياسين.

❋ ❋ ❋

قال الرجل الجالس خلف المكتب

- يبدو إننا هنضطر ننتقل للمستوى الثالث يا جلال.

- اللي تشوفه يا معالي الباشا، أنا من إيدك دي لإيدك دي

صمت الرجل قليلًا ثم أردف

- لسه قدامنا وقت على ما الشحنة توصل

- يعنى سعادتك شايف إننا نستني شوية

- استني، ولو ركب دماغه تاني، ابقي ادخل في المستوى اللي بعده

❋ ❋ ❋

ثلاثة أيام كان مراد فيها يتحمل مسئولية المجموعة

بعض الأمور البسيطة، كلفه به مكرم، وأخبره أنه سيسافر ثلاثة أيام لإنهاء بعض الأمور، لكنه لم يخبره ماهية الأمور، ولم يخبره كذلك عن وجهته

لكن الأيام الثلاثة قد انتهت وها هو مكرم قد عاد، ليملأ مكانه من جديد، لكنه لم يصل إلى الشركة بعد، اتصل بمراد منذ قليل، وأخبره أنه على وشك الوصول

بالفعل لم يمر من الوقت الكثير حتى حضر مكرم، ودخل إلى مكتبه، وبدأ مراد بالكلام

- حمد الله على السلامة من المكان اللي أنا ماأعرفش

قالها مراد مازحًا، لكن مكرم نظر له نظرة تحمل شيء من العتاب لتكراره هذا الأمر، لكن رده جاء في هدوء.

- الله يسلمك، إيه الأخبار

- كل حاجة زي الفل زي ما أنت طلبت بالظبط

- ده العشم برضو يا مراد

- وجهزت لك ملف كامل عن البنات اللي اتهموك في موضوع الجامعة

- حلو أوي سيب لي بقى الملف ده أنا هأطلع عليه

أعطاه مراد الملف

- قولي بقى هتعمل ايه

- ما تقلقش، بعد ما أبص على الملف هقولك

* * *

يصمت ولا يتكلم، تحدثه فلا يرد عليها، هذا على غير عادته، اضطرت في

الصراخ في وجهه حتى يستفيق.

- في إيه يا ليلى

- إيه يا خالد بقى لى ساعة بكلمك، وأنت مش معايا نهائي

- معلش يا حبيبتي، مضغوط شوية الأيام دي

- ليه يا خالد في إيه

- يعنى شوية مشاكل في الشغل كده.

- طالما على قد كده يا حبيبى يبقى الحمد لله

التفت اليها، وبدأ يحدثها بانتباه

- كنتِ بتكلميني في إيه بقى يا ستي.

- كنت بكلم عن مكرم، وحياته بعد موت مراته

- بصراحة يا ليلى مكرم أخوكِ ما يتخافش عليه، ده كان متماسك جدًا يوم العزا، كأن اللي ماتت دي حد ما يعرفوش

- حرام عليك يا خالد ده مكرم كان بيحبها أوي، بس هو مكرم أخويا كده طول عمره لو على كتفه هموم جبل، بيبان طبيعي

- في كل الحالات مفيش حاجة تدعو للقلق

- يعنى يا خالد ده قلق طبيعي، ده أخويا، وده تغيير كبير في حياته، الله يرحمك يا نهلة

أنا حاسة إن مكرم هيرفض الجواز بعد نهلة، لأنه لو لف العالم مش هيلاقى ضفرها

- عندك حق، الله يرحمها

- أنا بفكر يا خالد إننا نر.....

صوت الجرس الذي جاء دون انقطاع، مع الدقات العالية على الباب، قطعت كلام ليلى

قام خالد مسرعا، مهرولا باتجاه الباب، وهو يتمم ببعض العبارات من نوعية (سترك يا رب) (خير اللهم اجعله خير)

وما إن فتح الباب، حتى صرخ البواب في وجهه

- الحق يا دكتور خالد، الأستاذ زكريا واقع على الأرض، وما بينطقش.

تدخين لفافة التبغ و إلقائها في المرحاض، هذه العادة التي تفعلها يوميا من ثلاث إلى أربع مرات، إذا كانت داخل المنزل، لكن العدد قد يصل إلى عشرة في الأيام التي تكون خارج المنزل فيها، لم تستمتع كثيرًا بهذه اللفافة، لأن أمها قد نادتها كي تخرج مسرعة، هناك من ينتظرها على هاتف المنزل، رغم اندهاشها من أن أحدا يطلبها على الهاتف الأرضي وليس على هاتفها المحمول، إلا أنها أنهت اللفافة لكى ترى من ينتظرها على الهاتف.

خرجت الفتاة التي يميل وجهها إلى السمرة قليلًا، عيناها التي تحملان لونا عسليًا فاتحًا، جسدًا ممتلئًا بعض الشيء، كل هذا يتزين بشعر أسود و ناعم، ومع كل هذه المواصفات التي تجعل منها فاتنة بكل معانى الكلمة، إلا أن ملامحها قد بدا عليها الشقاء، فالعمل في عيادة أحد الأطباء والسهر إلى الساعات الأولى من الصبح حتى دخول آخر مريض لهو أمر مرهق حقًا، ولكن ما جعل والدتها تقبل، أنهم في حاجة إلى المال من أجل المعيشة، ومن أجل العلاج الذي يسرق كل ما تكسب كل شهر، وأهم شيء طبعًا أن الأمر حلال وليس فيه حتى شبهة الحرام.

هذه الفتاة التي تقدم لها كثير من الشباب لخطبتها، لكن جميعهم لا يصلح أن يكون زوجا، فهذا مدمن، والآخر سيئ السمعة، ولكن ليس هذا هو السبب

الوحيد، فاللسان دائمًا يقول لا اذا كان القلب مشغولًا .

أمسكت بالسماعة

- ألو

- الآنسة حسناء

- أيوا مين معايا

- تستنيني بكرة الساعة ١١ الصبح في الكافية اللي ورا بوابة كلية طب

- أنت مين

- لو ما جيتيش مش هيحصلك كويس

- مش جاية

أغلق الهاتف في وجهها دون أن يعلق بكلمة واحدة

كان الغضب قد تملكها، فأغلقت الهاتف بقوة

ثم ذهبت لتجلس على إحدى أريكات منزلهم التي تكاد أن تسقط من شدة قدمها، وعلى الأريكة الآخرى تجلس والدتها المسنة، التي بلغت من العمر أرذله، وبالتأكيد كحال معظم المسنين لا يخلو جسدها، من مرض السكر، أو الضغط، أو الفشل الكلوي، لكن ما أصابها كان السرطان الذي فاجأها منذ عامين

لاحظت والدتها ما حدث فوجهت حديثها إليها قائلة

- إيه يا حسناء مين اللي كان بيكلمك و ضايقك كده

- مفيش يا ماما ده واحد بيعاكس

- أنا سامعاكِ بتقولي له مش جاية

- أيوا يا ماما ما هو حيوان، عايزني أقابله

- ربنا ينتقم منه، هيبقى هو و الزمن عليكِ

- ما تشغليش بالك أنتِ يا ماما، من ده كتير
- طيب يا حبيبتي، ماتنسسيش و أنتِ جاية بكرة تجيبي لي الدواء.

فتح عينيه ليجد نفسه ملقى على سرير في غرفة لا يعرفها، نظر حوله و سرعان ما أدرك أنه بين جدران أحد المستشفيات، لا يدرى كيف دخل إلى هنا، ولا حتى ما الداعي إلى وجوده في هذا المكان، لا يوجد أحد حوله، الغرفة التي يقبع بها خالية تمامًا إلا من سرير، وبجواره يوجد منضدة صغيرة يوضع عليها الماء، أمسك بالكوب و شرب بعض الماء، ثم ضغط على زر كان بجوار السرير

فإذا بإحدى الممرضات تدخل عليه.

- حمد الله على السلامة يا أستاذ.
- الله يسلمك، هو إيه اللي حصل
- حضرتك كان مغمى عليك، بسبب إن ضغطك انخفض فجأة، وجيرانك اللي جابوك هنا
- جيراني مين
- دكتور خالد، ودكتورة ليلى
- وأنتِ تعرفيهم
- أيوا، هما فضلوا معانا لحد ما حالة حضرتك استقرت
- وهما راحوا فين دلوقتي
- هما روحوا، وقالوا إن هما هييجوا بالليل، يطمنوا عليك، ويمكن تروح

معاهم.

ازداد وجهه نضارة، انفتحت شهيته باعتراف جميع من حوله، بدأ يهتم أكثر بهيئته، ومظهره الخارجي، يختار عطوره الفرنسية بدقة، أصبح العميل الأهم لدى أهم محلات البدل، أحذيته صارت تتنوع أكثر بكثير من ذي قبل، حتى نظارته الطبية أصبحت نظارات، وساعته السويسرية أصبحت ساعات.

ربما من يعرفه اليوم يظن أن هذا هو حاله منذ زمن، ولكن المقربين منه بدأوا يلاحظون هذا التغير في شخصيته و حياته بعد وفاة زوجته بشهر، لا أحد يمكنه إنكار أن مكرم كان يهتم بمظهره و صحته قبل هذا، ولكن ليس إلى هذا الحد، ليس إلى الحد الذي يجعله يستقدم المصفف إلى منزله ثلاث مرات أسبوعيا، ويقضى ساعتين من ليلته يوميا في صالة الجيم، والبدلة التي يرتديها اليوم ربما لا تلامس جسده ثانية إلا بعد شهر من كثرة ما استقدم من ملابس في الفترة الأخيرة .

ثلاث شهور مرت الآن على وفاة زوجته، قضى الشهر الأول منعزلا، لا يخالط الناس إلا في أضيق الحدود، بدأ التغير الشخصي يطرأ عليه تدريجًيا.

بعض من حوله كادوا أن يجزموا بأنه يعيش قصة حب جديدة هي التي غيرت حياته، والبعض استبعد هذا الاحتمال لأنه يعلم مدى حبه لزوجته و مقدار حزنه عليها بعد وفاتها، لا يمكن لأي شخص يحمل قلبا تجرى فيه دماء و يحمل هذا الحب الشديد الذي كان يحمله مكرم لنهلة و يستطيع أن يتدارك موتها سريعًا، ويدخل في علاقة أخرى، وكان هناك قلة قليلة تعتقد أن مكرم يفعل كل هذا لاصطياد إحداهن، حتى أن بعض الفتيات العاملات معه، أصبحن يخططن للظفر به، إنه حلم لأي فتاة أن تعيش في مثل قصره، وتركب مثل سيارته، وتكون في مكانته و شهرته، إنه حلم لأي فتاة أن تكون زوجة مكرم فريد ياسين.

أما السر الحقيقي وراء هذا التغير، كانت تلك الحقيقة التي أدركها بعد وصول قطار العمر إلى المحطة التاسعة و العشرون، وبعد ضياع زهرة الشباب كما يقولون و سنوات العنفوان بين ذراعي امرأة لم تكن تستحق أن تكون أبدا شريكة حياته.

لكنه كعادته لا يحب الهزيمة، لا يريد ان يكون مقهورا، لن تعكر نهلة صفو حياته في حياتها، وبعد أن واراها التراب أيضًا.

قرر أن يطلق لنفسه العنان، ما زلت في التاسعة والعشرين، معظم الشباب في مجتمعنا لا يفكرون في الخطبة إلا بعد تجاوز الثلاثين، سأفعل كل شيء يشعرني بمتعة الحياة.

ما فائدة هذا الرصيد البنكي إن لم يكن مسخرا للمتعة ثم المتعة وللمزيد منها.

سأشترى أفخم السيارات، سأبنى قصرا جديدا كقصور الخلفاء العباسيين، سأعتنى بكل شيء يمكن أن يجعلني سعيدًا، ربما أتزوج امرأة أخرى، وربما أكثر من امرأة، كثير منهن تتمنى أن تكون الزوجة الثالثة أو الرابعة لي، وأكثر من ذلك ليس لديها ما يمنع أن تكون بجانبي حتى ولو لن تكون الأخيرة، لن أجعل نهلة تهزمني، لن أجعل تلك الطالبة المدعية تهزمني، لن أجعل ذلك البدين القصير يهزمني، أنا لا أحب الهزيمة.

طرق مراد على باب المكتب ثلاث طرقات ثم دخل

- في مصيبة يا مكرم

- في إيه!!!!

كل شيء في هذا المكان صمم لكى يكون مكانا رومانسيا، في هذا المكان

حيث تجلس على العشب الأخضر، ترى بركة المياه تتلألأ، صوت الموسيقى الهادئة يمر في أذنيك، حتى تباعد الطاولات عن بعضها يتيح لك الفرصة للكلام كيفما تحب، زهور على الطاولة، العناية بالنظافة إلى أقصى درجة، كل هذا يجعل منه المكان الأنسب لتفوح مشاعرك إلى من تحب.

كانت تجلس في انتظاره

هو لم يأتِ بعد

لن أنتظر أكثر من هذا

هذا الأحمق المغرور

أنا حتى لا أعرف شكله

- إيه رأيك في المكان ده.

قالها وهو يسحب كرسيا للجلوس، ثم أردف

- طبعًا عمرك ما دخلتيه قبل كده، ولا عمرك هتدخليه

قالت في نفاذ صبر

- أنت مين و عايز ايه

أجاب في لهجة هادئة

- أنا مين مش هتفرق معاكِ كتير، إنما عايز ايه ده المهم

- أنا معنديش وقت أضيعه معاك

- ليه رايحة فين.

- ما يخصكش

- أنا قصدي يعنى لو رايحة البار أوصلك

هنا أدركت حسناء أنها لا بد أن تتمهل، لا ينبغي أن تغضب، عليها أن تكون

أكثر هدوءً في التعامل مع هذا الشخص

- إيه اتصدمتي

- من فضلك تقول عايز ايه

- من فضلك.....ماشي، أنا هجيب لك من الآخر، دفعوا لك كام عشان تتهمي الدكتور مكرم بالباطل

- هما مين الل....

- هششششششش، مش عايز لف و دوران، هاتي معايا من الآخر عشان نخلص، دفعوا لك كام

- أنا محدش دفع لى حاجة

- طب وقفى الموبايل اللي بيسجل في شنطتك الأول، وبعدين كملي كلامك

هنا احمر وجهها، وبدأ العرق يتساقط منها، لقد كشف أمر المسجل، فلا بد أن تستجيب وتوقفه الآن.

أخرجت هاتفها من حقيبتها، وأغلقت المسجل .

أمسك به هو كي يتأكد

- برافو عليكِ، كده بقى نعرف نتكلم، تخدي كام و تقولي الحقيقة

- أنت فاكرني إيه....شروة

- لا سمح الله، يعنى ناس دفعت لك فلوس، واتهمتِ الراجل زور، وتبقى شروة، ده اسمه كلام ...أنتِ أرخص من شروة

- أنا ما ينفعش أقول عكس اللي قلته في المرة الأولى، أنا ممكن أتفصل

- دكتور مكرم هيسامحك، وهيديكِ قد اللي أخدتيه مرتين، وبكده ما ميبقاش عليكِ أي مسئولية

صمتا قليلًا قبل أن يردف هو

- بصي..... دكتور مكرم كان ممكن بسهولة يثبت إنك شغالة في بار، وبسهولة أكتر كان هيجيب ناس تشهد إنك مش بس بتقفى على البار، إنما إنك كمان معندكش مانع تنزلي الصالة، والكلام ده طبعًا موثق بصور

أخرج من جيبه ظرفا أبيض وألقاه في اتجاهها

أخرجت الصور من الظرف، بدأ العرق يتزايد أكثر

- شوفي بقى لو الصور دي خرجت في التحقيق، أو لو راحت للست والدتك، أو للعاشق الولهان، هتبقي إيه النتيجة

لم تنطق بكلمة واحدة وظلت صامتة، فأردف

- شوفي دكتور مكرم مش بس هيديكِ فلوس، لا كمان هيجيب لك وظيفة محترمة بدل البار و الوساخة دي، علاج والدتك وكل اللي تحتاجه هيتكفل بيه كل شهر، وكمان هيتنازل عن حقه في التحقيق بعد ما اتبليت عليه.

ظلت صامتة بعض الوقت، لكنها نطقت أخيرًا

- يعنى أنت عايز تقنعني إن هو يعمل معايا كل ده، بعد اللي أنا عملته فيه

- لو كان عايز يأذيك، كان ممكن يأذيك، هو عارف كويس إن حربه مش ضدك أنتِ

- طب و إيه اللي يخليه يعمل كده

- في الأول و الآخر هو مفيش بينك و بينه حاجة شخصية، ومش هيستفيد أي حاجة لما يعمل معاكِ كده، بس هو فكر بالعقل، وشاف إنه ممكن يأخذ اللي هو عايزه من الموضوع، و في نفس الوقت يعدلك دفة حياتك، بدل ما أنتِ بتبيعي نفسك للي يدفع.

- طب و....

- ما تقلقيش، هما مش هيعملوا حاجة، هما خلاص وصلوا الرسالة اللي هما عايزينها، محدش فيهم هيتعرض لك

مش طالب منك رد دلوقتي، خدى وقتك في التفكير براحتك بس خلى بالك إحنا قضيتنا كسبانة بمزاجك أو غصب عنك، أنتِ اللي محتاجة لنا مش إحنا اللي محتاجين لك.

وصلا معًا إلى باب المصنع، كان مكرم في حالة من الهدوء لم يفهمها مراد، كان يتوقع منه أن يتطاير شرار الغضب من عينيه، هكذا يفعل أي شخص يضرب عمال مصنعه عن العمل .

نزلا من السيارة و دخلا من الباب الخلفي، كان مدير المصنع بانتظارهما، بمجرد دخولهما و بعد السلام، دخلوا جميعًا إلى مكتب المدير.

المدير في حالة من الحرج

مراد في شيء من الغضب

و مكرم في غاية الهدوء

بدأ مكرم بالكلام

- إيه اللي حصل

رد المدير

- الحقيقة يا فندم، أنا مش عارف أبدأ منين، أنا شخصيا مش عارف اللي وصل الحالة للدرجة دي، كل شيء كان ماشي كويس، العمال كانوا بيشتغلوا زي ما الكتاب بيقول، بس من أسبوعين كده بدأت أحس بحالة غريبة ماشية في المصنع، الإنتاج قل، والناس كانت بتشتغل كده من غير نفس

- وما بلغتنيش بالكلام ده ليه

- مكنتش متصور يا فندم إن الأمور هتوصل لكده، الدروب مكانش كبير بالقدر اللي يستدعي تدخل حضرتك

- وبعدين

- جيت النهارده لقيت العمال عاملين إضراب، ومش عايزين يشتغلوا

- والسبب

- عايزين زيادة في المرتب

- هما مش ليهم زيادة سنوية بياخدوها

- بيقولوا إنها مش كفاية

بدأ مكرم يعلو صوته هنا

- دول بياخدوا مرتبات محدش بياخدها

لم يرد المدير بأي كلمة، هنا تدخل مراد، وجه كلامه إلى مكرم

- والحل إيه دلوقتي

صمت مكرم قليلًا، ثم أردف

- أنا هنزلهم بنفسي

نزل مكرم إلى الساحة المتواجدة أمام المصنع

فور وصوله بدأ العمال بالهتاف، كان من الواضح وجود قيادة لهذه المظاهرات

فهذا الرجل ذو الشارب الكث، صاحب الوجه الأسمر، والعينين السوداويتين، والذي بدأ بالهتاف ثم بدأ العمال يرددون خلفه

أشار لهم مكرم بيده ليصمتوا، لم يستجيبوا على الفور لكنهم في الأخير

استجابوا، لم يتكلم مكرم إلا بكلمات واضحة و محددة.

- اختاروا تلاتة منكم، يعرضوا مطالبكم، وهنشوف مع بعض ممكن نحل الموضوع ده إزاي

بعد تلك الكلمات تركهم مكرم متجها إلى مكتب المدير القابع في الطابق الأخير من المصنع، وترك العمال خلفه لمهمة اختيار الثلاثي الذي سيمثلهم أمامه، لم يكن اختيار أولهم بالصعب فهو الرجل ذو الشارب الكث، صاحب الوجه الأسمر، والعينين السوداوتين.

لكن كان الخلاف في الثنائي الآخر، هذا ما جعلهم يتأخرون قليلًا، لكنهم بعد نقاش، قرروا التصويت على الاثنين الآخرين، وتم اختيارهم بناءً على رأى الأغلبية،

هكذا تكون الأمور في طبيعتها، لو ترك الأمر بدون اختيار ستعم الفوضى، لكن الاختيار المرتكز على قاعدة الأغلبية هو الحل الأمثل لكل الأمور.

صعد الثلاثة إلى مكتب المدير، وجلسوا أمام مكرم، وفى حضور مراد، ومدير المصنع، بدأ مكرم بالكلام

- طلباتكم

هنا تكلم الرجل ذو الشارب الكث

- إحنا يا دكتور مكرم شغالين في المصنع هنا من أيام الوالد الله يرحمه، ومن أول ما المصنع ده فتح، وإحنا اللي بنيناه على أكتافنا

- والمطلوب

- بصراحة إحنا مش شايفين إن في تقدير لينا، وللي إحنا عملناه للمصنع ده

- وبناءً عليه

- إحنا عايزين زيادة في المرتب

صمت مكرم قليلًا ثم أردف

- يعنى أنت بتطالب بزيادة للناس القديمة ولا لكل الناس

- أنا بطالب بزيادة لكل الناس، بس الناس القديمة بزيادة شوية

ابتسم مكرم

- طب أنتم مش ليكم زيادة سنوية بتأخدوها في معادها

- أيوا، بس العبارة إن المرتب ما بيكفيش حتى مع الزيادة دي

- أفهم من كده إنك عايزني أعمل زيادة استثنائية، مش كده

- أيوا يا باشا

- طب ولو رفضت

صمت الرجل قليلًا، ونظر إلى زملائه فتكلم أحدهم

- يبقى الأرزاق على الله

نظر مكرم إلى الرجل ذو الشارب الكث وابتسم مرة أخرى ثم أردف

- شوفوا، أنتم الزيادة السنوية بتاعتكم بتبقى في شهر ٦، وخدتوا زيادتكم في ٦ اللي فات، وإحنا دلوقتي في شهر ٩، يعنى بيتهيألى لو أنا عملت زيادة استثنائية بأني أديكم الزيادة بتاعت السنة اللي جاية دلوقتي، وترجعوا تزيدوا تاني في شهر ٦، يبقى أنا كده عملت اللي عليّ

نظر العمال إلى بعضهم في محاولة للتفاهم بلغة العيون، ثم نطق الرجل ذو الشارب الكث

- تبقى كفيت و وفيت يا باشا

ابتسم مكرم مرة أخرى

- وبالنسبة للقدام فأي واحد شغال في المصنع بقى له أكتر من ٥ سنين

هياخد ٢٠٠ جنيه زيادة على مرتبه

هز العمال رأسهم إيجابا، فأردف مكرم

- بس بشرط.....تنزلوا تبلغوا زمايلكم بالقرارات دي، وتبدأوا الشغل فورًا، واللي حصل ده مايتكررش تاني، وأي طلبات ليكم بعد كده هتخلوا ....

وأشار إلى الرجل ذو الشارب الكث

- اسم الكريم إيه

- ماهر

- ماهر هيبقى المسئول إنه يبلغ طلباتكم للسيد المدير، والسيد المدير هيبلغها لي.....اتفقنا

- اتفضلوا على شغلكم

خرج الثلاثة من المكتب، فوجه مكرم كلامه إلى المدير

- نفذ اللي أنا قلت عليه ده لو سمحت، وأي حاجة تحصل بلغني بيها

- بس يا فندم ال...

- من غير بس، أي حاجة هتحصل أنا المسئول عنها، وعايزك تجيبلي الملف بتاع ماهر ده، وكمان ملفات كل الناس اللي إتعينت هنا في المصنع خلال السنة اللي فاتت

قام مكرم من مكانه بعد جملته الأخيرة، وقام مراد أيضًا

- أنا مضطر أمشى دلوقتي عشان مش فاضي

خرج مكرم و مراد معًا من المصنع، ركب مراد إلى جانب مكرم في السيارة .

لا حظ مكرم أن عيون مراد تحمل كلاما

- إيه عايز تقول إيه

- أنت عملت كده ليه

- قولى وجهة نظرك و أنا أشرح لك

- بالطريقة دي كل ما العمال يحبوا يعملوا حاجة هيعملوا إضراب ويوقفوا لنا الشغل، وهنفقد السيطرة على المصنع.

رد مكرم بهدوء

- تفكير سليم

اندهش مراد من رد مكرم

- أنت هتجنى، ولما هو سليم عملت كده ليه

- ماهر ده مزقوق عليّ، في حد دافع له فلوس عشان يعمل كده، ولو كنت رفضت طلباتهم، كانوا هيستمروا في إضرابهم، وكانوا هيزودوا الضغط عليّ، وكنت هضطر في الآخر إني أوافق، لأن اليوم الواحد عطلة بيخسرني كتير جدًا، فما كانش قدامى غير إني أوافق بأقصى سرعة، عشان ما أخسرش كتير، وفى نفس الوقت العمال يحسوا إني معاهم وفى صفهم

- طب ولو عملوها تاني

- لو حصلت تاني مش هتبقى في وقت قريب، حجم الزيادة اللي خدوها هيخليهم يشتغلوا، ومش هيفكروا يعملوا إضراب إلا بعد فترة طويلة، والأسباب اللي أدت للإضراب ده مش هتكون موجودة

- قصدك ماهر

- أكيد، أنا خليته المسئول إنه يبلغ المدير، عشان مع الوقت هشتريه، وبعد ما أشتريه هفضحه قدام زمايله إنه بيتباع، وساعتها هأقدر أمشيه من غير قلق، وكمان أثبت إن الاضراب ده كان لعبة هو قابض تمنها، إنما لو كنت عملت كده

النهارده كانوا هيخلوه بطل قومى

- طب أنا كده فهمت أنت طلبت ملفه ليه، طب ليه طبت ملفات اللي إتعينوا في المصنع في السنة الأخيرة

ابتسم مكرم ابتسامة خفيفة

- لأن أكيد اختيار ماهر ده ماكانش عشوائي

- يعنى إيه

- يعنى في حد بيشتغل في المصنع هو اللي رشح ماهر للي دفعوا له، وهما طلبوا منه إنه يختار لهم حد تكون شخصيته قوية، ويقدر يقنع العمال باللي هما عايزينه، وفى نفس الوقت يوافق يتعامل معاهم، عشان كده في حد من طرف الناس دي إتعين في المصنع، وأكيد تعيينه كان قريب، فعشان كده طلبت الملفات دي

هز مراد رأسه إيجابا، ونظر إلى مكرم نظرة كانت تحمل احترامًا و تقديرًا بل ربما إعجاب....هي بالفعل إعجاب

كانت تلك رنة هاتفه التي اعتادها، لكنه لم يعتادها في هذا الوقت المبكر من الصباح، غالبا ما تكون تلك المكالمات الصباحية المبكرة أو الليلية المتأخرة لا تدعو للتفاؤل، فهي في أغلب الأحيان اما مشكلة يجب عليك حلها في التو، أو مصيبة يجب إخبارك بها في التو أيضًا

نهض مكرم من فراشه، وأمسك بالهاتف، إنه رقم عميد الكلية، ابتسم مكرم لأنه يعلم ما سيدور في هذه المكالمة.

- ألو

- صباح الخير يا دكتور مكرم

- صباح النور يا فندم

- في الحقيقة أنا بتصل بيك في الوقت ده عشان أبشرك

- خير يا دكتور

- البنت اللي كانت متهماك، جت لمكتبي النهارده الصبح، وقالت إنها كذبت في اتهامها ليك، وإنها عملت كده لأنها بتحقد عليك مش أكتر، وإنها بتعتذر لك عن اللي عملته، بس طبعًا القانون قانون و أنا خدت قرار فورا بفصلها من الكلية.

- طب ولو أنا قبلت اعتذارها

- نعم!!!!!!!!!

- بقول لحضرتك لو أنا قبلت اعتذارها

- يبقى كل حاجة انتهت

- يعنى ما تتفصلش

- أيوا

- خلاص أنا قبلت اعتذارها

ارتبك العميد قليلًا، وتوقف الكلام لديه

فأكمل مكرم

- بس الحقيقة أنا عايز اعتذار من الجامعة

- إيه!!!!!

- اعتذار رسمي من الجامعة، ورد شرف ليا، وفى كل الجرايد اللي اتنشر فيها الخبر قبل كده وبنفس الحجم

- أيوا يا دكتور بس أنت عارف إن ده صعب

- يا دكتور أنا شخصية عامة، و خبر وقفى عن العمل إتنشر في الجرايد،

أظن إنه من حقى إن الجامعة تعتذر لي عن اللي حصل.

- مش ممكن الموضوع ينزل في صيغة اعتذار يا مكرم، بس أنا ممكن أحاول أخليهم ينزلوه كتهنئة

- البركة في حضرتك يا دكتور، أنا اللي يهمني إن خبر البراءة ينزل من الجامعة نفسها، زي خبر الوقف عن العمل

- حاضر يا دكتور مكرم، هشوف هقدر أعمل إيه و أبلغك.

❋ ❋ ❋

- عرفت اللي حصل يا باشا

قالها جلال للرجل الجالس خلف المكتب

- إيه اللي حصل يا جلال

- مكرم رجع الكلية تاني، و الخبر منتشر في كل حتة

رد الرجل في هدوء

- وأنت متضايق ليه

اندهش جلال من ردة فعله

- يعنى إيه يا باشا

- يعنى أنا كنت متوقع إن ده يحصل، وكان توقعي في محله، إحنا قدام شخص مش سهل يا جلال، بالعكس إحنا قدام واحد زكى جدًا، وبيعرف يلاعبنا حلو أوي

- عندك حق، ده حتى المفك بتاع المصنع، خلص منه بسهولة ابن اللذينة.

- وبالطريقة دي مكرم يبقى تقريبا انتصر علينا في كل حاجة، لأننا كل ما بنحفر له حفرة بيردمها

- طب والعمل يا باشا

- العمل إننا نحفر له حفرة غويطة، وما بتتردمش

- إزاي

- أنا هقولك إزاي

* * *

رن هاتف المكتب

- أيوا يا مراد

- مكرم في واحدة عايزة تقابلك

- واحدة مين

- بتقول إنك عارفها معرفة شخصية، وإن هي مش هتقول هي مين غير قدامك

- طب خليها تدخل يا مراد

فتح مراد الباب لتدخل فتاة، وجهها يميل إلى السمرة قليلًا، عيناها التي تحملان لونًا عسليًا فاتحًا، جسدًا ممتلئًا بعض الشيء، كل هذا يتزين بشعر أسود و ناعم.

لم يراها مكرم من قبل إلا من خلال المحاضرات التي لم ينتبه لشكلها فيها، جلسات التحقيق التي لم تبدأ، والمواجهة التي رفضها هو في مكتب العميد، كل هذه أسباب تجعله لا يعرف شكلها، لكنه بالطبع راها في الصور التي التقطت لها في

البار، لكنه في الأخير اصطنع أنه لا يعرفها

- إتفضلي اقعدي

جلست الفتاة أمامه

- خير

- حضرتك مش عارفني

- مش أخد بالى

- أنا حسناء

- حسناء مين؟

تلجلجت الفتاة في الكلام قليلًا

- حسناء ال ال اللي...اتهمت حضرتك بالتحرش في الكلية

نظر لها مكرم نظرة لا تحمل أي نوع من المشاعر، لكنه فقط ثبت نظره عليها، لم ينطق بكلمة واحدة، فأردفت هي

- أنا كنت جاية لحضرتك عشان أشكرك على اللي عملته معايا، و أنا و الله العظيم ما عملت كده إلا عشان الحوجة، أمى عيانة و بتحتاج دوا بقد كده كل شهر، والمبلغ اللي اتعرض عليّ مفيش واحدة في ظروفي ترفضه، أنا عايزة حضرتك تسامحني.

لم يعلق مكرم أيضًا، فقط ظل مثبتا نظره نحوها بنظرة لا تحمل أي لون من ألوان المشاعر، فاضطرت هي لإكمال الحديث

- حضرتك سامعني؟!

هز مكرم رأسه إيجابا، فأردفت وقد بدأت الدموع تنساب من عينيها

- والله العظيم يا دكتور أنا تبت خلاص، و سيبت البار، والوظيفة اللي

حضرتك جبتهالى بشتغل فيها، وبثبت فيها نفسى على قد ما بقدر، وأنا جاية النهارده مش طالبة من حضرتك غير إنك تسامحني، وبجد أنا مش عارفة أشكرك إزاي على اللي عملته معايا، أنا أسفة بجد

انهارت حسناء في البكاء، فأخرج مكرم منديلًا ورقيًا من العلبة التي أمامه، وأعطاه لها

- شكرًا يا دكتور

مسحت حسناء دموعها، وهنا نطق مكرم للمرة الأولى

- خلصتِ كلامك

ردت الفتاة وهي ما زالت تبكي

- أيوا

- اطلعي برة

اتسعت عيناها، احمر وجهها، بدأت قطرات العرق تخالط الدموع

قامت من مكانها، ازداد بكائها، انطلقت ناحية الباب بسرعة

تمنت لو انشقت الأرض وابتلعتها، أي موقف فعله فيها هذا الرجل، لو قتلها بسكين صدأة ملقاة في مكان خرب منذ ألاف السنين لكان أهون من هذا الموقف.

لكنها تفهم ما يشعر به، تعرف شعور الظلم، تدرى لماذا فعل هذا، لكنها لم تكن لتأتى هنا إلا لأنه أعطاها مبلغًا كبيرًا مع هذا الرجل الذي أرسله لها، وفر لها عملًا حلالًا في شركة إحدى أصدقائه، بالإضافة إلى العلاج الذي أرسله لوالدتها والذي وعد أن يرسله كل شهر

لكنه في النهاية بشر، لديه طاقة في التسامح، هناك مشاعر لا يستطيع تجاوزها، وأسوار عفو لا يقدر على تسلقها

لم ينتهِ ذلك الفيلم الأمريكي بعد، نعم من الممكن أن تمل من أحد الأفلام الهوليدية، هذا عادي، لا يمكن إنكار أنهم أصحاب السينما الأولى في العالم، لكن هذا لا يمنع من أن لديهم بعض الأفلام الهابطة أيضًا.

الساعة اقتربت من الثالثة فجرًا، هذا الفيلم لا يريد أن ينتهي بعد، لكنه اقترب من النهاية، مكرم يتثاءب كل ثلاث دقائق تقريبًا، حل الإنهاك بجسده.

فليحترق هذا الفيلم و لتحترق هوليود بأكملها

قرر مكرم أن ينهي هذا الهراء ويتجه إلى سريره

وضع جسده على السرير

لامست ذرات الراحة أطراف أصابعه

إنها أفضل خمس دقائق في اليوم بالتأكيد

رن هاتفه

من هذا الأحمق الذي يتصل في هذا التوقيت

تبًا لجميع المكالمات المتأخرة و الباكرة.

إنه رقم غريب

ربما يكون أحدهم في ورطة حقيقية.

- ألو

- دكتور مكرم ياسين معايا

- أيوا

- أنا بكلم حضرتك من مستشفى التاج، دكتورة ليلى و دكتور خالد لقوهم مرميين على الطريق في حالة حرجة جدًا، وهما دلوقتي في العناية المركزة

نهض مكرم من مكانه مسرعا، وصرخ في وجه محدثه

- أنا جاي حالا

أغلق مكرم الهاتف، وارتدي ملابسه بسرعة، واتجه إلى المستشفى

وصل مكرم إلى المستشفى

سأل موظفة الاستقبال فأخبرته برقم الغرفة التي يقبعان فيها

توجه مكرم إلى الغرفة فوجد الطبيب أمامها

- طمني يا دكتور

- إحنا عملنا اللي علينا يا دكتور مكرم، بس للأسف

صرخ مكرم في وجهه

- للأسف إيه

- دكتور خالد....تعيش أنت

اتسعت عينا مكرم، ونطق بصعوبة

- طب وليلى

ابتلع الطبيب ريقه

- مسألة وقت

وضع مكرم يده على كتف الطبيب

أمسك الطبيب بيده، وأجلسه على الكرسي الموجود أمام الغرفة

جلس مكرم، وقد انهمر في البكاء

وضع كلتا يديه على رأسه

صمت الطبيب تمامًا احترامًا لحالته

ظلا هكذا لثلاث دقائق تقريبا، تكلم مكرم بعدها.

- ممكن أشوفها

- طبعًا، منع الزيارة مش هيفيدنا بأي حاجة

قام مكرم و اتجه إلى الغرفة

ما إن دخل مكرم إلى الغرفة و رأى ما عليه ليلى حتى تدفقت دموعه أكثر، وجثى على ركبتيه بجانبها

يسمع مكرم صوت جهاز القلب، وهذا يعنى أنها لم تفارق الحياة بعد

أمسك مكرم بيدها وقبلها

بدأ يتكلم وهو يعلم أنها لن ترد عليه أو ربما حتى لن تسمعه

- ليلى....أنا مكرم يا ليلى

ازداد بكائه مرة أخرى، خرجت كلماته بصعوبة أكبر

- والله العظيم لأجيب لك حقك.....والله العظيم لأجيب لك حقك...بس.. بس أنتِ مش هتسيبيني لوحدي صح....ليلى أنا ماليش حد غيرك

عاد مرة أخرى للبكاء، يمسك بيدها و يقبلها من جديد.

فجأة.....

يسمع صوتا يخرج منها

إنها تحاول أن تتكلم

صوتها يخرج بصعوبة، لكن ما تقوله غير مفهوم

أمسك مكرم بيدها

- ليلى...ليلي ليلى، أنا مكرم يا ليلى، أنا مكرم

- مكرم

الآن بدأ صوتها يتضح

- أيوا مكرم أخوكِ

خرج صوتها مجددًا

- أحمد يا مكرم

- أحمد في عينيا يا ليلى، أحمد في عينيا، وأنا وأنتِ هنربيه مع بعض، وهيكبر قدام عينينا، وهيبقى ج....

خرج ذلك الصوت الذي يدل على توقف دقات القلب

نظر مكرم إلى شاشة الجهاز فإذا به الخط مستقيمًا

تثبتت عيناه ناحية الجهاز، وانفتح فمه قليلًا

ضغط على يد شقيقته أكثر.

خرج صوت نحيبه، أخذ يردد دون توقف مع البكاء

- ليلى...أنا مكرم يا ليلى....أنا مكرم يا ليلى.

قد يقف عقلك أحيانًا امام المواقف التي تتكرر بشكل مستمر، أمام نفس الأحداث التي تعاد بكل تفاصيلها، نفس الوجوه، نفس الكلام، كل شيء طبق الأصل.

يقف مكرم على باب صوان عزاء شقيقته ليلى و زوجها خالد، خالد الذي كان بجانبه منذ شهور قليلة في عزاء والده، الآن يقف مكرم ليتلقى عزاءه، هذه هي سنة الحياة، وتلك هي حكمة الله، جثامين تشيع جثمانا، ثم تأتى جثامين أخرى لتشيع جثمان الذي قد شيع عدة جثامين من قبل، الدائرة لن تغلق، إلا عندما تفنى الأرض وما عليها

تتكرر الكلمات، تتكرر برقيات العزاء في الجرائد، المرة الثالثة في ظرف شهور قليلة والده ثم نهلة ومن ثم ليلى و خالد.

أصبح مكرم وحيدا حرفيا، لم يعد له أي أصول، ولم يكن له أصلًا فروع،

الزهرة التي تبقى وحيدة في الأرض تموت، مهما كانت العناية بها

بعد خروج الناس جلس مكرم على باب الصوان، لم يكن بجواره سوى مراد الذي حاول تدارك الموقف الذي لا يمكن تداركه بأي أنواع مواساة

- البقاء لله يا مكرم

لم يرد مكرم، تجمدت عيناه، وانطلق فكره في عوالم أخرى

وضع مراد يده على رأس مكرم

ظل مكرم صامتا، ولكنه تكلم في الأخير، تكلم بصوت خرج مخنوقًا، كمن ينادى في مكان مغلق، لا يسمعه من في الخارج

- أنت عارف يا مراد الصوان ده اتنصب كام مرة في السنة الأخيرة دي

- عارف طبعًا.... تلت مرات

- بالظبط...تلت مرات...التلت مرات دول، حولونى من إنسان عنده عيلة، لإنسان مقطوع من شجرة، أبويا، و بعدين مراتي، وأخيرًا أختي و جوز أختي

- أنت تحملت كتير أوي يا مكرم

- ولسه....لسه يا مراد اللعبة ما انتهتش، بس الموازين اتقلبت

اندهش مراد من الكلام الذي يقوله مكرم

- لعبة إيه، وموازين إيه

- هقولك على كل حاجة بس في الوقت المناسب

يجلس الضابط الذي يتولى قضية ليلى في مكتبه، وفى المكتب المجاور له يجلس زميله الذي يعاونه في القضية الذي بدأ بالكلام

- الخيوط متشابكة في القضية دي يا باشا، لحد دلوقتي مقدرناش نوصل

لأي حاجة، يعنى إيه اثنين كانوا ماشيين بعربيتهم يطلع عليهم ناس و يقتلوهم بطريقة ما نعرفهاش غير بعد التشريح، بعد كده نكتشف إن في حد هو اللي مسلمهم، طب هو مين الراجل ده، ومين الناس دول، وعملوا كده مع خالد وليلى ليه

- ع العموم أنا بعتت لدكتور مكرم، أخو المجنى عليها يمكن يقدر يفيدنا

- على ما ييجى بقى يا باشا، نكون شربنا لنا كوبيتين قهوة، لأحسن دماغي هتنفجر من الصبح بسبب القضية دي

حضر مكرم إلى قسم الشرطة، جلس أمام الضابط الذي بدأ بسؤاله

- أولا يا دكتور، البقاء لله

- الدوام لله

- طبعًا يا دكتور أنا أسف إني بعتت لحضرتك في الظروف دي، بس مكنتش أقدر أتأخر، حضرتك عارف إن دي إجراءات و لازم تكمل

- أنا متفهم ده

- جميل، دكتور مكرم أحمد ابن أخت حضرتك واللي كان معاهم في العربية وقت الحادثة، قال إن والده ووالدته كانوا رايحين عزومة عشا عند واحد على حد قوله اسمه زكريا، حضرتك تعرف حد بالاسم ده؟

- لا

- اممم، وبعد ما فتشنا في موبايل دكتور خالد لقينا فيه فعلا رقم باسم زكريا، مكلمه ٣ مرات قبل الحادثة مباشرة، وهو أخر رقم كلمه، لكن طبعًا إحنا لقينا الخط ده مش مسجل، وبتتبعه لقيناه مقفول

لم ينطق مكرم فاستطرد الضابط

- ولما سألنا أحمد عن زكريا ده، قال إنه راجل كان ساكن في الشقة اللي قدامهم، وإن هو كان عازم دكتور خالد و دكتورة ليلى على العشا، بمناسبة إنه إتنقل للشقة الجديدة، و اللي فهمناه من كلام أحمد إن الراجل ده كان مرة عيان أو وقع على الأرض على حد تعبير الطفل طبعًا، وإن دكتور خالد و دكتورة ليلى هما اللي أنقذوه

نطق مكرم بصوت أصابته البحة

- بس الموبايل المقفول، وعدم ظهوره من بعد الحادثة، بيدل إن دي جريمة كاملة وإن زكريا ده أحد أضلاعها، ده لو كان اسمه زكريا أصلًا

- هو فعلا ما اسموش زكريا

- وحضرتك عرفت إزاي

- لما روحنا لصاحب الشقة اللي كانت قصاد شقة دكتور خالد و دكتورة ليلى، وسألناه عن الراجل ده، إدانا صورة بطاقته

- وطبعًا طلعت مزورة

- طبعًا، .....دكتور مكرم هو حضرتك بتتهم حد بقتل ليلى و خالد

- أه .....زكريا

صدم الضابط من ردة فعل مكرم، فرد

- أفندم

- واضحة يا حضرة الضابط، زكريا ده سلم رقبة أختي و جوزها لحد، بس هو مين....معرفش

- طب هما كان ليهم أي أعداء

- أبدا، ليلى وخالد طول عمرهم في حالهم، دكاترة محترمين، بالعكس ده كان

في ناس كتير بيحبوهم لأنهم كانوا بيعملوا خير كتير

- تقرير الطب الشرعي يا دكتور مكرم بيقول إنهم لما اتهجم على عربيتهم تم حقنهم بمادة الأتروبين، والمادة دي على حسب التقرير الجرعة الزيادة منها هي اللي أدت للوفاة بعد ما حصل لهم اختناق، وده اللي خلاني أشك ان اللي عمل كده دكتور

- أنا بأكد لحضرتك إنه مش دكتور، ليلى و خالد طول عمرهم محبوبين من زمايلهم

- يعنى حضرتك ما بتتهمش حد؟

- لا يا فندم

- هل لديك أقوال أخرى يا دكتور مكرم

- لا يا فندم

كانت تلك الكلمة التي قال بعدها الضابط (و أغلق المحضر في ساعته و تاريخه) ثم وقع مكرم على أقواله التي بدا مقتنعا تمامًا بها

خرج مكرم من قسم الشرطة دون أن تكون له أي نية للبحث عن هذا المدعو زكريا الذي لم يكن لديه أدنى شك أنه رسول تلك المجموعة التي تزحف خلفه و تضيق عليه حياته من أجل تنفيذ رغباتهم، التي يبدو أنه لم يعد منها مفر.

يشعر مراد بصداع في رأسه، يتحمل مسئولية كل شيء حتى يعود مكرم، ولكن يعود من أين، لا يعلم مراد أين يكون مكرم الآن، لكنه مضطر لتحمل مسئولية المجموعة

هذه المرة طال غيابه أكثر من المرة السابقة، فبعد وفاة نهلة اختفى مكرم تمامًا لمدة ثلاثة أيام لكن هذه المرة قد تجاوز الأسبوع.

يرن هاتف مراد فجأة

- إيه يا مكرم أنت فين يا أخي

- معلش يا مراد، طولت عليك المرة دي شوية، المهم اسمعني كويس أنا دلوقتي رايح الجامعة و هرجع على المجموعة، مش عايزك تتحرك إلا لما أجيلك، عشان في مواضيع كتير عايز أكلمك فيها

- ماشي يا مكرم، مش هتحرك إلا لما تيجي، سلام

أنهي مكرم كلامه مع مراد، وأكمل طريقه إلى الجامعة

دخل مكرم إلى مكتب العميد، استقبله العميد بحفاوة، جلس مكرم أمام العميد وبدأ بالكلام

- الحقيقة يا فندم، أنا قلت أجي لحضرتك قبل ما العام الدراسي يبدأ عشان أبلغ حضرتك بقراري

اندهش العميد من كلامه

- قرار إيه يا دكتور مكرم

- أنا هقدم استقالتي من الكلية يا دكتور، وده قرار نهائي.

- لو ده قرارك النهائي يا مكرم، أنا مش هضغط عليك، طالما أنت درست القرار كويس، ربنا يوفقك

- شكرًا يا دكتور، أنا كتبت الاستقالة، مش باقي غير توقيع حضرتك.

أخرج مكرم الاستقالة من جيبه ووضعها أمام العميد

- إتفضل يا فندم

قال العميد وهو يوقع على الاستقالة

- والله يا دكتور مكرم يعز عليّ إني أوقع على الورقة دي، بس للأسف واضح

انك مستحيل تتراجع

ابتسم مكرم بجانب فمه ابتسامة تدل على السخرية، فهذا الرجل الذي يزين له المديح اليوم، هو ذاته الذي حوله للتحقيق من عدة أشهر وهو يثق تمامًا أنه مظلوم، إنها دنيا المصالح ولا شيء سواها

- متشكر يا دكتور، و إن شاء الله الزميل اللي يمسك المواد بتاعتي يبقى أحسن منى

نهض مكرم من مكانه

- أنا مضطر أستأذن عشان عندي شغل كتير في المجموعة

- مع السلامة يا مكرم

خرج مكرم من مكتب العميد و ركب سيارته متجها إلى المجموعة

في منتصف الطريق وجد هاتفه يرن:

إنه.....إنه...جلال

- كنت عارف إنك هتتصل

ضحك الرجل بصوت مرتفع

- طول عمرى مراهن على ذكائك يا دكتور مكرم

- المرة دي أنا لا هتعصب ولا هتنرفز، أنتم خسرتوني كل حاجة، وأنا بقى قررت قرار أنت نفسك فيه من زمان

- لا....ما تقولش

- لا هقول، اللي ما يقدرش يقف قدام الريح يوطى لها، أنا قررت أشتغل معاكم

الفرع عديم الأصول يكون فرعا مائلا، معوجا، يحتاج إلى تقويم، إذا خرج

من دون أن يكون متمسكا بأصل، فحتما سينكسر.

عندما تفقد جدك، و من بعدها والديك، لا يصبح لك في الدنيا إلا عمك و خالك، وإذا رأيت مشهد وفاة والديك أمامك، و كان كل هذا وعمرك لم يتجاوز العاشرة بعد، فلن تستطيع أن تكمل حياتك بصورة طبيعية، ذاك الطفل الذي يمرح و يلهو و يتلاعب بفقاقيع الهواء لن يكون أنت، ولن تكون ذاك الذي يشاهد أفلام الرسوم المتحركة و ينتظرها و يعرف مواعيدها بدقة، و لن تكون هذا الذي يشترى لعبة الرجل العنكبوتي أو الرجل الوطواط وهو يرى أنه سيكون مثل هذا البطل الخارق في المستقبل

أنت غالبا ستكون ذاك الطفل المنعزل، الحزين، المتواري عن أعين الناس معظم الوقت

إن لم تكن هكذا دائمًا فعلى الأقل ستكون على تلك الصورة لبعض الوقت

أحمد يذهب إلى المدرسة كأي طفل، يكتب واجبه المدرسي كأي طفل، ينام مبكرًا و يشرب اللبن (رغما عنه) كأي طفل، لكنه لا يضحك ولا يلعب ولا يحلم بمستقبله الباهر كأي طفل

منذ وفاة والديه وهو يقبع في منزل عمه أحمد سلطان (الذي كان سبب تسميته بهذا الاسم)، اختفى خاله مكرم فجأة دون سابق إنذار، ولم يظهر حتى الآن

عمه أحمد يعامله على أفضل وجه، لا يؤخر عنه طلبا، يوفر له كل سبل الرعاية اللازمة، لا يضايقه، ولا ينهره، ولا يسبب أي نوعا من أنواع الضغط عليه، بل على العكس تمامًا، يعامله بكل لطف و حنية، ويفضله حتى على أولاده.

لا يشعر أحمد بالغربة في هذا المنزل، لكنه في ذات الوقت، يحب خاله مكرم أكثر، يشتاق اليه كثيرًا، يعلم أنه ربما يلقى معاملة أقل في منزل مكرم، لكنه يفضل

المكوث بجواره، هو دائمًا يشعر أنه أقرب إلى عائلة ياسين منها إلى عائلة سلطان، ذاك الشعور الخفي الذي يحرك الطفل إلى احدى عائلتي والديه أكثر من الأخرى دون مقدمات أو أسباب

ظل كثيرًا ينتظر تلك اللحظة التي يأتي فيها خاله مكرم ليصطحبه فيها إلى منزله، ويبدو أنه قد حان وقتها

لم يكن مكرم ياسين شخصيًا الذي حضر إلى منزل عمه، لكنه قد كلف مراد بمهمة اصطحاب أحمد إلى القصر

عندما حضر مراد إلى منزل أحمد سلطان و جلس معه، وجه إليه الشكر بالنيابة عن مكرم، وطلب منه أن يصطحب الطفل معه، لكنه تفاجأ بالرد

- أحمد مش هيسيب بيت عمه يا مراد

- يا أحمد بيه أنا ماليش علاقة بالموضوع أنا مكرم طلب منى إني أجي أخد الولد، وأنا بنفذ كلامه وبس

- وهو ماجاش ليه بنفسه

- هو مشغول جدًا فوق ما تتصور الفترة دي، وعشان كده وكلني إني اخد الولد

قال أحمد سلطان و قد على صوته

- مشغول.....مشغول عن ابن أخته، كان مختفى فين الفترة اللي فاتت، طبعًا ولا كان فارق معاه، ودلوقتي لما افتكر انه له ابن اخت جاي يأخذه، لا يا مراد ده بعده

- أنا قلتلك دي حاجة بينك وبينه، أنا دلوقتي جاي أخد الولد و بس

- ولو قلتلك مفيش ولد

- يعنى إيه

- يعنى ده أحمد خالد سلطان، وده بيت عمه اللي هو متسمى على اسمه، لما يبقى اسمه أحمد ليلى ياسين يبقى ييجى يأخذه.

رد مراد بنبرة هادئة

- ماشي يا أحمد بيه، ما على الرسول إلا البلاغ، أنا هبلغ مكرم بالكلام ده

- شرفت يا مراد.

التنازل الاول يجر خلفه تنازلات كثيرة، كالقطرة الأولى من السيل يتبعها ملايين القطرات، كم من شخص تراكمت عليه واجباته لمجرد انه فرط في ميعاد الواجب الأول، كم من قائد خسر حربا بسبب تنازله الأول، حتى في أمور الزواج إذا تنازل أحد الطرفين عن حق من حقوقه يوما يضغط الطرف الآخر عليه فتزيد التنازلات مع مرور الزمن، ويبقى السؤال ما الذي يجبر شخصا ما للتنازل عن مبدأ أو فكرة أو عقيدة، أهي ضغوط الحياة التقليدية اليومية، لو كان هذا هو السبب لما ثبت إنسان في تاريخ البشر، أم هي ضغوط غير تقليدية، تلقى على كاهل هذا المتنازل في ظروف غير عادية، فتضطره إلى التنازل، لأن الثبات وقتها يعنى الانتحار.

تغير نمط حياة مكرم بعد القرارات الأخيرة، لم يكن في مخيلته يوما أن يتخذ مثل تلك القرارات، حبه الشديد لدراسته و تفوقه فيها جعل من التدريس في الجامعة متعة لها مذاق خاص، لم يكن ليتخلى عنها لولا أحلك الظروف.

الانخراط في إحدى التجارات المشبوهة كان أبعد ما يكون عن مخيلته، حتى لو كان سيجعله أغنى شخص على وجه الأرض.

هل تلك نظرية جديدة في علم النفس سيعود ليلقيها على مسامع تلاميذه يوما ما.

سيخبرهم أن الضغوط الغير طبيعية على أي إنسان مهما كانت صلابته ستجعله ينهار، سيحكى لهم أن المواد الصلبة تحت ضغوط غير عادية يمكن أن تغير سلوكها، المواد التي لا تحمل قلبا تجرى فيه دماء و تغذيها المشاعر، فما بال الإنسان.

العالم الملائكي لا وجود له، عندما تخسر كل شيء يمكن البكاء عليه، يمكن أن ترتكب أي فعل دون النظر إلى أصله في شرع أو عرف، يمكن أن تتحول من ذاك الطيب الخلوق، إلى ذاك الشيطان العابث.

يدخل مراد على مكرم و تبدو على وجهه علامات الضجر

- خير يا مراد

- أحمد رفض يديني الولد يا مكرم

رد مكرم في هدوء غير متوقع

- رفض إزاي يعنى

- قالي إنه اسمه أحمد خالد سلطان يعنى لازم يعيش في بيت عمه لما يبقى إسمه أحمد ليلى ياسين يبقى ييجى مكرم يأخذه

هز مكرم رأسه دون أن يبدو عليه شيء، ثم أردف

- سيبك منه دلوقتي هفوق له بعدين، المهم يا مراد أنا عايزك في موضوع مهم

- خير يا مكرم

- الكلام اللي أنا هقوله لك دلوقتي أنت تالت واحد تعرفه، وثاني واحد حي عارفه دلوقتي، الكلام ده هو أكبر سر في حياتي، و بمجرد معرفتك بيه أبقى أمنتك على حياتي

- أقولك على حاجة يا مكرم وما تستغربش

- قول

- أنا كنت عارف إن اللحظة دي هتيجى، وكنت مستنيها، حاسس بيك بقالي كتير بس مكنتش حابب أضغط عليك عشان تتكلم، لأنى كنت واثق إنك كنت مسيرك هتقول

- طول عمرك فاهمني يا مراد

- و دلوقتي بقى احكي لي كل حاجة بالتفصيل

بدأ مكرم بسرد القصة من أولها، بداية من اللقاء الأول بينه و بين جلال، مرورا بكل الحوادث التي تبعته، وصولا إلى قراره بالعمل معهم

وعندما أخبره مكرم بقراره انتفض مراد من مكانه

- أنت هتعمل كده فعلا يا مكرم

- معنديش حل تاني يا مراد

- في حلول كتير، ممكن مثلا نبلغ البوليس

- نبلغ البوليس بإيه، أقولهم في واحد اسمه جلال بيقولي إن أبويا كان تاجر هيروين وعايزنى أشتغل معاه مكان أبويا، عندكم فكرة عن الموضوع ولا لا

بدا مراد مقتنعا بكلام مكرم مع تحفظه عليه بكل تأكيد

- طب و أنت هتعمل إيه دلوقتي

- أنا طلبت إني أقابل الكبير بتاعهم عشان نتفق على تفاصيل العملية اللي هما بيقولوا إن أبويا كان متفق معاهم عليها

- وبعدين

- ولا قبلين، أقعد بقى واهدى عشان أقولك هنعمل ايه.

منذ ذاك الإضراب الأخير لم يحضر مكرم إلى هذا المصنع إلا اليوم، زيارته كانت مفاجئة، لم يعلم حتى مدير المصنع نفسه بقدومه، دخل مكرم إلى المصنع تفقد العمل وحال العمال، تحدث معهم حول العمل وسير الإنتاج، وكان الكلام كله إيجابيًا، ولا يخلو طبعًا من بعض المجاملات

بعد أن أنهي مكرم جولته داخل المصنع صعد إلى مكتب مدير المصنع، جلس معه لتفقد الحسابات في الفترة الأخيرة، و مراجعة بعض الأمور.

بعد إن انتهوا إرتكن مكرم إلى كرسيه و وجه كلامه إلى المدير.

- قولي.....هو في حد من العمال عندنا مشى بعد موضوع الإضراب ده

اندهش المدير من السؤال

- في واحد بس يا فندم

- واسمه إيه الواحد ده؟

هذا السؤال كان مدهشا أكثر

- اسمه عبد العال يا فندم

- عبد العال الحسيني مسعد...مش كده

هنا تذكر المدير أنه أعطى ملفات العمال الذين تعينوا في السنة الأخيرة و الذي كان عبد العال من بينهم، لكن ما أدهشه أن مكرم يتذكر الاسم الثلاثي لأحدهم بتلك الطريقة

- بالظبط يا فندم هو ده.

تلك الحرب الباردة التي بدأت و لم تنتهي حتى الآن، قالها مكرم في نفسه، كان عبد العال هو رجلهم إذا، بعد أن صار ورقة ليس لها قيمة قاموا بسحبه، هذا يعنى أنهم لا يريدون فعل أي شيء جديد في هذا المصنع، ربما في أحد المصانع

الأخرى، أو ربما في مقر الشركة الرئيسي، و ربما سحبوا جميع رجالهم الذين زرعوهم في المجموعة بعد قرار مكرم بالعمل معهم

- أنا عايزك تبعت لماهر، ولما ييجى لو سمحت سيبنا لوحدنا شوية

- حاضر يا فندم

قام المدير وطلب من أحد العمال في الخارج أن يطلب من ماهر القدوم إلى مكتب المدير

عندما حضر ماهر، خرج المدير و تركه مع مكرم بمفرده

جلس ماهر أمام مكرم و هو لا يدرى لماذا يريده، مكرم يقلب في بعض الأوراق ولا ينظر اليه، تكلم مكرم فجأة وهو ينظر إلى الأوراق

- إزيك يا ماهر

- الحمد لله يا دكتور

- أتمنى تكون مبسوط بعد الزيادات اللي زودتها لكم

- أه طبعًا يا دكتور

- أنت ممكن تسيبنا يا ماهر

- ما يتهيألليش يا باشا، أنا مرتاح هنا أوي

- بس أنا يتهيألى

تغيرت ملامح وجه ماهر

- نعم يا باشا!!

رد مكرم في هدوء بالغ

- بقولك بس أنا يتهيألى

- ليه يا باشا لا سمح الله

- لا أنا مش عايزك تفهم غلط، أنا كل الحكاية هبعتك في المصنع اللي بيشتغل فيه عبد العال

ازداد توتر ماهر أكثر

- عبد العال مين يا باشا لا مؤاخذة؟

ينظر مكرم في الأوراق كما هو

- عبد العال

يرفع مكرم عينيه إلى ماهر

- عبد العال اللي وداك للناس اللي دفعوا لك عشان تقنع العمال يعملوا إضراب و يوقفوا إنتاج المصنع.

- ناس مين يا باشا، أنا مش فاهم حاجة

- مفيش داعى للف و الدوران يا ماهر، عبد العال بعت رسالة على النت كاتب لى فيها كل حاجة، فمفيش داعى نلف على بعض

صمت ماهر ولم يتكلم، فأردف مكرم

- على فكرة أنا مش بلومك، أكيد المبلغ اللي عرضوه عليك كبير، و أنا مش من بقية أهلك يعنى عشان تعملي خاطر...إدوك كام؟

نظر ماهر إلى مكرم في دهشة، فأردف مكرم

- قول ما تتكسفش، إدوك كام

رد ماهر في خجل

- ٣٠ ألف جنيه

رد مكرم بنبرة ساخرة بعض الشيء

- لا بصراحة ليك حق تبيعني، ده تقريبًا مرتب ٢٠ شهر شغل، و في الآخر إيه

اللي ممكن يوقفك يعنى، ضمير، أخلاق، أصول، كل ده كلام فارغ يا راجل بالمقارنة ب ٣٠ ألف جنيه

صمت مكرم قليلًا، ثم أردف

- شوف يا ماهر انا مستعد أسامحك، ومش كده و بس أنا مستعد أديك ٣٠ ألف تانيين، بس بشرط، تدلني على عبد العال، تكلمه دلوقتي، و تقوله إنك عايز تقابله عشان وقعت على معلومات توديني في داهية، قلت إيه:

- أنا تحت أمرك يا مكرم باشا

- طيب كلمه دلوقتي

أخرج ماهر هاتفه، وقام بالاتصال برقم عبد العال

- هي الست دي بتقولك إيه، بتقولك إن الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا، مش كده

هز ماهر رأسه إيجابا، فأردف مكرم

- شفت، عبد العال قافل تليفونه، ومشى من المصنع، وأنت مش هتعرف توصل له .....

أردف مكرم بلهجة ساخرة

- طب و بعدين يا ماهر أسامحك إزاي دلوقتي

- اديني فرصة يا باشا، وأنا هجيب لك عبد العال

- بس في مشكلة

- إيه

- هو أصلًا ما اسموش عبد العال

اتسعت عينا ماهر

- طب مش حضرتك عندك ملفه

- اتعين ببطاقة مزورة، واحنا مش وزارة الداخلية عشان نعرف

.....تنزل تأخذ بقية حسابك، وتحرص إن أنت ما تقابلنيش مدى حياتك، و حاول ما تخلينيش أعرف أنت هتشتغل فين، لأنى لو عرفت، تسجيل الجلسة اللي حصلت بيننا دلوقتي و اللي بيثبت خيانتك، واللي بعد نص ساعة هيبقى على موبايلات كل اللي شغالين في المصنع، هيبقى عند مديرك، وما يهيألش إن حد هيرضى يشغل عنده خاين.

صمت ماهر و تجمد في مكانه.

- شرفت يا ماهر

قالها مكرم ثم عاد ينظر إلى الأوراق التي أمامه

خرج ماهر من المكتب و هو يجر أذناب خيبته خلفه

بعد خروجه أسند مكرم ظهره إلى المكتب و تنهد تنهيدة ارتياح

كانت ليلة مظلمة من أواخر ليالي الشهر العربي، يقترب الليل من انتصافه، أغلقت معظم المحلات أبوابها، والمواصلات العامة تكاد تكون غير موجودة، لم يتبقى إلا بعض الكافيهات الفخمة التي لا تغلق أبوابها أمام زبائنها، والمطاعم التي تعتمد على السهرات و التي تبدأ عملها فعليا في الثامنة أو التاسعة مساءا

نظر أحمد من شباك الغرفة التي يقبع فيها متأملا حركة السير في الشوارع، يراقب حركة السيارات، يتابع الناس الجالسين على المقهى بعينه، لقد اقترب ميعاد نومه، هولا يريد أن يذاكر الآن، لقد اكتفى من كل شيء من المذاكرة و اللعب و الطعام، يريد فقط أن يقضى ما تبقى من يومه في النافذة حتى يشعر بالنوم

عندما مرت تلك السيارة من أمامه اتسعت عيناه فرحا، انتظر قليلًا حتى لا

تذهب فرحته هباءً، لم يدم انتظاره طويلًا حتى انفتح باب السيارة و خرج منها خاله مكرم، ما إن رآه أحمد حتى انطلق مسرعًا نحو الصالة حيث يجلس عمه.

- عمو، عمو، خالو مكرم جه

تغيرت ملامح وجه عمه عندما سمع تلك العبارة

- و ماله يا حبيبى يأنس و يشرف

- يااااااه بقى لي كتير أوي ما شوفتوش

ابتسم عمه ابتسامة خافتة

- طب روح افتح له الباب

فتح أحمد الباب و وقف أمامه في انتظار صعود خاله مكرم

وعندما راه لم ينتظر حتى يصعد مكرم إليه، بل انطلق هو باتجاهه، نزل درجات السلم و ارتمى عليه

فتح مكرم ذراعيه لاستقباله، احتضنه مكرم و قبله، و حمله وصعد به

وقف مكرم أمام باب الشقة، و طرق على الباب مستأذنًا في الدخول

جاءه الرد من الداخل

- إتفضل يا دكتور مكرم

دخل مكرم إلى الشقة، يحمل أحمد على إحدى ذراعيه، و يطوقه بالآخر، يضع أحمد كلتا يديه محتضنا مكرم، استقبلهم أحمد سلطان.

- نورت يا دكتور

- البيت منور بأصحابه يا أحمد بيه، أنا مش هطول عليك، باختصار أنت عارف أنا جاي ليه

أنزل مكرم أحمد إلى الأرض

- روح على قوضتك دلوقتي يا أحمد

- بس أنا عايز أقعد معاك شوية يا خالو

- لا ما تخافش هنقعد كتير مع بعض

لم تعجب الجملة الأخيرة أحمد سلطان، شعر بنبرة تحدى في كلام مكرم دخل أحمد إلى الغرفة، فبدأ مكرم بالكلام.

- شوف يا أستاذ أحمد باختصار و من غير لف و دوران، أنا جاي أخد أحمد يعيش معايا عشان أنفذ وصية أمه الله يرحمها، وفى الأول و في الآخر إحنا مفيش بيننا غير كل ود و احترام

- يعنى حضرتك جاي تنفذ وصية أمه، طب وبالنسبة لأبوه

- بيتهيألى لو الميتين كانوا بيتكلموا، كان خالد قالك إنه عايز الولد يعيش معايا

اشتد غضب أحمد سلطان من جملة مكرم الأخيرة.

- طب هما ما بيتكلموش، يعنى أنت مش من حقك تقول كلام هو ما قالوش

- أنا قلت لو، إنما ما قلتش إنه قال كده

- بيتهيألى أنت سبق و بعتت لي الواد اللي بيشتغل عندك، و أنا بلغته قراري

- و هو بلغنى، بس أنا جاي لك النهارده بنفسي، وصدقني الموضوع مش بالعافية

تنهد مكرم تنهيدة خفيفة ثم أردف

- خلينا نحسبها بالعقل، أنا هقدر أوفر له كل اللي هو عايزه، ممكن أجيب له كل اللي نفسه فيه، إنما أنت مهما عملت مش هتعرف تعمل اللي أنا هعمله، ولا إيه

اشتد غضبه مرة اخرى

- أنت جاي تهيني في بيتى يا مكرم

- أنا ما بقولش غير الحقيقة، بس شكل الحقيقة بتزعلك.....خلاص أنا هجيب لك من الآخر، إحنا نجيب الولد هنا و نسأله، يحب يعيش مع مين، وصدقني لو اختار يعيش معاك أنا مش هطلب حتى إني أشوفه

ثبت أحمد سلطان عينيه باتجاه مكرم، ولم يتكلم

ارتفع صوت مكرم

- أحمد. أحمد

خرج الولد مسرعًا من غرفته و كأنه كان في انتظار هذا الصوت

- نعم يا خالو

- عمك عايز يقولك حاجة

الآن ألقى مكرم الكرة في ملعب أحمد سلطان، منذ دخوله إلى هذا المنزل، و هو يستخدم نظريات علم النفس التي درسها، فبداية التزم بكل الآداب فطرق الباب مستأذنًا قبل أن يدخل

ثم بدأ بأولى ألاعيبه بإعطاء الأمر لأحمد أن يذهب إلى الغرفة لكى يعطى الايحاء إلى أحمد سلطان إلى أن الكلام الذي سيقوله أكبر من أن يسمعه الطفل، وعندما قال له أحمد أنه يريد الجلوس معه، رد مكرم بهدوء شديد أنه سيجلس معه كثيرًا في إشارة منه إلى انه سيأخذه للعيش معه.

و عندما بدأ كلامه قال له إنه جاء لينفذ وصية والدة الطفل ليشعره أن الموضوع بالنسبة له ليس مجرد حب للطفل، و إنما هي وصية شقيقته.

قال مكرم هذا الكلام وهو يتوقع بنسبة كبيرة أن الرد سيكون و ماذا عن والد الطفل؟

وكان هذا ما أراده، فضرب عصفورين بحجر واحد و قال له أن الموتى لو كانوا يستطيعون الكلام لطلب منه خالد أن يرعى طفله، وهنا فعل مكرم أمرين، أولا زعزع ثقة أحمد سلطان بنفسه لأن أحمد سلطان كان يعلم مدى العلاقة التي كانت بين خالد و مكرم، و ثانيا أراد أن يستفزه ليمهد للخطوة التالية

غضب أحمد سلطان، واستمر مكرم في هدوئه المعتاد، وما إن حانت الفرصة حتى استفزه ثانية و أوصله إلى حالة شديدة من الغضب، وما إن وصل إلى هذه الحالة حتى عرض عليه مكرم التحدي الذي لم يجد أحمد سلطان أمامه إلا قبول التحدي و تخيير الولد، وعندما نادى مكرم على أحمد وضع الكرة في ملعب أحمد سلطان، وطلب منه هو تخيير الطفل، حتى لا يقول إذا اختار الولد مكرم، أن طريقة عرض مكرم هي التي أغرت الولد لاختياره.

- أحمد يا حبيبى، تحب تعيش هنا مع عمك و ولاد عمك، و مرات عمك اللي بتحبك، ولا تروح تعيش لوحدك عند خالك

و بالرغم من أن طريقة العرض هذه كانت في صالح أحمد سلطان، إلا أن مكرم لم يعقب

اتجه أحمد باتجاه عمه و قبله من خده، و قال له

- أنا بحبك أوي يا عمو، بس أنا مش عايزك تزعل، لأنى عايز أعيش مع خالو مكرم

احمر وجه أحمد سلطان من أثر الصدمة، بالرغم من أنه كان يتوقعها، إلا أن ساعة الحقيقة لها تأثير أصعب بكثير من ساعات التكهن

ابتسم مكرم ابتسامة خفيفة، شعر بنشوة الانتصار

تحرك الولد باتجاه مكرم و أمسك بيديه، فوجه مكرم كلامه إلى أحمد

سلطان

- أولا يا أستاذ أحمد أنا حابب أشكرك على الفترة اللي أنت راعيت فيها أحمد في غيابي، ثانيًا طبعًا ده إبن أخوك و كمان متسمى على اسمك فأنا تحت أمرك في أي وقت لو حابب تشوف الولد.

- تمام يا دكتور مكرم، و أنا واثق إن أحمد معاك هبقى في إيد أمينة

قال أحمد سلطان جملته الأخيرة، ثم نادى على زوجته و أولاده لكى يسلموا على أحمد قبل ذهابه مع خاله

سلم أحمد على زوجة عمه و أولادها بحرارة شديدة، و قال لهم (أنا هستناكم في بيت خالو مكرم ابقوا تعالوا لي)

بعد أن انتهت طقوس الوداع، اصطحب مكرم أحمد معه في اتجاه منزله، وما إن ركبا السيارة حتى أخرج مكرم هاتفه المحمول، وقام بالاتصال بمراد.

- ألو...أيوا يا مراد، عايزك تشوف لي بودى جارد يكون سنه صغير، وكمان جليسة أطفال و تكون أنسة عشان تتفرغ لأحمد.

- أفهم من كده إن أحمد معاك دلوقتي

- أيوا معايا، والناس دي عايزهم يكونوا عندي بكرة الصبح

يتواجد مراد إلى جانب مكرم في سيارته، و يتجهان معا إلى ذاك الملهى الليلى حيث سيلتقى مكرم مع الرجل الذي كان السبب الأول في ما مر به من محن في الفترة الأخيرة، الرجل الذي رفع الراية الحمراء في وجهه و لم يخفضها حتى الآن، الرجل الذي فكر و خطط و أفسد و قتل

حتى هذه اللحظة لم يكن مراد مرتاحا لما يفعله مكرم، لم يفهم قبوله المشاركة في مثل هذا العمل، لكنه في النهاية يعزى سبب ذلك إلى حجم الضغوط

التي وقعت على كاهله

عم الهدوء لفترة ليست بالقصيرة حتى جاء صوت مراد

- مكرم أنت واثق من اللي أنت بتعمله ده

- عندك حل تاني

صمت مراد و لم يرد، فأردف مكرم

- شفت بقى إزاي، أنا عارف يا مراد إنك مش عاجبك اللي أنا داخل عليه، بس أنت مش قادر تتكلم عشان أنت نفسك معندكش حل تاني، المهم دلوقتي ما تنساش اللي اتفقنا عليه

- مش ناسي، و كل حاجة اتنفذت زي ما أنت عايز بالظبط

- دي أهم حاجة

توقفا بالسيارة أمام الملهي الليلى، وصلا متأخرين عن الميعاد بعشرين دقيقة، و هذا الشيء تعمده مكرم

عندما وصلا أمام الملهي و توقفا بالسيارة، انتظر مكرم قليلًا قبل أن يفتح الباب، مما أثار استغراب مراد.

- ياللا يا مكرم في إيه

تردد مكرم في النزول عندما رأى الناس الداخلين و الخارجين من الملهي، و عندما رأى فخامة السيارات الواقفة أمام الملهي، أدرك أن هذا الملهي لا يدخله إلا أصحاب الطبقة العليا جدًا

الناس يدخلون مهندمي الملابس، مصففي الشعر، تحملهم اقدامهم، لكن أغلبهم يدخل في الخفاء، و يحاول ألا يشعر به أحد.

أما الخارجين من المكان، فإما يخرجون فاقدي التوازن من أثر السكر، أو

يخرج و في يديه أحد البغايا، أو يخرج كما دخل و هذا قليل جدًا.

- مالك يا عم في إيه

كان هذا مراد

- قرفان....قرفان يا مراد من شكل المكان ده، عمرى في حياتي ما تخيلت إني أدخل مكان زى ده

نظر مراد إليه نظرة تعجب!!!

- يعنى أنت عمرك ما تخيلت تدخل مكان زي ده، و متخيل إنك ممكن تتاجر في الهيروين عادى

ابتسم مكرم ابتسامة و كأنه يسخر من نفسه

- عندك حق..... ياللا بينا

نزلا من السيارة، و اتجها إلى الملهي

عندما دخلوا كانت الأجواء غريبة عليهم، الأنوار الزائدة، صوت الموسيقى الهابطة المرتفع، بعض الدخان، أصوات ضحك الغانيات، إحداهن تتمايل على المسرح، و رجل كالبغل يلقى عليها نقودا تكفى لإطعام حارة بأكملها

رآه جلال فقام لاستقباله

- يا أهلا و سهلا بدكتور مكرم ياسين

- أهلا بيك

- أنت جاي متأخر عن المعاد تلت ساعة كاملة، و دي بداية مش مبشرة، بس إحنا هنعديها و هنعتبر دي غلطة أول مرة.

غضب مكرم من هذا الكلام، فوجه كلامه إلى جلال

- دايمًا الكبير بيجى متأخر شوية

ضحك جلال بصوت مرتفع

- ماشي يا كبير، تفضل بقى معايا عشان تقابل الكبير اللي بجد

اصطحب جلال مكرم و مراد إلى الطاولة التي يجلس عليها الزعيم، كان يجلس معطيا ظهره لهم من ظهره و بناءً على صلعته الكبيرة و المتبقي من شعره الأبيض يتضح أنه قد تجاوز الستين، السيجار الكوبي واضح بين اصبعيه، و الخاتم الكبير يتضح أيضًا من اليد الأخرى.

- دكتور مكرم يا بوس

استدار الرجل، و عندما راه مكرم انفتح فمه، و تجمدت عيناه

- مالك يا مكرم مستغرب كده ليه

قال الزعيم هذا الكلام وهو ينظر إلى مكرم الذي ظل ثابتا في مكانه

- أنت...أنت يا مصطفى يا رشدي

كان مصطفى رشدي أحد الأصدقاء المقربين جدًا إلى فريد ياسين والد مكرم، كان مكرم يعرفه منذ أن كان صغيرا، تشارك مع والده في إحدى المشروعات لكن مع كثرة الخلافات قررًا الانفصال.

بعدها شق كل منهم طريقه، أصبحا من القوى الاقتصادية العظمى

الآن أدرك مكرم كيف وصل مصطفى رشدي إلى هذه الثروة الطائلة، تجارة الهيروين طريقا مختصرا للوصول للثروة

- إحنا في مركب واحدة يا مكرم

قالها مصطفى في إشارة منه إلى أن والد مكرم كان هو الآخر متورطا في هذه التجارة، و أن كل الثروة التي يتمتع بها مكرم الآن أساسها هذه التجارة المشبوهة

- لا يا مصطفى كده الأمور واضحة، أنت دبرت الحادثة اللي مات فيها أبويا،

و اشتريت كلب من الناس اللي كانوا شغالين عندنا، و كل ده لمجرد إن أبويا رفض يشتغل معاك

ضحك مصطفى بصوت مرتفع

- تصدق نص كلامك صح، و نصه غلط

أنا قتلت أبوك يا مكرم لما طمع، كان عايز يعلى نسبته المعتادة اللي كان بياخدها كل عملية، طبعًا الكلام ده ما يعجبنيش، و لأنى ما بهزرش، فخلصت منه، و نقلت العطا عليك يا دوك

- طب ليه ما قتلتنيش أنا كمان لما رفضت أشتغل معاك

- أنت اذكى من كده يا دكتور...لو قتلتك يبقى مين باقى لى عشان ألعب عليه، أنا قتلت أبوك لأنى كنت عارف إنك هتكمل من بعده، ولما أنت عصلجت في الأول، كان لازم أقرص لك ودنك لحد ما تلين

- تقتل إتنين و تسميها قرصة ودن

- ما هو في لعبتنا إحنا طالما ما قتلتكش أنت نفسك يبقى إحنا لسه بنهزر

زفر مكرم في ضيق، ثم أردف

- ماشي...خلينا دلوقتي نتفق على تفاصيل الشغل

- أنا بحب الناس العملية برضو

شوف يا مكرم، إحنا بنستعد عشان نعمل عملية كبيرة، مش هقولك إننا أول مرة نعملها، بس المرة دي أكبر شوية من أي مرة

- و أنا دوري إيه في العملية دي

- شريك

- شريك بمعنى إيه؟

- بمعنى إنك تدفع النص بالنص، وطبعًا البضاعة هتتشحن في الشحنة اللي جاية لك من إسبانيا كمان شهر، طريقة الشحن ملكش دعوة بيها

لما الشحنة هيجي هتدخلها مخازنك، بعد كده رجالتنا هيخرجوها من المخازن، بعد كده هنقولك تسلمها إزاي

- يعنى أنا هدفع النص، والبضاعة هتيجي في شحنة تبع مجموعتي، و هخزنها في مخازني، و كمان هسلمها لك، كده مش فير يا باشا

- والله هي دي شروطي، وأنا قلتلك إحنا ما بنهزرش

أخرج مكرم عملة معدنية من جيبه و وضعها على الطاولة، ثم وجه كلامه إلى مصطفى

- عارف يا مصطفى في لعبة بيعملوها في بلاد برة كنت قريت عنها على النت

- لعبة إيه دي، و إيه علاقتها بالشغل

أمسك مكرم بالكوب الموضوع أمام مصطفى

- شايف الكوباية دي يا مصطفى بيه، أهو كل اللعبة إن اللي هيلعب العملة دي و تخبط في الكوباية يبقى له نقطة، و هنلعب اللعبة دي ٥ مرات، واللي هيجمع النقط أكتر يرش الثاني بالكوباية في وشه.

انفجر جلال في وجه مكرم

- ايه اللي أنت بتقوله ده يا مكرم!!!!

هنا جاء صوت مصطفى

- سيبه يا جلال، أنت عايز توصل لإيه يا مكرم

- لا هي اللعبة جت في دماغي بس فقلت أجربها مع سعادتك

لم يبدو مصطفى رشدي مقتنعًا، لكنه لم يكن لديه مانع للتجربة

أنا هبدأ يا مصطفى بيه

وضع مكرم إصبعه السبابة مع الإبهام في وضع الدائرة، وقام بضرب العملة المعدنية، فارتطمت العملة بالكوب.

- كده واحد صفر ليا يا باشا....دورك

قام مراد من مكانه

- أنا هروح الحمام يا مكرم على ما تخلصوا لعب

هز مكرم رأسه بالإيجاب

ضرب مصطفى العملة المعدنية فارتطمت بالكوب

- واحد واحد يا مكرم

ظلا هكذا حتى أصاب مكرم الكوب أربع مرات وفى المرة الرابعة لمصطفى لم ترتطم العملة بالكوب

إبتسم مكرم بصوت مرتفع

- كده يا باشا لو أنا نجحت في المحاولة دي هغرقك بالكوباية

- أنت صدقت ولا ايه يا مكرم، أنا بس بتسلى معاك

- و أنا كمان بهزر يا باشا، يكفيني شرف الفوز عليك

ضرب مكرم العملة فارتطمت بالكوب

- كده يا باشا أنا فزت

صفق مصطفى ساخرا من مكرم

- برافو يا مكرم

- ميرسى يا باشا

ابتسم مكرم ابتسامة عريضة

- بس أنا ما برجعش في كلامي

أمسك مكرم بالكوب و رش مصطفى بما فيه من خمر، وهنا انقلب الملهي رأسًا على عقب

- طب و أنت هتعمل ايه دلوقتي

- أنا طلبت إني أقابل الكبير بتاعهم عشان نتفق على تفاصيل العملية اللي هما بيقولوا إن أبويا كان متفق معاهم عليها

- وبعدين

- ولا قبلين، أقعد بقى واهدى عشان أقولك هنعمل إيه

- هنعمل إيه في إيه

- في مقابلة الكبير

- أنت ناوي على إيه يا مكرم

- أنا حطيت خطة و جهزت رجالة تنفذها

الكباريه اللي هما هيقابلوني فيه أكيد تبعهم و مأمنينه كويس

- أكيد

- عشان كده أنا جايب رجالة أكبر من أي عدد هما ممكن يكونوا جايبينه و أنت اللي هتحرك الرجالة دي.

- أنا!!!....إزاي؟

- طول ما إحنا قاعدين معاهم عينك تبقى على إيدي اليمين، لو إديتك إشارة برقم (١) يبقى تستني زي ما أنت، ولو إديتك اشارة برقم (٢) تقوم تعمل نفسك رايح الحمام و تدى تعليماتك للرجالة يمشوا، ولو إديتك اشارة برقم (٣) يبقى تدى إشارة للرجالة إنهم يدخلوا الكباريه بالتدريج، ويستنوني لما أعمل أي

حركة تدل على الهجوم، ولما يشوفوا الاشارة دي يقلبوا الكباريه فورا، و يحاوطوه من كل النواحي بالسلاح

- وأنت هتشاور لي إزاي و هما قاعدين

- الإشارة مش هتبقى صريحة، وعليك إن أنت تفهمها يا مراد

أنا هبدأ يا مصطفى بيه

وضع مكرم إصبعه السبابة مع الإبهام في وضع الدائرة، وقام بضرب العملة المعدنية، فارتطمت العملة بالكوب.

- إيه يا مصطفى بيه، مالك مبلم كده ليه

أجاب مصطفى رشدي منفعلًا

- اللي أنت بتعمله ده غلط كبير أوي يا مكرم

- لا ما أنا عارف، بس أنت دلوقتي روحك تحت إيدي يا باشا، وبإشارة واحدة منى أخلى دماغك ١٠٠ حتة....بس أنا مش هعمل كده، عارف ليه؟

عشان أنا مش وسخ زيك، كل اللي في الحكاية إننا هنغير الاتفاق شوية صغيرين

- إزاي؟

- أنا مش هدفع ولا مليم في العملية دي، بس هاخد

- نعم!!!...هي تكية أبوك

- أه، و أنت اللي قلت كده...أنا هاخد ٣٥% مقابل إني أجيب الشحنة دي في الشحنة اللي جاية لى، و مقابل إني أخزنها لك و أسلمها لك على طبق من دهب

- مش شايف إن ده كتير

- و اللي أنت عملته مش كتير

ها موافق، ولا أخلى الرجالة تخلص

صمت مصطفى قليلًا، و جلال يتصبب عرقًا

عاد مكرم من جديد

- شكلك مش موافق، يبقى الله يرحمك

جاء صوت مصطفى هادئا هذه المرة

- موافق يا مكرم

- كده من غير ضمانات

انفعل مصطفى مرة اخرى

- أنت كمان عايز ضمانات

- طبعًا يا باشا، ده أنت إبن سوق و فاهم، أنا إيه اللي يضمنلى إنك بعد ما تأخذ حاجتك اللي عندي إنك ما تغدرش بيا

- و عايز ضمانات إيه

- مراد

أشار مكرم إلى مراد فأخرج من جيبه ورقة وقلمًا

- توقيعك هنا يا باشا

- إيه ده يا مكرم

- ده عقد، عقد بيع ٢٠% من المجموعة التجارية بتاعتك، و ده مش كتير بالمقارنة بالفلوس اللي أنت هتكسبها

- أنت اكيد إتجننت

- هو أنا لحد دلوقتي لسه ما أتجننتش، فما تخلينيش أتجنن

امضى يا مصطفى ما تضيعش وقتي، أنت عارف إني نفسى أقتلك، و

بصراحة بقى أنا ما بقدرش أقاوم رغباتي كتير، فاشتري نفسك

صمت مصطفى رشدي قليلًا ثم أردف

- وأنا إيه اللي يضمنلى إنك ما تغدرش بيا، وتسجل العقد ده

- العقد هيفضل معايا لحد ما تديني فلوسي، هتديني الفلوس هسلمه لك، هتغدر بيا يبقى ٢٠% من شركاتك بقى ملك لياسين جروب.

ساد الصمت قليلًا، صدر مصطفى يعلو و يهبط في غضب، إنه في موقف لا يحسد عليه، لكن ليس أمامه حل آخر.

أحيانًا يمكث الإنسان بين خيارين أحدهما أصعب من الآخر، لا تستطيع أن تختار أحدهما، الأول يجعلك تتنازل عن مبادئك، و الثاني يجعلك تفقد شيئًا عزيزا عليك، إنه الاختيار بين الموت بالشنق أو الحرق، كلاهما موت و كلاهما عذاب

عندما يكون الإنسان في هذا الموقف يتمنى لو أن حياته قد انتهت، لأنك في النهاية مجبرًا أن تختار أحدهما، عليك أن توقع بيدك على القرار الأصعب في حياتك

كان مراد يجلس وحيدًا في شرفة منزله، أنهى كوب القهوة الثالث، و يفكر جديًا أن يطلب الرابع، رأسه يكاد أن ينفجر من الصداع

ترى زوجته أنه في حالة غير طبيعية، اقتربت منه

- مالك يا مراد

- مفيش يا حبيبتي

- مفيش إزاي أنا أول مرة أشوفك كده

صمت مراد قليلًا ثم أردف

- حبيبتي فلنفرض إنك عرفتي إن أبوكِ قتل واحد، تعملى إيه؟

اندهشت من كلامه، فأجابت و قد على صوتها بعض الشيء

- إيه اللي أنت بتقوله ده يا مراد!!

- أنا بقولك افرضي

- لا طبعًا بابا لا يمكن يعمل كده

- ما هو عشان أنتِ لا يمكن تشكى إنه ممكن يعمل كده، عايزك بقى تقولي لي انطباعك لو عرفتي ده

- لا. ده أنا...ده أنا ممكن أتجنن، أو أتشل و أفقد النطق

هنا تذكر مراد ما كان فيه مكرم، فمجرد ثباته في عقله، وتعامله بهدوء لهو قوة في حد ذاته

- طب لو أنتِ كملتي بعقلك، تبلغي عنه، ولا تسترى عليه

- أنت بتطلب منى المستحيل يا مراد

سرح مراد قليلًا، و قال في نفسه

- أمال لو عرفتي إني قدام ده دلوقتي، عمرى في حياتي ما تخيلت إن مكرم يتاجر في الهيروين، و في نفس الوقت مش قادر أسيبه يكمل، بس أنا برضو ما أقدرش أسبب له أذى

- سرحت فين يا مراد

نظر لها مراد بعينين جامدتين

- ما قلتليش هتعملى ايه

- هو ساعتها هيبقى القرار صعب جدًا، بس بما إني مش عايشاه حاليا، هختار إني أبلغ عنه، و ده عشان الحق بس

- أنتِ شايفه كده

- ما أنا بقولك أنا مش عايشة الوضع ده

- صح

- صح إيه؟

- أنتِ فعلا مش عايشاه

قال مراد جملته الأخيرة، و قام متجها إلى غرفة نومه

في الصباح الباكر قاد مراد سيارته متجها إلى مديرية الأمن

دخل إلى مكتب الضابط المختص

- إتفضل يا فندم

جلس مراد أمامه فبادره الضابط

- خير

- عايز أقدم بلاغ

- بلاغ في مين

- في دكتور مكرم ياسين

- منور ياسين جروب يا مصطفى بيه

قالها مكرم لمصطفى رشدي و هو جالس أمامه على مكتبه، و يجلس مراد أمام مصطفى رشدي

استطاع مكرم أن يقلب موازين اللعبة لصالحه، استطاع بين طرفة عين و انتباهتها أن يكون هو الجانب الأقوى، يضع شروطه كيفما شاء، و حسبما أراد، وضع شرطه أن يكون لقائه الثاني بمصطفى رشدي في مكتبه هو، بل و اشترط أن يأتي مصطفى رشدي منفردًا

- يا ريت ندخل في الموضوع على طول يا مكرم باشا

- جميل....شوف يا مصطفى بيه، الشحنة هتدخل مصر مع المواد الخام

بتاعتى، هتدخل مخازني، و بعد كده هسلمها لك

- أيوا الكلام ده أنت قلته قبل كده، إيه الجديد

- الجديد بقى يا سيدى هو مكان التسليم، أنا بعمل فيلا جديدة في التجمع، هنقل الفيلا دي و طبعًا هعمل حفلة كبيرة بمناسبة الفيلا الجديدة

- ما تقولش إنك هتسلمنى في الحفلة

- هو ده اللي هيحصل

اندهش مصطفى رشدي و كذلك مراد مما قاله مكرم

- إيه مالكم

أجاب مصطفى

- اللي أنت بتقوله ده اسمه خبل

- خبل ليه، عمر ما حد يتوقع طريقة التسليم دي، أنا أكيد مش هسلمك في شنط سودة و جو الأفلام ده.

- أمال هتسلمنى إزاي

- في التورتات

- في التورتاات!!!!!!

- أيوا.....أنا هحط الهيروين جوة التورتات، و أنت هتاخد التورتات دي على المكان اللي أنت عايزه

- و أنت مش شايف إن حاجة مش طبيعية إن حد يطلع من حفلة معزوم فيها بكمية التورتات دي

- ده لو أنت اللي خرجت بيها

- يعنى إيه

- يعنى التورتات هتتحمل على عربيات من بتاعتى، و محدش يعرف التورتات دي رايحة فين

- و دى حاجة مش هتخلى الناس تشك

- يشكوا في إيه

- يعنى تورتات تتحمل في عربية و تخرج من الحفلة دي حاجة طبيعية

- لا طبعًا، بس في نفس الوقت مش الحاجة اللي تخلى الناس تفكر في إن التورتات دي فيها مصيبة، كلهم هيقولوا إن دي طقوس من الحفلة، و محدش هيسأل التورتات دي رايحة فين

- و الهيروين هيتحط في التورتات دي إزاي

- رجالتك اللي هيحطوه

- نعم!!!

- أنا هجيب شيفات تعمل التورتات دي في البيت، و فعلا هيعملوا التورتات اللي هتتقدم في الحفلة، و بعد كده رجالتك هتدخل تحط الهيروين جوة تورتات أنا هطلب منهم يعملوا طبقاتها بس، و تزين عليه من برة عشان يبان إنها تورتة، و كده محدش يقدر يمسك علينا حاجة، و ده كله طبعًا قبل الحفلة بيوم، و رجالتك هييجوا بالليل بعد ما الشيفات يمشوا

- أنا مش واثق في الطريقة دي

- ما تقلقش يا باشا كله هيبقى تمام

بعد مرور ثلاثة أشهر

يقف الجميع في الحديقة الخاصة بالفيلا الجديدة لمكرم ياسين، يبهرهم

جمال المعمار للفيلا الجديدة، حمام السباحة يتوسط الحديقة، تنتشر التحف في بعض أجزاء الحديقة

العدد كبير في هذه الحفلة، لم يكن أحد يتوقع أن يكون لمكرم ياسين كل هذه العلاقات، خصوصًا و أنه ابن الأمس في عالم رجال الأعمال، كثير من رجال الأعمال المعروفين و المرموقين يحضرون هذا الحفل، بعضهم جاء بناءً على دعوات وجهت إليهم من مكرم، وهم ليس لهم به أي علاقة لا من قريب ولا من بعيد

الأجواء هادئة جدًا، يمنحهم منظم الحفل الوقت للتعارف، الموسيقى الهادئة في خلفية الأجواء، و جميع الموجودون في الحفل يتبادلون الحديث في انتظار إطلالة مكرم

مكرم يقف أمام مرآته الموجودة في غرفة نومه يضع لمساته الأخيرة، ينظر إلى المرآة بعمق، يتثبت أمامها قليلًا، بدا معجبًا بنفسه، بأناقته الشديدة، يبدو في أبهي حلة لكنه يرى أيضًا ملامح الخوف في وجهه، عيناه غريبتان لم تريا النوم في الليلة الفائتة

يأخذ نفسا عميقا، يحاول تهدئة نفسه

يدق باب الغرفة

- أدخل

دخل مراد إلى الغرفة

- إيه يا مكرم كل ده بتعمل إيه

- تعالي قولي رأيك

- واو، برفكت يا مكرم

- بجد

- أه والله، ياللا بقى

- ياللا

اصطحب مراد مكرم و خرجا معا إلى حديقة الفيلا

عندما ظهر مكرم أمام الناس بدأوا بالتصفيق له

رفع مكرم يده ليرد تحيتهم

و عندما انتهوا من التصفيق، بدأ هو بالكلام

- برحب بيكم في بيتي الجديد، وبشكر كل الناس اللي حضرت عشان تشاركنى اللحظة الجميلة دي، شرف ليا أنكم تشاركونى في أول يوم ليا هنا، و إن شاء الله مش هيبقى أخر يوم لينا مع بعض في المكان ده، بشكركم و بتمنى لكم سهرة سعيدة

بعد أن انتهى مكرم من كلامه بدأ يتجول بين الحاضرين للترحيب بهم، و تلقى عبارات التهانى منهم

حتى إذا وصل إلى مصطفى رشدي، همس مصطفى في أذنه

- كله تمام يا مكرم؟

- لما البوفيه يفتح رجالتك هتبتدى تتحرك و تنقل البضاعة على العربيات، و قلتلك ما تقلقش

واصل مكرم ترحيبه بضيوفه، يتكلم مع هذا قليلًا، و يمزح مع هذا قليلًا، كان كل شيء يسير كما هو مخطط له

استأذن مكرم من ضيفه الذي يحاوره، و اتجه إلى داخل الفيلا، فاستوقفه مراد

- على فين يا مكرم

- يعنى أنت مش عارف

- مهدئات برضو

- مش قادر يا مراد، خمس دقايق بالظبط و خلهم يفتحوا البوفيه

بعد أن صعد مكرم نفذ مراد ما طلبه منه و تم افتتاح البوفيه، وما إن تم افتتاحه حتى بدأت التورتات تخرج إلى السيارة التي ستحملهم

وفى هذه اللحظة أخرج مراد هاتفه، و قام بفعل شيء ما عليه، و لم تمر سوى دقيقة واحدة حتى كانت الشرطة تحاصر الحفل.

انطلقت صرخات من بعض الموجودين في الحفل، ساد التوتر في أنحاء المكان، عدد هائل من قوات الشرطة يتواجد في حديقة الفيلا، بعض من أفراد طاقم التخديم انضم إليهم، إنهم من أفراد الشرطة جاءوا في افراد التخديم لمتابعة الأحداث

بدأ الضابط المسئول عن المداهمة بالكلام

- مش عايز صوت....كل واحد يثبت زي ما هو

اقترب الضابط من السيارة أكثر

- العربية دي بتاعت مين ؟

رد مصطفى رشدي بسرعة

- بتاعت صاحب الفيلا يا باشا

أجاب الضابط

- مصطفى باشا....أنت هنا...أصل أنا الصراحة إتفاجئت بوجودك....فتش العربية دي يا ابنى

بدأ العساكر بإخراج العلب التي تحتوى على المخدرات، وقاموا باستخراجها،

فأردف الضابط

- إيه ده بقى....سكر بودرة

ساد الاندهاش على وجوه جميع الموجودين، من المستحيل تصديق أن مكرم يمكن أن يفعل هذا

- أمال مكرم ياسين فين

هنا تكلم مراد

- فوق يا باشا

وجه الضابط كلامه إلى العساكر

- اطلعوا هاتوه

بدأ العساكر بالتحرك في اتجاه الفيلا، ولكن قبل أن يصعدوا فوجأ الضابط بالنيران تخرج من غرفة مكرم بالأعلى

- إيه اللي بيحصل ده يا مراد

صرخ مراد

- مش عارف يا باشا النار دي خارجة من أوضة مكرم

- يعنى إيه.....حاولوا تلحقوه بسرعة

انطلق العساكر بأقصى سرعتهم نحو غرفة مكرم، حاولوا إطفاء الحريق، بعد ربع ساعة تقريبًا نجحوا في إخماد الحريق بالكامل.

دخل الضابط إلى الغرفة فوجد جثة مكرم ملقاة على الأرض، و متفحمة بالكامل

اقترب الضابط المساعد من زميله

- هنعمل إيه دلوقتي يا باشا

- هنثبت اللي حصل، و هنقبض على مصطفى رشدي

نزل الضابط و مساعده و توجها إلى مصطفى رشدي

- تفضل معانا يا مصطفى بيه

- أتفضل ليه يا باشا، أنا عملت إيه!!!!

- هتعرف كل حاجة لما تنورنا...حرز يا ابنى البضاعة دي.

في غرفة الحجز تلك التي تملأها الحشرات، و يضربها البرد الشديد، و تسيطر عليها متنوع الروائح العفنة، ولا يسمع فيها غالبا إلا السباب و الحوارات الخارجة عن حدود الأدب

إلا إنها كأي شيء كما أن لها عيوب لها مميزات

فهي المكان الأنسب لكى يصارح الإنسان نفسه بما هو عليه، أن يكون متسقًا مع نفسه، هنا لا يمكنك الكذب، هنا أرض المحنة، حيث خداعك لن يكون إلا لنفسك، و مراوغاتك ستحل نتائجها على رأسك وحدك

عند الأزمات يكون لاستدراك الحقَّائق معنى آخر

جميع الذين احتجزوا بين تلك الجدران الأربعة، مروا بتلك اللحظات التي يدور فيها عقل الإنسان كثيرًا، يحاول التفتيش في ماضيه و ذكرياته، يحاول التنقيب عن سبب وجوده في هذا المكان (إن كان مظلوما)، يحاول التنقيب عن الذنب الذي اقترفه و ألقى به في هذا المكان القميء، و ربما يرجئها إلى ذنوب قد ارتكبها في بعيد الزمان، أو إلى أخرى قد رفض الاعتذار عنها من قبل، أو ربما كررها ليثبت أنها أتفه من أن يعتذر عنها

أما إذا كان يدرى حقيقة ما اقترفت يداه، فهو بالتأكيد سيلوم نفسه على تلك الفرص التي سنحت له للإقلاع عن هذا الجرم، لكنه لم يلتفت إليها، و زين له

الشيطان ما كان يصنع، حتى إذا أدركه العقاب لم يعد ينفع الندم.

ما كان يفكر فيه مصطفى رشدي في هذه اللحظات هو ذاك المثل الشعبي، و الأمثلة الشعبية أحيانًا تصيب جزءا من الحقًائق، و أحيان يكمن فيها جوهر الحقيقة ذاته، رغم أنها أمثلة تداولها الناس دون أن يعرف أيا منهم كيف نشأ هذا المثل، ولا ماهية الموقف الذي قيل فيه

- وقوع البلى ولا انتظاره

قالها مصطفى رشدي محدثًا نفسه و هو يضع يده تحت رأسه و يرتكز بكوعه على احدى ركبتيه، فهو بالفعل يتمنى الموت الآن إذا كانت النهاية الحتمية هي الحكم بإعدامه.

كان يريد أن يطلع على صحف اليوم، سيكون هذا الموضوع هو الأكثر سيطرة على ساحة الرأي العام في الفترة القادمة، سيكون تلك العلكة التي يتسلى بها المتسكعين على المقاهي، سيفتك به مقدمو البرامج اليومية و سيصفوه بالمجرم و اللص و الفاسد و جميع الكلمات التي يمكن أن تطلق على من اقترف ذنبًا، سيصدق كل ما يقال عنه، سيشمت فيه جميع أعدائه و منافسوه السابقين

في هذه اللحظة فقط أدرك لماذا انتحر هتلر قبل أن يقع في يد القوات الأمريكية، لأن الموت كان سيأتيه حتما لكن بعد أن يصير عبرة للعالم أجمع، فاختار الموت سريعا، هناك لحظات الموت أهون من أن تمر بك.

لقد كان مكرم ذكيًا، الانتحار كان هو الحل الوحيد، لكنه مات كافرًا

ابتسم ساخرًا من نفسه و هو يفكر بتلك الطريقة، مكرم سيدخل النار لأنه مات كافرًا، و هل سيصل إلى الفردوس الأعلى من حكم عليه بالإعدام في قضية إتجار!!!

قاطع أفكاره صوت بوابة الزنزانة القديمة الذي انفتح و ظهر من خلالها العسكري، نادى على اسمه و على أسماء جميع المتهمين في القضية، جلال و جميع رجاله الذين كانوا في الحفل

اصطحبهم العسكري إلى غرفة وكيل النيابة من أجل التحقيق، في الطرقة المؤدية إلى غرفة وكيل النيابة وجد مصطفى رشدي ابنه أدهم ينتظره، خمسمائة جنيه كانت كافية ليتركه العسكري يتحدث معه على انفراد

- بابا....ما تقلقش من حاجة أنا كلمت سيادة المستشار و قالي إن في أمل إن شاء الله

أجاب مصطفى رشدي في هدوء

- أنا مفيش أي دليل ضدي يا أدهم و يمكن أخرج معاك النهاردة كمان

- أنا مش فاهم بس هما قابضين عليك ليه، العربية اللي كان فيها البضاعة عربية الزفت اللي اسمه مكرم، و الفيلا فيلته، و مفيش أي حاجة تخصك في الموضوع

- ما تقلقش يا أدهم، كلها مسألة وقت و هخرج من هنا

وضع مصطفى رشدي يده على كتف أدهم مربتا عليه، ثم انطلق إلى غرفة التحقيق

دخل مصطفى رشدي إلى غرفة التحقيق، ليجد وكيل النيابة و أمامه المستشار يحيي المحامي الخاص به، ما إن دخل مصطفى رشدي حتى طلب منه وكيل النيابة الجلوس

- اتفضل اقعد يا مصطفى بيه

- شكرًا يا فندم

هنا بدأ المستشار يحيي بالكلام

- حضرتك رفضت تتكلم معايا في أي حاجة غير في وجود المتهم، والمتهم موجود دلوقتي

- دلوقتي نبدأ التحقيق بشكل رسمي، اكتب يا ابني، إنه في يوم و أكتب التاريخ و الساعة، مثل أمامنا المتهم مصطفى رشدي حسين، و تم سؤاله

س- ما هو قولك في التهم الموجهة إليك؟

- أنا لحد دلوقتي معرفش إيه هي التهم اللي موجهة لي

- أنت متهم بالإتجار في المخدرات بالمشاركة مع مكرم فريد ياسين

تدخل المستشار يحيي

- الكلام ده عارٍ تمامًا من الصحة، أنا موكلي رجل أعمال معروف، و نزاهته معروفة، و مفيش أي دليل على الكلام ده

- يعنى أنت بتنكر التهمة دي يا مصطفى بيه

أجاب مصطفى رشدي

- أنا مش بس بنكرها، أنا هرفع قضية رد شرف

ابتسم وكيل النيابة بجانب فمه ابتسامة ماكرة، ثم قال

- أه طبعًا من حقك، بس ده بعد ما تثبت براءتك

تدخل يحيى مجددا

- البراءة مثبوتة، و أنا بطالب بالإفراج عن موكلي و بدون أي ضمانات

- واحدة واحدة بس يا سيادة المستشار، أنا عندي كلام حضرتك لسه ما سمعتوش

- كلام إيه يا فندم

وجه وكيل النيابة كلامه إلى كاتب الجلسة

- شغل يا ابنى

مد الكاتب يده خلف المكتب و أخرج مسجلًا، وضغط على زر التشغيل

- جاء صوت مصطفى رشدي

- يا ريت ندخل في الموضوع على طول يا مكرم باشا

- جميل....شوف يا مصطفى بيه، الشحنة هتدخل مصر مع المواد الخام بتاعتى، هتدخل مخازني، و بعد كده هسلمها لك

- أيوا الكلام ده أنت قلته قبل كده، إيه الجديد

- الجديد بقى يا سيدى هو مكان التسليم، أنا بعمل فيلا جديدة في التجمع، هتنقل الفيلا دي و طبعًا هعمل حفلة كبيرة بمناسبة الفيلا الجديدة

- ما تقولش إنك هتسلمني في الحفلة

- هو ده اللي هيحصل

- إيه مالكم

- اللي أنت بتقوله ده اسمه خبل

- خبل ليه، عمر ما حد يتوقع طريقة التسليم دي، أنا أكيد مش هسلمك في شنط سودة و جو الأفلام ده

- أمال هتسلمنى إزاي؟

- في التورتات

- في التورتاات!!!!!!

- أيوا.....أنا هحط الهيروين جوة التورتات، و أنت هتاخد التورتات دي على المكان اللي أنت عايزه

- و أنت مش شايف إن حاجة مش طبيعية إن حد يطلع من حفلة معزوم فيها بكمية التورتات دي

- ده لو أنت اللي خرجت بيها

- يعنى إيه

- يعنى التورتات هتتحمل على عربيات من بتاعتى، و محدش يعرف التورتات دي رايحة فين

- و دي حاجة مش هتخلى الناس تشك؟

- يشكوا في ايه؟

- يعنى تورتات تتحمل في عربية و تخرج من الحفلة دي حاجة طبيعية

- لا طبعًا، بس في نفس الوقت مش الحاجة اللي تخلى الناس تفكر في إن التورتات دي فيها مصيبة، كلهم هيقولوا إن دي طقوس من الحفلة، و محدش هيسأل التورتات دي رايحة فين

- و الهيروين هيتحط في التورتات دي إزاي

- رجالتك اللي هيحطوه

- نعم!!

- أنا هجيب شيفات تعمل التورتات دي في البيت، و فعلا هيعملوا التورتات اللي هتتقدم في الحفلة، و بعد كده رجالتك هتدخل تحط الهيروين جوة تورتات أنا هطلب منهم يعملوا طبقاتها بس، و تزين عليه من برة عشان يبان إنها تورتة، و كده محدش يقدر يمسك علينا حاجة، و ده كله طبعًا قبل الحفلة بيوم، و رجالتك هييجوا بالليل بعد ما الشيفات يمشوا

- أنا مش واثق في الطريقة دي

- ما تقلقش يا باشا كله هيبقى تمام

تجمد مصطفى رشدى في مكانه، انقطعت أحباله الصوتية فربما لن يخرج صوته من جديد، توتر المستشار يحيي توترًا واضحًا، ابتسم وكيل النيابة و هو يقول

- إيه رأيك في الكلام ده يا سيادة المستشار

أجاب المستشار يحيى وهو يصرخ

- التسجيل ده متفبرك يا فندم، ده مش صوت موكلي ده صوت حد بيقلده، دي مكيدة عاملها حد تبع مكرم ياسين

لم يرد وكيل النيابة و اكتفى بالابتسام، فأردف يحيي

- أنا ما زلت مصر على الإفراج عن موكلي و بدون أي ضمانات

اتسعت ابتسامة وكيل النيابة أكثر، ثم قال في هدوء وهو يدير حاسوبه ليصبح في مجال رؤية مصطفى و يحيى، ثم قال و هو يضغط زر التشغيل

- طب و ده

لم يصدق مصطفى و يحيى ما يرانه، إنها تلك الجلسة التي سمعوها منذ قليل لكنها هذه المرة بالصوت و الصورة، لم يكتفى مكرم بتسجيل الجلسة صوتيا، بل قام بتصويرها بكاميرات خفية لم ينتبه لها مصطفى رشدي

ذلك الفيديو كان الضربة القاضية لمصطفى رشدي و مستشاره، لقد أجهز عليهم وكيل النيابة ومن قبله مكرم، مصطفى رشدي ما زال مصدوما، وبهت المستشار يحيي، و انتهى الأمر برمته قبل أن يبدأ

ثلاثة أشهر ولا كلام في الرأي العام إلا عن قضية مصطفى رشدي و مكرم ياسين، غريبة هي الأحوال في بلدنا، في كل فترة من الفترات يسيطر موضوع ما على ساحات الرأي العام، تضيء الشاشات، يسيل الحبر على الأوراق، تشتعل الحماسة في نفوس المتابعين، تصل المتابعة إلى ذروتها كل يوم أكثر من الذي سبقه، ثم سرعان ما تنطفئ شمس هذا الموضوع، و تسطع شمس أخرى تسيطر لفترة ثم تنطفأ، وهكذا يكون الرهان المربوح دائمًا هو الرهان على ذاكرة الرأي العام.

منذ ثلاثة أشهر و أخبار قضية مصطفى رشدي تتوالى، بداية من خبر القبض عليه في فيلا مكرم ياسين و انتحار مكرم، ثم خروج الأخبار التي تفيد بوجود فيديو يثبت وجود اتفاق بين مكرم و مصطفى رشدي، ثم تسريب الفيديو عن طريق أحد الإعلاميين، ثم يأتي اليوم الذي ينتظره جميع المتابعين للقضية، يوم النطق بالحكم في القضية.

جلس مازن أبو العلا على مكتبه في الصباح الباكر، هو عادة لا يأتي إلى مكتبه في مثل هذا الوقت، لكن ذلك المحامي الشاب (محمود) الذي يعمل عنده تحت التمرين أخبره أن هناك أحد العملاء المهمين سيأتي لمقابلته في هذا الوقت الباكر من الصباح، و عندما رفض مازن القدوم في هذا الوقت، استعطفه محمود بأن هذا الرجل لا يستطيع المجيء إلا في هذا الوقت، وافق مازن، وافق لأنه يريد أن يأخذ هذه القضية و أن يراعى ظروف موكله فيها، كما أنه لا يحب أن يؤخر طلبا لهذا الفتى المجتهد محمود الذي أضاف له الكثير منذ قدومه للعمل معه

كان مازن من أشد المتابعين لقضية مصطفى رشدي، كيف لا و هي تخص مكرم ياسين، لهذا فتح التلفاز في انتظار سماع الحكم.

جاءت نشرة الأخبار لتعلن أن المحكمة حكمت على مصطفى رشدي بتحويل

أوراقه إلى فضيلة المفتي

ابتسم مازن ابتسامة جانبية، هو لا يعرف مصطفى رشدي و لا تجمعه به علاقة قط، لكنه يرى أن هذا هو العدل في القضية، هذا الرجل طغى كثيرًا، ولا بد لكل من يخطئ أن يلقى جزاؤه الذي سيكون بالتأكيد على مقدار خطأه

نعم هذا هو العدل، مازن رجل قانون ضليع، أصلًا مهنتهم اخترعت من أجل تحقيق التوازن بين الأطراف، فلا يكون المدعى و القاضي وحدهم من لهم سلطة قانونية، لهذا وجد المحامي لتحقيق التوازن، من أجل إتاحة فرصة أكبر لإرساء العدل، تلك هي الرسالة الأصلية لكلية الحقوق، ولكن....من يطبقها؟

نعم هذا هو العدل، العدل أن يموت مكرم ياسين ذاك الوغد الذي تزوج حبيبتي، ذاك الذي عاش يدعى الشرف و الأمانة و المثالية، لا يعقل أن يكون هذا كله ملك لشخص واحد، كل شيء كان في يد ذلك البائد، العلم و المال و الزوجة الجميلة و الاحترام و الهيبة، وماذا يحلم الإنسان بأكثر من ذلك، كل شيء كان مثاليًا بالنسبة لمكرم، فكان لا بد أن يكون تاجرًا للمخدرات، تلك هي القاعدة الذهبية التي يؤمن بها مازن و كثير من الناس (لا يمكن لأحد أن يكون أفضل منى إلا إذا كان فاسدًا) !!!!!!!!!!

ولكن مازن لم يكن يعلم أن كل خطأ لا بد له من عقاب، كل خطأ حتى خطأه هو نفسه

يدق هاتف مازن بجانبه، ينظر إلى شاشة الهاتف فيرى رقما غير مسجل، غالبًا ما يكون هذا أحد الموكلين الجدد، أو أحد الزملاء الذين تعرف عليهم قريبا ولم يسجل رقمه بعد

- ألو

- إزيك يا مازن

هذا....هذا....هذا مستحيل، لقد عرف مازن الصوت منذ الكلمة الأولى، لذا اتسعت عينه و توارب فمه، وذهب عقله في رحلة ذهول، هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا، لا بد أني أحلم، لا بد أنني أتوهم بسبب قلة النوم، هذا مستحيل لأن الموتى لا يتكلمون.....لكن هذا بالتأكيد....صوت مكرم ياسين

جائه الصوت مرة أخرى

- ما تقلقش أنت لسه صاحي وما بتحلمش، كل اللي بيدور في دماغك صح

لم ينطق مازن بكلمة فأردف مكرم

- إيه مالك، الهم بعد ما انزاح رجع على قلبك تاني، معلش، أصلى يا ميزو بصراحة مكنتش متخيل إني ممكن أموت قبل ما نخلص حسابنا.

حاول مازن استجماع قواه، و تهدئة أعصابه، و نطق

- حساب إيه، هو أنا بيني و بينك حاجة أصلًا، و بعدين أنت إزاي لسه عايش، و بتتكلم منين

ضحك مكرم ضحكة طويلة استفزت مازن، ثم أردف

- عجباني أوي نبرة الخوف اللي في صوتك دي، بس ما تخافش الخوف ده مش هيطول، الكابوس هينتهي بسرعة

ضحك مرة أخرى ضحكة خفيفة ثم أردف

- أنت عارف يا مازن إيه المشكلة، إن أنت والخاينة اللي كانت حامل منك إتعاملتوا معايا على إني إنسان غبى، و ان اللي أنتم بتعملوه عمره ما هيتعرف، بس نسيتوا إن ربنا يمهل ولا يهمل

- خاينة مين و كنا بنعمل إيه، أنت بتخرف، أنت أك...

ضحك مكرم ضحكة طويلة مرة أخرى

- نبرة الخوف في صوتك بتزيد، أنا كده ماشي صح، أنت متوتر زيادة أوي يا ميزو، أوعى تكون فاكر إن نهلة ماتت موتة طبيعية، لا لا لا يا متر، أنا اللي خلصت عليها، هي و ابنك اللي كانت عايزاه يبقى على اسمي، و مش بعيد كنتم فكرتم تتخلصوا منى عشان هي تورث كل حاجة و بعد كده تتجوزوا و تعيشوا في تبات ونبات

هدأت نبرته فجأة، و لكن زادت حدته

- انا أسف يا مازن إني عكرت عليكم الحلم الجميل

صمت مكرم فانفجر مازن، وعلا صوته

- أيوا يا مكرم أنا و نهلة كنا بنحب بعض، و هي كانت مراتك بس ما كانتش بتطيقك، حبينا بعض خمس سنين، و بعد كده أبوها ضغط عليها عشان تتجوزك أنت، و كل ده ليه، عشان ابن فريد ياسين عريس ما ينفعش يترفض، بس أنا و هي تعاهدنا إننا نحافظ على حبنا غصب عنك و عن أبوها

قاطعه مكرم

- تعاهدتم!!، و حبكم!!، عارف يا مازن أنت خليت ضميري مرتاح أكتر ما هو مرتاح أصلًا، هي ما كانتش تستاهل القتل وبس، أنا كنت المفروض أجيبك أنت وهي و أحرقكم أحياء، أنا قتلتها و هي حامل في ابن حرام، موتة بشعة، بس هي تستاهل، اللي تعمل اللي هي عملته ده بدم بارد كده، لازم تكون دي نهايتها، و أنت كمان تستاهل نهاية أوسخ منها

- أنت بتهددنى ولا إيه يا سى مكرم

رد مكرم بنبرة هادئة

- أنت عارف يا مازن أنا بكلمك دلوقتي ليه

- مش عايز أعر...

- عشان مكتبك فاضي، و السكرتيرة بتاعتك اللي كانت في حضنك من شوية نزلتها قبل ما محمود ييجى هو و العميل المهم اللي جايلك في قضية خطيرة

ازداد ذهول مازن، و دق قلبه بطريقة أسرع

- ده أنت مراقبني بقى

ضحك مكرم ضحكة بصوت أعلى من سابقيها

- أنت عارف يا مازن محمود اللي بيشتغل عندك ده، كل المرافعات اللي قدمها لك، المحامي بتاعى اللي كاتبها

استمر مكرم في الضحك، بينما مازن لا يستطيع الكلام من أثر الصدمة

- في قدامك دوسيه على المكتب ارفعه هتلاقى دوسيه تاني

رفع مازن الملف فوجد الملف الذي يتحدث عنه مكرم

- ده ملف محمود اللي بيشتغل معاك، ممكن بقى تطلع شهادة الميلاد و تقرأ لي اسم الأم

أخرج مازن شهادة الميلاد، و وجه بصره اتجاه خانة اسم الأم، لا لا غير معقول إن اسم الأم.....نادية عبد الحميد ياسين

- إيه يا ميزو ما تقرأ كده و تسمعني صوتك، أقولك أنا، اسم الأم نادية عبد الحميد ياسين .

ده محمود ابن عمتي، و على فكرة هو مش محامى ولا حاجة و كل الشهادات اللي قدمها لك مزورة، و اللي عايزك تعرفه قبل ما تموت إن محمود بعت لي الفيديو اللي صوره لك أنت و سكرتيرتك، وبعد ما هو يخلص عليك الفيديو هيملى النت

انفتح باب مكتب مازن فجأة، و إذا بمحمود يحمل مسدسا به كاتم صوت و يرتدى قفازات

مازن لا يتحرك من مكانه و لا ينطق بكلمة، جاء صوت مكرم ثانية

- هي ماتت و هي حامل في ابن حرام، وأنت هتموت نجس، ابقوا ونسوا بعض في النار بقى سلام يا ميزو

أغلق مكرم الهاتف، فتكلم محمود

- الوداع يا أستاذي

انطلقت رصاصة من المسدس إلى رأس مازن أبو العلا، لتعلن موعد نفوقه،

نعم، لا بد للعدل أن يتحقق، ولا بد لكل خطأ من عقاب.

دائمًا ما كانت لحظة هبوط الطائرة مميزة بالنسبة له، و على الرغم من أنها المرة الأولى التي يطير فيها خارج حدود مصر، إلا أن رهبة الخروج من الوطن لم تمنعه من الاستمتاع بتلك اللحظة

كل شيء مر بسرعة خيالية، الأحداث تسارعت كما يمر شريط ذكريات المحتضر، كان الموضوع أشبه بالمقامرة، تجربة فريدة من نوعها لن تعيشها بتلك التفاصيل إلا إذا كنت الصديق الأقرب لمكرم فريد ياسين، ذلك المجنون لعب لعبة الروليت الروسي، إما أن تخرج الرصاصة في رأسه فتقضى عليه، أو تخرج في رأس أعدائه فيخرج هو الرابح الوحيد

لم يكن مراد في حالة استيعاب عندما أخبره مكرم بتفاصيل تلك الخطة، لم يكن مراد ليصدق أن من الممكن أن ينجح ذاك الدرب من الجنون، لم يكن مراد على علم بالتفاصيل الكاملة فقط طلب منه مكرم تنفيذ الجزء الخاص به، لكنه قد وعده أن يحكى له التفاصيل كاملة و يكشف له جميع محاور تلك الخطة في

احد الأيام بعد أن ينتهي ذك الكابوس الأسود الثقيل

يبدو أن ذاك اليوم قد حان بالفعل، أدرك ذلك عندما لمست عجلات الطائرة أرض مطار تلك العاصمة الأوروبية العريقة.

خرج مراد من الطائرة وهو يرتدى معطفا و حذاءً عاليًا متحسبا للطقس الذي سيواجهه، يحمل في يده حقيبة بها بعض الملابس التي تكفيه لبضع ليالي.

بعد الدخول إلى المطار و الانتهاء من تلك الإجراءات التي تختلف كثيرًا من بلد لأخرى، اتجه مراد للخروج من المطار، وعندما خرج وجد أحد الشباب يستوقفه

- حمد الله على السلامة يا مراد

نظر مراد إلى وجه ذلك الشاب لقد راه قبل ذلك مرة أو اثنتين، لكنه لا يذكر أين راه

- الله يسلمك

- إتفضل معايا دكتور مكرم مستنيك

خرج مراد مع الرجل و اتجها إلى السيارة، وضع الرجل حقًائب مراد في حقيبة السيارة و انطلقا معًا.

لم تمضى أكثر من خمس و أربعين دقيقة حتى توقفا أمام ذاك المنزل، الذي هو بالنسبة للمنازل في تلك المدينة يعد من منازل الطبقة فوق المتوسطة، فهو يتكون من طابقين، أمامه حديقة صغيرة، يبدو كبير بالنظر إليه من الخارج، و تبدو عليه بعض الفخامة

أخرج ذلك الشاب الحقًائب من السيارة، و تقدم مراد باتجاه باب المنزل

ما إن وصلوا حتى فتح ذلك الشاب الباب و دخلا معا إلى بهو المنزل، هنا تكلم الشاب

- تفضل استريح يا باش مهندس

- أنا شفتك في عزا نهلة أنا افتكرت دلوقتي

ضحك الشاب ضحكة خفيفة ثم أردف

- أنت قاعد طول الطريق تفكر أنا مين، و شفتني فين قبل كده، طب كنت سألتني و أنا أقولك

- بس كلامي صح مش كده؟

- أيوا صح....أنا حميد ابن عمة مكرم، و كنت معاكم خطوة بخطوة في اللي كنتم بتعملوه

ظهرت علامات التعجب على وجه مراد

- كنت معانا إزاي؟!!

- هتفهم كل حاجة دلوقتي

جلس مراد و أخذ يتجول ببصره في المنزل، أثاث هذا المنزل يشبه إلى حد كبير الأثاث الذي كان في منزل مكرم في القاهرة، هذا ذوق مكرم ولا شك، فهو الذي يهوى تلك النوعيات الغريبة من الأثاث، و يضع الأرائك في كل ركن من أركان المنزل، و تلك التحف التي تتميز ببساطتها و صغر حجمها

عاد حميد مرة أخرى إلى مراد بعد ما استئذانه في المرة الأولى، و عندما عاد سأل مراد عن ما إذا كان يريد مشروبا ما، فأجاب مراد

- أنا نفسى في فنجان قهوة

- حاضر، أنا هعملها لك بنفسي، سكرك إيه بقى

- مظبوط

كان ذلك صوت مكرم الذي جاء من خلف مراد

قام مراد من مكانه و التفت ليجد مكرم أمامه و الابتسامة تعلو وجهه، علت الابتسامة على وجه مراد كذلك، ثم تقدما باتجاه بعضهما و كل منهما يفتح ذراعيه و كأنما يريد أن يحتضن وجه الكرة الأرضية و ما عليه

عناق حار دام لمدة دقيقة تقريبا، نظر حميد إليهم في إعجاب شديد فربما هي المرة الأولى في حياته التي يرى فيها عناق صديقين بهذه الحرارة، بالتأكيد لأنه لم يمر صديقين (يعرفهما حميد على الأقل) بنفس الظروف العصيبة التي مر بها مكرم و مراد، تقول بعض النظريات أن الصديقين الحقيقين يحس بعضهما ببعض في حالة تعرض الطرف الآخر للخطر، وإذا كان أحدهما تحت ضغط ما يعيش الآخر في ضغط مشابه، لكن ربما قال شخص ما يحب صديقه هذا الكلام على سبيل المبالغة ، ولو أن الصداقة الحقيقية تحمل في طياتها هذا المعنى

انتهى العناق الطويل أخيرًا، وقف الصديقان أمام بعضهما، فبدأ مكرم الكلام

- حمد الله على السلامة

- حمد الله على السلامة أنت، أنا لحد دلوقتي مش مصدق إنك حيّ قدامى، أنت عملت معجزة يا إبنى

قال مكرم مبتسما في هدوئه المعهود

- ولا معجزة ولا حاجة، كل الحكاية تخطيط صح، ناس بتحبك تقف جنبك، وقبل ده كله تكون على حق عشان ربنا يوفقك

- اللي يشوفك في الهدوء ده و أنت بتتكلم عن الموضوع، ما يتخيلش إن أنت عيشتنا ست شهور في ضغط عصبي ما يتحملوش جبل

- بس دلوقتي إحنا مفيش علينا أي ضغط، إحنا بس اللي خرجنا كسبانين من الملحمة دي

- بس أنت طولت على ما اتصلت بيا يا مكرم

- أنا كنت بحميك يا مراد، مكنتش أقدر أكلمك قبل كده

- تقوم تخبى عليّ مكانك كل الفترة دي، ولا حتى تليفون واحد

- لو كنت تعرف حاجة كان ممكن تتأذى، رجالة مصطفى رشدي قعدوا يراقبوك شهر بعد الحادثة، و أكيد كانوا مراقبين تليفونك، و أنت لو كنت تعرف أي معلومة كانوا هيعملوا أي حاجة عشان يوصلوا لها، و يمكن كان كل اللي عملناه يبوظ، فكان لازم يبقى في ورقة مجهولة بلعب بيها، حد بيشتغل في الكواليس، و طبعًا أنت عرفت هو مين.

أجاب مراد في ثقة

- حميد طبعًا

- حميد كان دماغ بتفكر معايا، أما اللي كان بيتحرك كان لازم يبقى حد لعيب كبير، أي لمسة بيلمسها تقربنا من الهدف أكتر

- مين ده بقى

- محمود أخو حميد، محمود هو اللي بيعمل كل حاجة بعد خروجنا من مصر

- و أنت خرجت من مصر إزاي.... لا استنى أنت أصلًا خرجت من الفيلا إزاي يوم الحادثة

ضحك مكرم ضحكة صاخبة بعض الشيء ثم أردف

- على ما تخلص قهوتك يكون الغدا جاهز، نتغدى و أنا هجاوبك على أي

سؤال بيدور في دماغك.

بعد أن انتهيا من الغداء، جلسا سويا ليكملا حديثهما، ارتفعت درجة التأهب لدى مراد لسماع الجزء المخفي عنه من ما فعله مكرم، مغامرة كتلك تستحق فعلا إلى الاستماع

- تفتكر يا مراد أنا ليه بنيت فيلا جديدة عشان الحفلة

- أكيد عشان تسهل خروجك منها

- صح.....الفيلا دي كلفتني فلوس كتير جدًا مش عشان فخامة المبنى أو الكلام ده لا خالص، لأن تكلفة حفر نفق تحت الفيلا كانت عالية

- نفق!!!!!!!!!!!!!!

- أيوا نفق....نفق يطلعك برة لفيلا على بعد ٥٠٠ متر منها، له مخرج زي بلاعات الصرف الصحي ولا يمكن حد يشك فيه.

- أيوا بس مين اللي وافق يعمل النفق ده

- مليون جنيه للمهندس دخلوا حسابه، غير تكاليف الحفر و البنيان، مع يوميات عالية شوية للعمال اللي معاه، اتحفر النفق.

ذهل مراد مما سمعه، كان يظن أن عملية الخروج كانت أسهل من هذا، كان أكثر ما يتخيله هو أن مكرم وضع حبلا على سطح (الفيلا) و نزل من خلاله و كان احدهم في انتظاره بالسيارة، أما أن يكون هناك نفق تحت قدميه يمر مكرم من خلاله، فهذا لا يكون الا في الأحلام أو الأفلام السينمائية، لكن تطبيقه ليس مستحيلا

لاحظ مكرم ذهول مراد

- إيه مالك مش مستوعب ليه

- طب و الجثة المحروقة دي جثة مين

- لا دي بقى كانت لعبة التربى.....لما بعتت محمود يتفق معاه، الراجل طلب مبلغ مبالغ فيه أوي، طبعًا الموضوع كان محتاج إن الراجل يقعد مترصد للجثث، و يتصل بالتربية اللي يعرفهم كلهم عشان يقدر يوفر جثة بالمواصفات دي في التوقيت اللي إحنا عايزينه بالذات، بس الفلوس تصنع المعجزات، الراجل قدر يجيب جثة شاب تقريبا له نفس جسمي، ووصل الفيلا الصبح و دخلناه مع الحاجات بتاعت الحفلة على انه سجادة، و لبسناه نفس البدلة اللي أنا كنت لابسها، مش بس كده و الساعة كمان، و حطينا في جيبه كل الحاجات اللي ممكن تكون في جيبي وقت الحفلة، و طبعًا حرقنا وشه قبل أي حاجة عشان نطير ملامحه، بحيث لو البوليس طلع قبل ما الحريقة تكبر يبقى المرحوم وشه متشوه جاهز

- و ما خفتش من الطب الشرعي

- دي بقى كانت المخاطرة الوحيدة في الخطة، بس زي ما توقعت الظابط كبر دماغه، و ما تنساش إن القضية كانت متقشرة قدامه، حرز بالكمية دي، و ممسوك بيه شخصية عامة زي مصطفى رشدي، و ضيف على كل ده انتحار مكرم ياسين في فيلته كمان، يبقى هو كده تمام أوي، و بعدين مكانش في حاجة ممكن تخليه يشك، الناس كلها شافتني و أنا داخل الفيلا، و محروق في أوضة نومى، أظن يعنى الموضوع مش محتاج طب شرعي.

- و طبعًا أنت البوليس كان فوق و أنت كنت في النفق

- بالظبط، على ما وصلوا هما القسم كنت أنا في المطار

اندهش مراد من كلام مكرم

- مطار إيه!!!...هو أنت ما سافرتش تهريب؟!

ضحك مكرم بصوت عالي قبل أن يردف

- و أسافر تهريب ليه؟

- نعم!!!....أمال سافرت رسمي

- أيوا و مختوم على الباسبور كمان

علا صوت مراد هذه المرة

- إزاااااااى يعنى؟!!

- اشتريت واحد تاني

- لا و الله، و اشتريته جملة و لا قطاعي

- لا جملة

لم يعقب مراد و اكتفى بنظرة باتجاه مكرم، تعنى أنه لا يفهم

- يا ابنى و الله اشتريته جملة، اشتريت اسمه و بالتالي كل حاجة معاه، بص أنا هشرحلك أنا خليت حميد يدور لي على موظف سجل مدنى ممكن نشتريه، و لما وصل له، دورنا على واحد في المركز بتاعه ممكن نشتريه برضو، مليون للموظف، و ٣ مليون للراجل، اشتريت اسمه و عملت بطاقة رسمية بإسمه و صورتى، و اتشالت صورة الراجل القديمة و اتحط مكانها صورتي ، وبكده هو إتمحى من السجلات الجكومية و حليت أنا مكانه، و بالبطاقة دي عملت الباسبور، و سافرت بيه لأنه باسبور سليم مية في المية

- طب و هو إزاي يوافق على حاجة زي دي؟

- شوف، إحنا في الأول دورنا على حد يكون من نفس سنى تقريبا، و يكون معملش باسبور قبل كده، و يكون حد غلبان جدًا، و بعد ما حميد لف كتير عرض

عليّ حوالى ١٢ واحد، اخترنا منهم واحد، و طبعًا أول لما كلمناه رفض، بس بعد ما سمع المبلغ، مفكرش كتير

- إزاااى!!!!..... ده أنهي حياته على الورق

- التلاتة مليون يغنوه عن أي ورق، ده مبلغ لو اشتغل عمرين على عمره ما يقدرش يجمع نصه

- بس ده ما يقدرش يعمل أي حاجة

- هو دلوقتي بالنسبة للحكومة مسافر برة، وهو كده كده مش هيحتاج يسافر، و هيعمل أي حاجة جوة البلد بالفلوس اللي معاه

نظر مراد إلى مكرم نظرة إعجاب و ذهول في نفس الوقت، للوهلة الأولى يشعر أنه أمام شخص لا يعرفه، هل هذا حقًا هو مكرم ياسين الذي رافقه طيلة حياته، هل هذا الذي كان يجالسه و يتحدث معه لساعات طويلة، هل هذا مكرم ذاك الفتى النابغ في كلية الآداب، الفتى الذي كانت تحلم به جميع الفتيات، و كيف لا و هو متفوق، و يمتلك من الأموال ما يحقق لأي فتاة جميع أحلامها، علاوة على أخلاقه التي كانت مضرب المثل بين زملاؤه و أقرانه، كيف لهذا الشخص أن يكون هو من وضع تلك الخطة، ربما لو سمعت هذه الخطة لظننت أن من وضعها أحد مستشاري تشرشل في الحرب العالمية الثانية، أو ربما وضعها تشرشل نفسه

- ساكت ليه يا مراد؟

- مش مصدق يا مكرم

- مش مصدق اللي حصل، و لا مش مصدق إني عملت كده

- الاثنين

- ليه يا مراد، كنت عايزني أقف اتفرج و إيديا مشلولة، ولا كنت عايزنى

أبقى تاجر مخدرات، مراد أنا خسرت كل حاجة، أختي ماتت بسبب مصطفى رشدي، أبويا كمان مات بسببه، يا راجل ده أنا لو كنت صرفت كل الفلوس اللي معايا، بس عشان أنتقم منه كنت عملتها

رد مراد في حنق

- أنت عملت كل ده إزاي و إمتى

- إيه يا مراد محسني إنك مكنتش عارف حاجة

- ما أنا فعلا مكنتش عارف حاجة

- إزاي؟!!.....إذا كان أنا اللي قايلك تروح تبلغ البوليس، و أنا اللي سلمتك التسجيل اللي بيني و بين مصطفى رشدي

- أيوا بس ما قلتليش كل التفاصيل دي

- عشان أحميك.....أنت كنت أقرب واحد ليا، ولو كان مصطفى رشدي أو البوليس شكوا في حاجة مكنوش هيسيبوك، ولو غلطت أي غلطة مكنوش هيرحموك، و احتمال كانوا يوصلوا لي من خلالك، عشان كده أنا طلبت منك تأدي الدور اللي أنت ممكن تأديه من غير ما تكون محل شك، غير كده كان لازم أستعين بناس محدش يتوقعهم عشان كل حاجة تمشى زى ما أنا عايز

صمت مكرم قليلًا، فوجد مراد لا يتكلم و لا ينظر إليه من الأساس

- إيه يا ابنى مالك

- أنا مش مصدق يا مكرم فعلا

- لا صدق....إيه اللي أنت مش مصدقه

- مش معقول كل الناس بتبيع نفسها بسهولة كده

- مين اللي قالك إنهم باعوا بسهولة، أنا ضحيت بفلوس كتير و كتير جدًا

عشان أقدر أنفذ، أنت ما سألتش نفسك ليه حميد و محمود بالذات اللي أنا اخترتهم عشان ينفذوا معايا الجزء الأخير

- عشان بتثق فيهم طبعًا

- مش بس كده....عشان حميد محامى، و محمود صايع و هما الاتنين عارفين معظم الشغل الشمال بيتعمل إزاي

- بس مش معقول كل الناس فاسدة

- مين قال إن كل الناس فاسدة، إحنا اللي دورنا على الفاسدين عشان يشتركوا معانا

- نعم!!!!....يعنى أنت اشتريت مهندس و العمال بتوعه، و موظف سجل مدنى، و شخص عادى اشتريت اسمه، كل ده و تق.....

قاطعه مكرم

- و ناس تانية كتير لعبت أدوار فرعية

- كمان!!

- طبعًا، بس زى ما قلتلك إحنا اللي دورنا على الفاسدين، و بعلاقات حميد، و بفهلوة محمود وصلنا

- ده أنت مسيبتش حاجة للصدف

- مينفعش يا مراد أسيب حاجة للصدف، دي كانت لعبة حياة أو موت

- كان نفسى أقوم أسقف لك يا مكرم، بس مش قادر أقف من كتر الصدمات اللي إستقبلتها دلوقتي

- و تسقف لي أنا ليه، سقف لنفسك، أنت كمان عملت اللي عليك

- طب و أحمد راح فين

- أحمد عند أحمد

- أه....رجعته لعمه

- بالظبط...مش عايزه يعانى من أول حياته

- و وصية ليلى

- مين اللي قالك إني سيبته، أنا سيبت نصيبه باسمي عشان يبقى ميراثه بعد وفاتي على الورق، الفلوس دي تكفيه بقية حياته، وعمه راجل أمين و هيحافظ عليها، وكمان هو تحت عيني طول الوقت عن طريق محمود، اللي مزعلني إني إتحرمت منه بقية عمرى، بس أكيد هتصرف و أشوفه في يوم من الأيام

صمت مراد قليلًا، ثم أردف

- انت جايبنى ليه يا مكرم

- عشان عايز أشوفك، و عشان عايز أقولك على اللي أنت عايز تعرفه، و هبعت لك كل فترة تيجى لي هنا، هو أنا عشان برة مصر إيه مش هنتقابل خلاص.

نظر إليه مراد نظرة لم يفهم مغزاها، إنها المشاعر المختلطة في صدر مراد، لا يدرى إن كان كل ما حدث هذا هو الطريق الصحيح، أم إنه طريق الهلاك، لا يعلم إن كان مكرم ذكى حقًا، ام إنه أغبى من طفل صغير، لا يفطن إن كان هذا هو توفيق الله لرجل أراد أن يأخذ حقه، ام أنه عقاب الله الذي سيأتي على مكرم

- مكرم أنت مقتنع باللي أنت عملته

- كان عندك حل تاني.....لو عندك حل تاني إتفضل قوله، بس أنت ما هتقولش، لأنك لو كان عندك حل تاني كنت قلته من زمان

- هي الفلوس جاتلك هنا إزاي

- متاخر شوية السؤال ده بس أنا هقولك

أنا قبل الحفلة بحوالي شهر بعت كل العقارات اللي كنت بمتلكها، و الفلوس اللي في البنوك حولتها لحساب محمود ابن عمتي و هو حولها بدوره على حساب في بنك برة مصر باسم الراجل اللي أنا اشتريت اسمه ده

- و طبعًا أنت اللي سافرت عملت الحساب ده

- بالظبط كده

- أوعى تقولي إنه في اليوم اللي أنت اختفيت فيه

ضحك مكرم من جديد

- بالظبط كده، و طبعًا مكنتش أقدر أبيع أي حاجة من أصول المجموعة عشان كان الموضوع هيبقى مريب، فعملت توكيل لمحمود، هو يبيع الشركات و المصانع و يحولي الفلوس على هنا، طبعًا كل ده بعد ما طلعت ورث ليلى و كتبته لأحمد ابن أختي تحت وصاية أحمد عمه، عشان كده هو عمل لي تنازل عن كل الممتلكات اللي إتصرفت فيها دي، هو طبعًا مش فاهم أنا عملت كده ليه، بس كل اللي كان فارق معاه إن حق ابن أخوه يفضل محفوظ بما إنه الوصي عليه، وطبعًا كان حقه محفوظ و بزيادة

- و نأوي تعمل إيه بالفلوس دي

- هابدأ بيزنيس جديد هنا، أنا بالفعل تعاقدت على مصنع جديد، أنا لسه حى يا مراد، و كل اللي أنا عملته ده عشان أقدر أعيش بشكل طبيعي تاني

ساد الصمت قليلًا، فأردف مكرم

- مراد...أنا دلوقتي مليش حد غيرك انت و ولاد عمتي، و مكرم ياسين بالنسبة للناس مات، أنا بعتتلك عشان عايز أشوفك فعلا، و عشان أحاول أفضل مرتبط بنفسي لأقصى حد، أنا خسرت كل عيلتي، صحيح انتقمت بس برضو لسه لوحدي،

لا أبويا رجع، ولا ليلى هقدر أكلمها تاني، يا أخى خد كل الفلوس اللي معايا و رجعلي أبويا ولا ليلى ولا خالد ولا أي حد، أنا في فترة قصيرة جدًا، حياتي انتهت تقريبا

كادت الدموع أن تخون مكرم، لكنه دائمًا إعتاد أن يكون قويا، فهو في حياته كلها، لم يبكى أمام أحد حتى أمه

ساد الصمت طويلا هذه المرة، حتى قطعه مكرم

- ممكن تقعد معايا الأيام اللي أنت جاي تقعدها و ما تفتحش أي حاجة ليها علاقة بالماضي...ممكن؟

- إزاي؟!!

- ممكن؟

لم يجد مراد أمامه غير اجابة واحدة

- ممكن

* * *

إنها الليلة الأخيرة لمراد، غدا في الصباح سيكون في المطار متجها إلى القاهرة، ثلاث ليالي قضاها بصحبة مكرم و حميد، كانت حقًا ليالي رائعة، فعلوا كل شيء يمكن أن يفعلوه، سهروا و لعبوا و أكلوا و تسامروا و ضحكوا، كل شيء إلا الكلام فيما مضى كما كان وعد مراد لمكرم، لكن كل شيء مهما طال لا بد له من نهاية، كل شيء كان جميلا، وها قد حان وقت الوداع

دخل مكرم إلى الغرفة التي استقلها مراد، مراد يضع حقيبته على السرير و يضع ملابسه فيها،

بادره مكرم

- فكر يا ابنى و أقعد لك يومين كمان
- لا يا عم كفاية أوي كدة أنا ورايا شغل في مصر
- أه فعلا وراك شغل كتير
لم يفهم مراد جملة مكرم الأخيرة
- أنت بتقلش
- لا و الله أنا بتكلم جد
- أمال أنا ليه حاسك بتقلش
- لا أنا جد الجد كمان
- و أنت عرفت منين إن ورايا شغل كتير
أخرج مكرم ورقة من جيبه و أعطاها لمراد
- الورقة دي بتقول كده
قال مراد دون أن ينظر فيها
- ورقة إيه دي
- ما أنت لو قريتها هتعرف
بدأ مراد يقرأ في الورقة ولم تتغير ملامحه، فقط بعد بضع ثواني، ابتسم ابتسامة جانبية، قابلتها ابتسامة عريضة من مكرم الذي قال
- ها....عرفت بقى إن وراك شغل
- ده عقد بيع مصنع
- وبيتهيألى اسم المشترى واضح قدامك
- انت خليت محمود يبع لى المصنع يا مكرم
- و العقد ناقصه توقيعك، اللي أنت هتكتبه دلوقتي، و من بكرة هتستلم

المصنع

- بس أنا مش همضي على العقد ده

أخرج مكرم قلم من جيبه و أعطاه لمراد

- لا هتمضي

ثم قال في إصرار أكبر

- هتمضي

- يا ابنى ده كتير أوي عليّ

- ومش كتير عليّ اللي أنت عملته معايا ؟

أنا مش عايز أسمع منك أي كلام، أنا عايزك تمضى و بس

نظر مراد إلى مكرم نظرة ذهول و إعجاب مجتمعين، فهز مكرم رأسه محفزا إياه على التوقيع

أمسك مراد بالعقد و اتجه نحو مكرم و عانقه عناقا شديدا، لم يستطع أن يمنع دموعه من النزول، هنا تكلم مكرم

- أنت تستاهل يا مراد، أنا لو اخويا من دمى ما كانش هيقف جنبي زيك، ربنا ما يحرمنى منك و ما يفرقناش إلا الموت

نظر مراد إلى مكرم، وما زالت دموعه تنساب من عينيه

- أنا مش عارف أقولك غير إنك اجمل حاجة حصلت لي في حياتي، بس

ربت مكرم على كتف مراد و قال له

- كمل شنطتك و انا مستنيك تحت

إتجه إلى باب الغرفة، ثم التفت و قال مبتسمًا

- أه، و ما تنساش تمضي على العقد

هز مراد رأسه إيجابًا، فاتسعت ابتسامة مكرم، ثم خرج من الغرفة

عندما نزل مراد، إستقبله حميد، وأخذ منه حقيبته، واتجها معا إلى الخارج، كان مكرم ينتظرهما في حديقة المنزل، وكانت هناك سيارة في انتظاره لنقله للمطار

عانق مراد كلا من حميد و مكرم ثم ركب السيارة متجها إلى المطار

دخل حميد و مكرم إلى المنزل مرة أخرى، وجه حميد كلامه إلى مكرم بعد أن جلسا على الأريكة

- تعرف يا مكرم في سؤال نفسى أسأله لك من أول ما عرضت عليّ الموضوع بس كنت متردد، و دلوقتي بس عايز اسأله

- اسأل

- هو خالي فعلا كان تاجر مخدرات؟

نظر مكرم نظرة ساخرة إلى حميد

- أنت شايف ايه؟

ارتبك حميد بعد سؤال مكرم

- أنا شايف إنه لا؟

ابتسم مكرم ابتسامة عريضة ثم قال في هدوء

- أنا هحكيلك

- بابا لا يمكن يعمل كده يا مكرم، رغم إن الواقع بيقول غيركده، لكن في حاجة جوايا مش عايزة تخليني أصدق.
عموما في حاجة ممكن نتأكد منها
- إيه هي؟
- مذكرات بابا
- هو بابا كان بيكتب مذكرات؟!!
- أيوا أنا مرة دخلت عليه لقيته بيكتب في حاجة زى أجندة كده، و أول ما شافنى راح مداريها، ممكن لو وصلنا للأجندة دي، نلاقى فيها اللي إحنا بندور عليه.

- الغريب بقى إن لما لقينا المذكرات دي و فتحناها، ما لقيناش فيها غير أخر شهر في حياته بس، و كاتب فيه كل اللي حصل بينه و بين مصطفى رشدي بالتفصيل

- يعنى أنت كنت عارف إن مصطفى رشدي هو اللي ورا كل حاجة من الأول

- طبعًا، أبويا قابله و اتخانقوا مع بعض، و أبويا هدده إنه هيبلغ عنه، عشان كده مصطفى رشدي قرر يقتله

- طب و هو ليه عرض على خالي يشتغل معاه

- لسببين، الأول إنه كان محتاج شريك لأن الصفقة كانت كبيرة و ما كانش هيقدر يشيلها لوحده، و الثاني إنه طول عمره بيكره أبويا من أيام ما كانوا شركة، عشان أبويا رفض يعمل معاه الشغل القذر اللي كان بيعمله

- طب و أنت مكنتش خايف إنه يقتلك

- لا....لأنى كنت عارف إني الاختيار الأخير ليه، عارف أنت لما تراهن نفسك، أهو مصطفى رشدي كان مراهن نفسه إنه هيخلى عيلتنا تشتغل معاه، لما أبويا رفض و هدده قتله، ولما أنا رفضت قتل ليلى

ثم نظر إلى حميد نظرة سخرية

- أظن دي فهمتها لوحدك

- فهمتها

- بس دي كانت غلطة مكنتش عامل حسابها، كان لازم أعرف ان اللي قتل ممكن يقتل تاني بدم بارد.

بس من غباء مصطفى رشدي، قرر يكمل في عناده، و أنا لعبت على النقطة دي

صمت مكرم قليلًا، فتكلم حميد

- ولقيت إيه تاني في المذكرات دي

- لقيت أخر جملة كتبها في حياته

((أفضل أن أموت على أن أضيف إلى مالي قرشًا حرامًا))

تم بحمد الله

عم ميالو

دمياط

٢٠١٧/٩/٢٧